التاريخ الاقتصادي
من خلال قصص القرآن الكريم

المنهج الاقتصادي في التخطيط لنبي الله يوسف عليه السلام

دكتور/ نواف الحليسي

المنهج الاقتصادي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ
سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ٤٣
قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤
وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ
فَأَرْسِلُونِ ٤٥ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ
سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ
وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ٤٦ قَالَ
تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا
قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ٤٧ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ
مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ٤٨ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ
عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ :

الطبعة الثانية
١٤١١هـ - ١٩٩٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

موجـز

«منهج يوسف عليه السلام في التخطيط والاقتصاد»

كتب كثير من أفاضل العلماء عن قصة يوسف بن يعقوب عليهما السلام... إلا أن موضوع كتابي هذا سيقتصر بإذن الله على الجانب الاقتصادي وفروعه وخاصة التخطيط...

ولقد حاولت قدر جهدي تسجيل خواطري عن التاريخ الاقتصادي بعض قصص القرآن الكريم... فعندما نطالع قصة يوسف عليه السلام بشيء من التحليل المتعمق... نجد أنها تحتوي على مفاهيم وسمات اقتصادية وتخطيطية وإدارية قيمة... بالإضافة إلى الحماية الأمنية والاقتصادية للدولة... إلى جانب عظات أخرى جمة...

لقد لاحظنا أن طلبة الجامعات في أنحاء العالم يدرسون التاريخ الاقتصادي القديم حتى العصر الحديث... إلا أنهم لم يدرسوا التاريخ الاقتصادي من منهج قصص القرآن الكريم... رغم أن مثل هذه الدراسة تعتبر الركيزة الدينية التي تخدم حياتنا الاقتصادية الإسلامية اليومية... والتي يجب العناية بها وإلقاء المزيد من الضوء عليها...

إن دراسة المنهج التخطيطي في جامعاتنا الإسلامية وفق المنهج الإسلامي والتخطيط العملي والدراسي ووضع الأسس الإسلامية تتيح للطالب المسلم أن يتعلم الكثير الذي يساعده في حياته العملية الاقتصادية والمالية

والتجارية. . . وكل ذلك يعتبر من الجوانب المادية، أما الجانب الآخر فيتعلى بالأخلاقيات الإسلامية وفق شريعة الله. . . وكل ذلك يقوي من عقيدة الإيمان لدى الطالب المسلم. أي أنه لا بد من الربط بين العلم والدين وبين الروح والمادة. . . فالإسلام يدعو إلى العمل النافع والعمل الجاد والسعي المتواصل والعبادة الخالصة. بل أن اسعي عبادة، وعبادة عملية تقوم على أساس علمي. . . فاقرأ إن شئت قوله تعالى: ﴿وألناله الحديد. أن أعمل سابغات. وقدر في السرد واعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير﴾[1] وقوله: ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور»[2] وأخيراً وليس آخراً لنقرأ معاً قول الحي سبحانه: ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾[3]، ثم اقرأ قوله تعالى: ﴿اقرأ وزبك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾[4].

ولقد شمل بحثي سبع مباحث رئيسية بدأت أولها بالحديث عن أهمية دراسة علم التاريخ الإقتصادي لمنهج قصص القرآن الكريم والمغزى الحق لعلوم التخطيط. . . ويتضح لنا أن وصف الله تعالى قصة يوسف بأحسن القصص لم يكن إلا لإثبات حكمة يوسف عليه السلام وإظهار مدلولات التخطيط والبراعة في تطبيق المفاهيم الاقتصادية. . . ومن هذا يتبين لنا أن معجزة الله تبارك وتعالى تجلت في إنقاذ شعب مصر والشعوب المجاورة على يد يوسف عليه السلام بإلهامه لوضع الخطة اللازمة لذلك. . .

أما المبحث الثاني فقد تضمن شرحاً مفصلاً لعلم التخطيط الفردي الذي شرح من الآية (٧) حتى الآية (١٨) التخطيط الفردي الخاص بمصلحة الفرد أو عدة أفراد لهدف اقتصادي. سواء كان هذا الهدف مادياً أو معنوياً وليس له مدة معينة، وإنما يبدأ وينتهي بانتهاء تخطيط وتنفيذ الهدف الفردي المخطط

---

(١) الايتان ١٠، ١١ من سورة سبأ.
(٢) الآية ١٥ من سورة الملك.
(٣) الآية ١٣ من سورة النساء.
(٤) الآيات ٣، ٥ من سورة العلق.

له. . . كما أشرت في هذا المبحث إلى الخطوات التخطيطية العلمية للتخطيط الفردي. . . ومن هذا نجد أن الخطة الخاصة أو الفردية بدأت بفكرة تغيرت بعدها إلى خطة جماعية بها كيانها وهيكلها وتكوينها وأهدافها ومضمونها.

ثم أشرت إلى المحظورات والمنهيات الإسلامية وكذا السمات والأخلاقيات الإسلامية في التخطيط الفردي. . . واتبعت ذلك بتحليل تخطيط الفرد من آيات القرآن الكريم.

وفيما يتعلق بالمبحث الثالث، فقد اقتصر على تعليم الله عز وجل يوسف عليه السلام علم تأويل الأحاديث. . . وعندما بلغ يوسف عليه السلام أشده آتاه الله تعالى الحكمة والعلم ثم علمه عز وجل علم الرؤيا وعلم أنباء الغيب. . . وجميع هذه العلوم كان هدفها أن يبلغ يوسف عليه السلام رسالة ربه.

وقد استطاع يوسف عليه السلام بفضل الله تعالى أن يتحمل المسئولية كاملة وينجح في مهمته. . . فقد كان يوسف عليه السلام المسئول الأول في مصر أمام الله والملك والشعب. . . وقد شيدت أثناء هذه الخطة المستودعات كما تم الاستعداد في كل مكان لمواجهة سنين القحط القادمة لإنقاذ شعب مصر من المجاعة. . . وبالتالي فقد تعاون كل من العاملين في الدولة وأفراد الشعب في تحملهم للمسئولية الملقاة على أكتافهم وظهر كل هذا واضحاً في نجاح الخطة التي وضعها يوسف عليه السلام.

أما المبحث الرابع. . . فقد تحدثت فيه عن كل ما يتعلق بعلوم التخطيط للدولة والذي يعتبر من أهم العلوم الاقتصادية التي أكدتها قصة يوسف عليه السلام ومنهجه. . . الذي وضع على ضوء تفسيره لرؤيا ملك مصر والتي منها الخطة المستقبلية للدولة لمدة أربعة عشر عاماً منها الخطة السبعية الأولى لمواجهة القحط وهي سني الرخاء. . . ثم الخطة السبعية الثانية لإنقاذ شعب مصر والشعوب المجاورة من سني القحط والخطة السنوية العامة للدولة.

كما تضمن هذا المبحث السمات التخطيطية في الإسلام لحياتنا الاقتصادية العملية... وعلوم التخطيط والمسئولية المتنوعة... ثم تحليل علوم الدولة من القرآن الكريم.

وفي المبحث الخامس أوضحت منهج يوسف عليه السلام في التخطيط الحكومي والإداري الذي تضمن خطة الدولة المستقبلية بعيدة المدى في الآية (٤٦) والخطة السبعية الأولى الآية (٤٧) والخطة السبعية الثانية الآية (٤٨) وخطة الدولة السنوية الآية (٤٩)، وقد اتبعت هذه الآيات التي ذكرت في سورة يوسف (كل آية على حدة) بأقوال بعض المفسرين... كما اتبعت كل خطة... بالجانب الاقتصادي والتخطيطي لها... الذي شمل:

تعريف الخطة ـ معرفة المشكلة وتحديد الخطة ـ صفة ونوع الخطة ـ أهداف ومضمون الخطة ـ وضع الهيكل العام للخطة ـ تحديد احتياجات الخطة ـ وعي الشعوب بالتخطيط.

ثم تبع ذلك الأنشطة الاقتصادية للخطة المستقبلية للدولة مثل بناء صوامع الغلال لتخزينها خلال السبع سنوات... الأمر الذي كان له الأثر في تشغيل القوى البشرية وتنشيط الحركة الاقتصادية في الجهاز الإداري والتخطيطي للدولة.

وقد تضمن هذا المبحث أيضاً السمات الإسلامية للخطة المستقبلية للدولة مثل الرزق ـ التوكل على الله ـ العمل الصالح ـ المسئولية ـ التعاون ـ الصدق ـ الوفاء.

وقد أتبعت ذلك بتحليل الخطة المستقبلية للدولة من آيات القرآن الكريم والجانب التخطيطي والإداري والاقتصادي لها... ثم تحدثت عن المراحل العلمية الأولى للخطة العامة للدولة... وبعدها أشرت إلى نتيجة الخطة المستقبلية للدولة والملامح الإسلامية في علوم التخطيط الاقتصادية... وكذا النتائج الاقتصادية العائدة من نجاح الخطة العامة للدولة.

وقد اقتصر الحديث في المبحث السادس على السمات التخطيطية في

العلاقات الإنسانية مع الشعوب والقبائل المجاورة وذلك من خلال التبادل والتعاون الذي ظهر بين قوافل التجارة وبين الشعوب... ومن المفاهيم التي تعلمناها من قصة يوسف عليه السلام علم الأسعار... وعلم الموازين والمكاييل... وقد ذكرتهما الآيات (٦٣، ٦٥، ٨٨)... وهما من العلوم الاقتصادية العامة في تحديد العلاقة بين الشاري والبائع... وهما يحققان العدالة ويثبتان القيم الاقتصادية... وقد تحدثت في هذا المبحث عن التبادل التجاري بين الشعوب وكذا عن اقتصاديات النقل لطرق قوافل التجارة بين الشعوب.

أما في المبحث السابع والأخير فقد شرحت التخطيط العام لحماية الدولة... والحماية الأمنية في الداخل والخارج والحماية الاقتصادية.

فقد تعلمنا من قصة يوسف عليه السلام كيف تم وضع التخطيط العام على أسس أمنية لحماية مستودعات القمح من العابثين واللصوص، فوضع أنظمة محكمة لتوزيع الغلال والقمح ومراقبة الأسواق التجارية من الغش والتلاعب ومنع بيع البضائع في السوق السوداء... حتى تعم الطمأنينة وتتحقق العدالة بين كافة أفراد الشعب في تلك الظروف الصعبة.

ولهذا... ففي نهاية بحثي عن يوسف عليه السلام ومنهجه في التخطيط اقترحت ضرورة تدريس التاريخ الاقتصادي من خلال منهج قصص القرآن الكريم وذلك في الجامعات بالعالم الإسلامي، وكذا جميع كليات الأمن والمعاهد العسكرية حتى يستطيع الدارس فيها أن يعي جيداً علوم التخطيط وفروعها وفق كتاب الله وسنة نبيه... فرجال الأمن والعسكريين هم القوة التي تحمي الدولة داخلياً وخارجياً ضد الغرباء والدخلاء والمعتدين.

وفقنا الله تعالى للإنتفاع بما تفيض به شريعتنا الإسلامية من خير وفير في مجالات التاريخ الاقتصادي وغيره من العلوم الإسلامية الأخرى.

نواف صالح الحليسي

بسم الله الرحمن الرحيم

«المقــدمـــة»

الحمد لله الذي خلق كل شيء وقدره تقديراً، وأحصى كل شيء عدداً وفصله تفصيلاً، وأنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، وأرسل محمداً ﷺ شاهداً ومبشراً ونذيرا، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا. . .

وبعد.

فقد كتب كثير من أفاضل العلماء عن قصة يوسف بن يعقوب عليهما السلام وأفاضوا في جوانب متعددة من جوانب هذه القصة المضيئة. ومن ثم فإن موضوع كتابي هذا سيقتصر بإذن الله تعالى على الجانب الاقتصادي وفروعه وبخاصة التخطيط. . .

لقد بين الله تعالى في قصص القرآن الكريم كثيراً من الأمثلة والعبر لينهل منها من شاء أن ينهل قال تعالى: ﴿**ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل**﴾[1]. . . لهذا حاولت قدر جهدي تسجيل خواطري في التاريخ الاقتصادي مستأنساً ببعض قصص القرآن الكريم، حيث لاحظت نقصاً في مجال هذه الدراسة في الوقت الذي تفتقر إليه جامعاتنا لهذا النوع من الدراسة، فرغبت في تزويد طلابنا في مختلف المراحل التعليمية - وبخاصة طلبة وطالبات الجامعات - بما جاء في القرآن الكريم والسنة المشرفة مما يمكن

(١) الآية ٥٤ من سورة الكهف.

الاسترشاد به في مجال التاريخ الاقتصادي بشتى مفاهيمه. فهو بمثابة الدرر النفيسة والسمات القيمة التي آمل أن يتخذها طلاب العلم قاعدتهم الأساسية في حياتهم العلمية والعملية.

عندما نستعرض قصة يوسف عليه السلام متعمقين فيها محللين لها نجدها تشير إلى أسس اقتصادية وتخطيطية قيمة بجانب ما فيها من عظات جمة.

أرشدنا الله تعالى إلى هذه الأسس الإقتصادية والتخطيطية لتكون نبراساً نستضيء به في مجال التخطيط الاقتصادي وبذلك تعم الفائدة فنجني ثمرة الخير، ونتجنب عاقبة الشر... لأننا خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر.

وأرجو الله عز وجل أن يوفقني في عرض خواطري هذه عسى أن تأتي بالفائدة المنشودة وأن نخوض غمار حياتنا سالمين آمنين متمسكين بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

وقبل أن أنهي مقدمتي هذه، أشير فيما يلي إلى أسماء علماء المسلمين رحمهم الله ـ الذين استرشدت بآرائهم في تفاسيرهم للقرآن الكريم منذ القرن الثالث الهجري وهم (الطبري، الزمخشري، وابن تيمية، وابن الجوزي، الرازي، القرطبي، ابن كثير الشوكاني، القاسمي، المراغي، حجازي، طنطاوي جوهري، سيد قطب، محمد رشيد رضا، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في المنتخب).

وبعد... لقد بذلت قصارى جهدي كي أصل إلى حقائق علمية ثابتة تنير لنا طريق حياتنا الاقتصادية في ظل شريعتنا الإسلامية السمحاء... وتفتح آفاقاً جديدة أمام كل من يرغب في حياة اقتصادية سليمة تعتمد على القرآن الكريم والسنة المطهرة... كما أردت أن أضيف إلى المكتبة الإسلامية جهداً متواضعاً في المجال الإقتصادي... ومهما كان حجم هذا الجهد فلن يكون سوى قطرة في بحر العلم والمعرفة.

ولقد ذكر القرآن الكريم المئات من الآيات التي تتحدث عن فضل العلم والعلماء... ولقد تكرر لفظ العلم ومشتقاته في القرآن الكريم (٧٨٢) مرة... والمعرفة هي مرادف العلم... وقد تكرر لفظ المعرفة ومشتقاته (٢٩) مرة في القرآن الكريم... وبذلك يكون العلم ومشتقاته والمعرفة ومشتقاتها قد تكررت في القرآن الكريم (٨١١) مرة، وهذا هو نفس الرقم الذي تكرر به لفظ الإيمان ومشتقاته... أي (٨١١) مرة... الأمر الذي يؤكد أحد جوانب إعجاز القرآن الكريم... وقد ذكرت الآيتين الكريمتين:

﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

(٣٧، ٣٨) من سورة يونس.

وأورد فيما يلي بعض الآيات التي ذكرت لفظ العلم:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾

الآية (٢٥٥) سورة البقرة.

﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾

الآية (١٦٢) سورة النساء.

﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾

الآية (٧٦) سورة يوسف.

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾

الآية (٨٥) سورة الإسراء.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾

الآية (١١) سورة المجادلة.

إن الآيات الكريمة التي ذكرت ما حدث في عهد يوسف عليه السلام قد جاءت مجملة لا يتعارض تفصيلها مع الوقائع التاريخية المعروفة، وبالتالي يصبح وزر أو إثم تحريفها على محرفها تصديقاً لقول الله تعالى:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

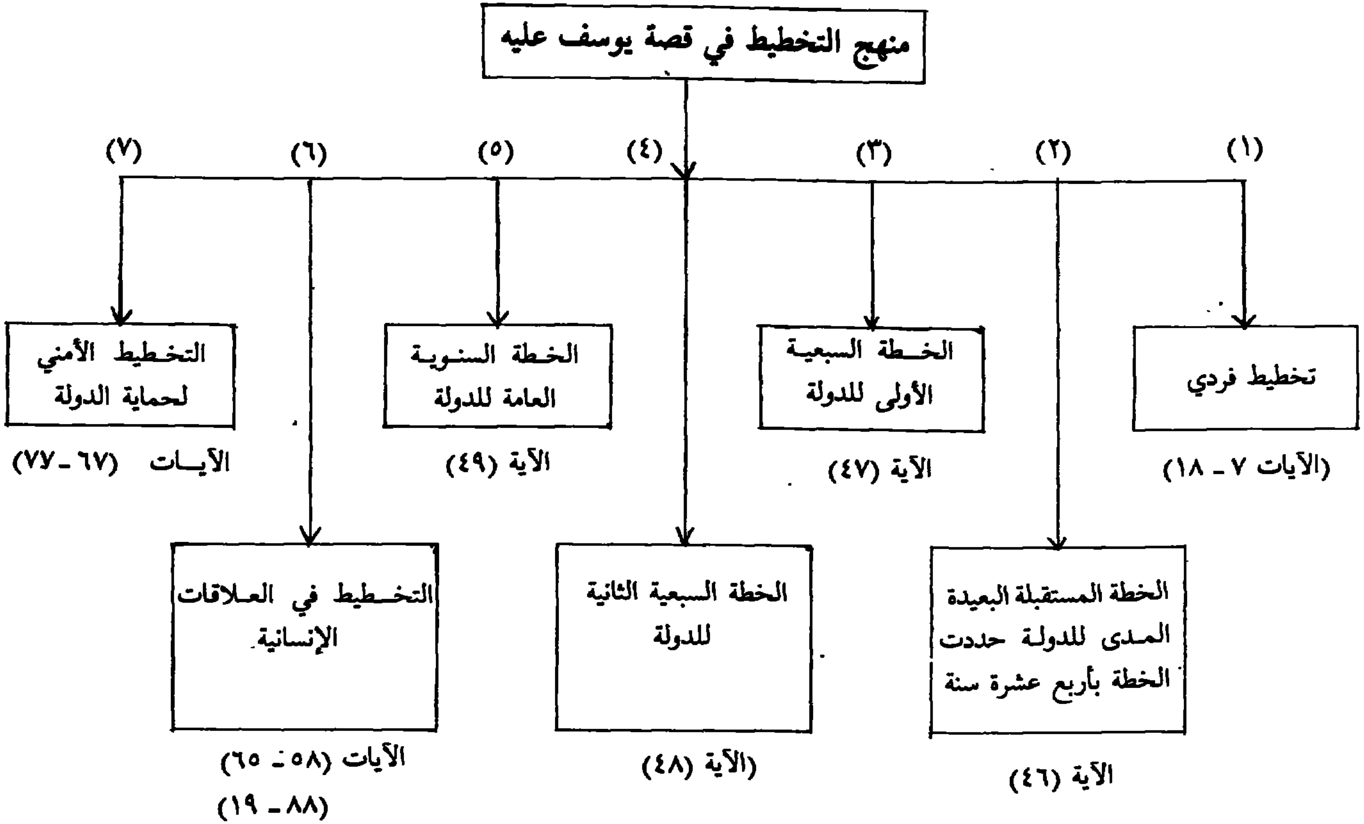
الآية (٧٩) من سورة البقرة.

وبالتالي فإن الأخذ بما جاء في نصوص التوراة أو الإنجيل حول هذا

الموضوع يجب أن نقف منه عند الحد الذي أوصانا به رسولنا الكريم ﷺ في الحديث الشريف: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم». (أخرجه البخاري).

وإنني لا أدّعي تفصيل الوقائع في خواطري هذه حول سمات الوضع الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي التي حدثت في عهد يوسف عليه السلام بما لا يقبل المراجعة وإنما مثله كمثل أي عمل بشري إخباري قد يحتمل الصدق أو غير ذلك... ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.

وفيما يلي الموضوعات الرئيسية والفرعية التي شملها منهج هذا البحث بصورة عامة.


منهج التخطيط في قصة يوسف عليه
(١)
تخطيط فردي
(الآيات ٧ ـ ١٨)
(٢)
الخطة المستقبلة البعيدة المدى للدولة حددت الخطة بأربع عشرة سنة
الآية (٤٦)
(٣)
الخطة السبعية الأولى للدولة
الآية (٤٧)
(٤)
الخطة السبعية الثانية للدولة
(الآية (٤٨)
(٥)
الخطة السنوية العامة للدولة
الآية (٤٩)
(٦)
التخطيط في العلاقات الإنسانية
الآيات (٥٨ ـ ٦٥)
(٨٨ ـ ١٩)
(٧)
التخطيط الأمني لحماية الدولة
الآيات (٦٧ ـ ٧٧)

منهج التخطيط في قصة يوسف عليه السلام

(١)

تخطيط فردي

(الآيات ٧ حتى ١٨)

هذه الآيات تشير إلى أن إخوة يوسف عليه السلام قد تجمعت لديهم بعض المعلومات والبيانات التي تفيد استئثار يوسف عليه السلام بحب أبيه ذلك الحب الذي قد يلحق بهم ـ حسب مفهومهم ـ بعض الضرر المادي ومن ثم وضعوا خطة للتخلص من يوسف عليه السلام. وبالتالي يمكن القول أو استنتاج ما يلي:

١ ـ التخطيط الفردي يضع خطته الفرد الواحد أو عدة أفراد (كإخوة يوسف) وذلك وفق التخطيط للمشروعات الفردية الذاتية أو غير ذلك بتحقيق رفع مستوى المعيشة من النواحي المالية والتجارية أو كسب مادي أو معنوي.

٢ ـ التخطيط الفردي هدفه واحد وذلك بالتخطيط للمشروعات من عدة أفراد لهدف واحد مثل اقتناء... مال ـ مشاريع عامة من تجارة وصناعة وزراعة وأشياء معنوية من كسب عطف أو حب أو نفوذ أو سلطة... إلخ.

٣ ـ المسئولية يتحملها المخططون سواء فراد أو عدة أفراد.

منهج التخطيط في قصة يوسف عليه السلام

(٢)

الخطة المستقبلية البعيدة المدى للدولة حددت الخطة بأربع عشرة سنة

(آية ٤٦)

التخطيط الجيد هو ذلك التخطيط الذي يهدف لصالح الدولة في الوقت الذي تنعكس آثاره الطيبة على المجتمع كله دون استثناء، والتخطيط الجيد يعتمد كل الاعتماد على المعلومات والبيانات الصادقة عن الإمكانات المتاحة للتنبؤ المستقبلي مرحلي أو غير مرحلي طويل الأمد أو قصيره كما أن نجاح الخطة متوقف على وضوح الهدف ومعرفة الصعوبات والمشاكل فوضوح الهدف يسهل الوصول إليه ومعرفة المشكرة تشكل نصف حلها. . . مع الأخذ في الاعتبار أن الغاية لا تبرر الوسيلة فشرف الغاية يوجب نقاء الوسيلة. . . وعليه فإن هذه الآية الكريمة تنبىء عن المشكلة ألا وهي سنوات القحط وتقدم الإمكانات المتاحة في سنوات النماء والخير وتنوء الوسيلة وهي الجد والإدخار وترشد إلى الهدف وهو تخطي الأزمة الاقتصادية، أما مصدر هذه المعلومات والبيانات فأصدق المصادر كيف لا وقد صدر عن العليم الخبير عالم الغيب والشهادة. . . «وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو «ألهم الله ملك مصر مناماً في رؤياه رمزاً وتلميحاً لا تصريحاً ليكون منهج الله الذي ألهم به يوسف عليه السلام وليتم نعمته كما أتمها على أبوية من قبل. . . فكانت الخطة المستقبلية وتتضح المعالم فيما يلي:

١ - واجه يوسف عليه السلام بحملته المستقيلة بعد تحديد المشكلة التي تواجه البلد بعمل الدراسات اللازمة لتحديد المدة التي تحتاجها الخطة للتنفيذ والتطبيق، ومن مقسمة بجدول زمني.

٢ - الخطة المستقبلية لها خواصها ومميزاتها سواء الزراعية أو الصناعية والتعدينية أو نشر دين الله في الأرض أو غير ذلك واختيار تلك المشروعات التي لها أولوية من حيث الأهمية وفق جدول زمني مستقبلي.

٣ - التخطيط المستقبلي للدولة يرفع الكفاية الإنتاجية ومستوى الأمة بتطبيق المشروعات المتعددة الجوانب كذلك يرفع مستوى الفرد في الدولة بمشاريع عامة لجميع الأفراد من جهات متعددة.

٤ - التخطيط المستقبلي بتنفيذ المشاريع المختلفة لخدمة الأفراد ورفع مستواهم الثقافي والإجتماعي وأن المسئولية التخطيطية يتحملها الجهاز التخطيطي مع بقية الأجهزة والوزارات الحكومية الأخرى.

منهج التخطيط في قصة يوسف عليه السلام

(٣)

الخطة السبعية الأولى للدولة

(الآية ٤٧)

وتشير إلى :

١ - القسم الأول من الخطة المستقبلية للدولة وحددت بسبع سنين وهو تخطيط للبناء والتجهيز.

٢ - وضع وتنفيذ الخطة العامة للدولة. وكانت خطة يوسف عليه السلام لإنقاذ دولة مصر من المجاعة خطة زراعية وقد استلزم تنفيذ خطة الدولة الزراعية بناء المستودعات والتقسيم الإداري والمحغسبي للسنين القادمة.

٣ - تخزين الدولة للحبوب في وقت الرخاء سنوياً، وذلك وفقاً لاحتياطها العام وذلك من خلال تطبيق الخطة المستقبلية للمرحلة الأولى.

٤ - وضع خطة أمنية للدولة لاستتباب الأمن في فترة السنين السبع العجاف القادمة.

منهج التخطيط في قصة يوسف عليه السلام

(٤)

الخطة السبعية الثانية للدولة

(آية ٤٨)

١ ـ وهي القسم الثاني من الخطة المستقبلية للدولة وحددت بسبع سنين، وهي خطة تطبيقية ميزانية حسب الجدول الزمني للخطة العامة للدولة.

٢ ـ بين لنا يوسف عليه السلام خطته السبعية الثانية وفق تطبيق خطة تقسيم وتوزيع الحبوب على السنين السبع الثانية العجاف للدولة وفق جدول إداري تقنيني زمني دقيق.

٣ ـ وضع خطة التقنية والمحاسبة لتوزيع الحبوب على السنين السبع القادمة وفق منهجه للتعاون الإنساني مع تلك الشعوب والقبائل المجاورة من العابثين.

٤ ـ وضعه خطة أمنية لمحاربة الدولة لا سيما من الداخل على الحدود لحماية اقتصادها ومخزنها من القمح ـ من النهب والسرقة.

منهج التخطيط في قصة يوسف عليه السلام

↓ (٥)

الخطة السنوية العامة للدولة

(آية ٤٩)

١ - بين يوسف عليه السلام منهج الخطة السنوية وهي من التخطيطات الإدارية السنوية وتوضع في الظروف والأزمنة الطبيعية التي تسير عليها الأمور من خطة سنوية وفق واردات واحتياجات البلاد وإمكانيات الموارد العامة للدولة.

٢ - وضع منهجاً تخطيطي للميزانية السنوية العامة توضح فيه مدى احتياجات الدولة.

٣ - عمل برنامجاً تخطيطاً للدولة لرفع الكفاية الإنتاجية ولتأمين سبل التعايش للشعب.

٤ - الأخذ في الاعتبار عند التخطيط، عمل التوفيرات الإنتاجية للدولة والتخزين الاحتياطي العام في وقت الأزمات الغير منظورة الطبيعية للدولة. وذلك حسب الإمكانيات المتاحة لمصلحة الدولة.

منهج التخطيط في قصة يوسف عليه السلام

(٦)

التخطيط في العلاقات الإنسانية

(من آية ٥٨ - ٦٥، ٨٨، ٩٠)

١ - تضمن تخطيط يوسف عليه السلام حين خطط يوسف للسنين السبع العجاف وجود احتياطي من القمح المخزون العام وذلك للعلاقات الإنسانية والتجارية مع الأمم والشعوب المجاورة لمصر والتي كانت تعاني من القحط.

٢ - من أول مراحل الخطة السبعية الثانية كان يوسف عليه السلام يقايض تلك الشعوب والقبائل بالقمح مقابل سلع ومشغولات معدنية ذات قيمة أو عملات نقدية.

٣ - بين يوسف عليه السلام عن العلاقات الإنسانية ومساعدة تلك الشعوب والقبائل من السنين الأخيرة للخطة السبعية الثانية بعد أن ندرت مواردهم ومساعدتهم وتغاضيه عن القيمة الحقيقية للمقايضة بالقمح.

منهج التخطيط في قصة يوسف عليه السلام

(٧)

التخطيط الأمني لحماية الدولة

(الآية ٦٧ حتى ٧٧)

هذه الآيات وإن قال المفسرون أنها تتحدث عن خوف يعقوب على أولاده من الحسد إلا أن فيها تلميحاً بأن مصر كانت ذات أسوار وأبواب لدوافع أمنية وبالتالي يمكن القول أنه:

١ ـ عندما عم القحط والجفاف أرض مصر والمنطقة كلها في السنين السبع العجاف ومع وجود مخزون كبير من القمح الذي يعتبر أهم وسائل الحياة في المرحلة القادمة.

٢ ـ فإنه من الطبيعي وضع خطة أمنية لحماية البلاد من الطامعين في السرقة وإن حدث خلل في الأمن (لا سمح الله) في تلك الفترة التاريخية فإن شعب مصر ستقع عليه الكارثة ولكن نجحت خطة يوسف عليه السلام وهذه رحمة وفضل من الله.

٣ ـ ولهذا فقد وضعت خطة أمنية لحماية دولة مصر من اللصوص والعابثين من ضعاف النفوس حتى لا تتعرض مستودعات القمح للنهب أو السلب أو السرقة في تلك السنوات السبع العجاف.

٤ ـ وضعت خطة سبعية أمنية عسكرية مشددة للحماية الأمنية على الحدود

وعلى مداخل وموانىء أرض مصر للقادمين إليها من قوافل تجارية وغير ذلك.

٥ - أما عن الحماية الأمنية بالداخل فقد وضعت خطة للحماية من السرقة والنهب والسلب بتشديد المراقبة على الإداريين وكذلك على مستودعات القمح والأسواق بالداخل.

٦ - أما عن الحماية الاقتصادية في الداخل فقد شددت المراقبة في الأسواق ومستودعات القمح خوفاً من الفساد أو التلاعب أو الغش فى الأسواق.

«منهــج البحــث»

المبحث الأول : التاريخ الاقتصادي من خلال بعض قصص القرآن الكريم.

المغزى الحق لعلوم التخطيط.

المبحث الثاني : علم التخطيط الفردي.

المبحث الثالث : تعليم الله عز وجل يوسف عليه السلام تطبيق علوم التخطيط.

المبحث الرابع : علوم التخطيط للدولة.

المبحث الخامس : منهج يوسف عليه السلام في التخطيط للدولة.

١ ـ الخطة المستقبلية البعيدة المدى.

٢ ـ الخطة السبعية الأولى.

٣ ـ الخطة السبعية الثانية.

٤ ـ الخطة السنوية العامة.

٥ ـ الدلالات التخطيطية في الإسلام لحياتنا الاقتصادية العملية.

المبحث السادس : السمات التخطيطية في العلاقات والتجارة بين الشعوب:

١ ـ تبادل التجارة بين الشعوب.

٢ - علم الأسعار.
٣ - علم الموازين والمكاييل.
٤ - اقتصاديات النقل لطرق قوافل التجارة بيْن الشعوب.

المبحث السابع : التخطيط العام لحماية الدولة.
أ - الحماية الأمنية في الداخل وعلى حدود البلاد.
ب - الحماية الاقتصادية.
جـ - تحليل التخطيط الأمني لحماية الدولة.

منهج تدريس التخطيط في جامعات المسلمين استرشاداً بخواطرنا حول قصة يوسف عليه السلام:

ولما كان بحثي هذا يستضيء منهجه بقصة يوسف عليه السلام فقد رأيت التبرك في البدء بها جملة وليرجع إليها القارىء كلما شاء.

سُورَةُ يُوسُفَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا
لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ
بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ
لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ
أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾
قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ
إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ
رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ
وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ
إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ
ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ
أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟
يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ
بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ
وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ

فَٰعِلِينَ ١٠ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ
لَنَٰصِحُونَ ١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ
لَحَٰفِظُونَ ١٢ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ
أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ١٣ قَالُواْ لَئِنۡ
أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ١٤
فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ
إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥ وَجَآءُوٓ
أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ
وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ
بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ
بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ
وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ
وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ
وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٩ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۢ بَخۡسٖ
دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠ وَقَالَ
ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ
أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ

أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ
أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾
وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ
وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ
إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا
لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ
وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا
ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ
قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ
أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ
ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ
مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ
هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ
﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا
عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾
فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ

كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ
وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ
كَرِيمٌ ٣١ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن
نَّفْسِهِۦ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا
مِّنَ الصَّٰغِرِينَ ٣٢ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ
إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَٰهِلِينَ
٣٣ فَاسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ٣٤ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ
حَتَّىٰ حِينٍ ٣٥ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ
إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ
رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ
الْمُحْسِنِينَ ٣٦ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا
بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ
مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ٣٧
وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ
لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَىْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى
النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ٣٨ يَٰصَٰحِبَىِ
السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَٰحِدُ الْقَهَّارُ

﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ
وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ
أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا
فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ
مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى
ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ
ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ
﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ
سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾
قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾
وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ
فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ
سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ
وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ
تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا
قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ

مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ
عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي
بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ
ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ
مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ
مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ
ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ
لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾
۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ
رَبِّيٓ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ
لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ
ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ
بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ
ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخْوَةُ
يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا
جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ
أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا

كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ٦٠ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ
وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ٦١ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ
لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
٦٢ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ
فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٦٣
قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن
قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤ وَلَمَّا فَتَحُوا۟
مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا
مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ
أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ٦٥ قَالَ لَنْ
أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ
أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ
٦٦ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ
مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا
لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ وَلَمَّا
دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم
مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ
لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ
إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾
فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ
أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟
عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ
وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ
لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ
﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ
مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن
وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ
وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾
قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ

إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ
قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم
مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ
ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ
﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ
وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ
﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ
وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ
فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ
يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾
قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا
أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى
وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾
يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟
مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ
﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ
وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ

إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم
بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ
لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا
وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ
ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾
ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا
وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ
ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن
تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾
فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟
يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ
أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا
دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟
لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا

رَبِّي حَقًّاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم

مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ

رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠ ۞ رَبِّ

قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي

مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ

نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ

١٠٢ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣

وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤

وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا

وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا

وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ

أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٠٧ قُلۡ هَٰذِهِۦ

سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ

ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ

إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي

ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ

وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩ حَتَّىٰٓ
إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ
نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ
١١٠ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ
حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ
وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١

تمهيـــد

أولاً:

عندما ندرس الآيات الكريمة التي ذكرت في سورة يوسف عليه السلام (الآية ٧ حتى الآية ١٨)، نجد أن أخوة يوسف عليه السلام فكروا في قتله، فبدأت القصة بالفكرة، وبعدها تشاوروا فيما بينهم حتى توصلوا وهم عصبة إلى التخطيط بإلقائه في غيابات الجب، وبدأوا في تنفيذ ما خططوا لـه وما اتفقوا عليه حتى نجحوا في زعمهم وظنوا أن القصة قد اكتملت برجوعهم إلى أبيهم يعقوب عليه السلام بهذه التمثيلية، وتوهموا أنهم قد نجحوا في إقناع أبيهم، ولكن النبي يعقوب عليه السلام توكل على الله وصبر على ما أصابه.

من هذا نجد أن الخطة الخاصة أو الفردية بدأت بفكرة تغيرت بعدها إلى خطة جماعية لها كيانها وهيكلها وتكوينها وأهدافهـا ومضمونهـا. وأرشدنـا الله تعالى منها إلى معرفة سمات جديدة في مفاهيم علوم الاقتصـاد، وهو علم التخطيط الفردي لمصلحة الفرد أو عدة أفراد لهدف اقتصادي أو اجتمـاعي سواء كان هدفاً مادياً أو معنوياً وليس له مدة معينة، وإنما يبدأ وينتهي بانتهاء تخطيط وتنفيذ الهدف الفردي المخطط له.

ثـانيـاً:

بين الله تعالى في كتابه العزيز أنه أرسل النبي يوسف عليه السلام لهدف

معين وهو التوحيد واستتبع ذلك إنقاذ شعب مصر والشعوب المجاورة من القحط.

فبدأ النبي يوسف عليه السلام تنفيذ ما علمه الله عز وجل من تأويل الأحاديث، فكانت الدرجة العلمية السنية التي ذكرت في الآيات (٦، ٢١، ١٠١) وبعد تلك المرحلة، جاءت المرحلة الثانية حيث بلغ يوسف أشده وآتاه الله حكماً وعلماً، كما ذكر في الآية (٢٢).

أما المرحلة الثالثة فهي تتعلق بتفسير الرؤيا... وقد ذكرت في الآيتين (٤١، ٥ بمعنى تحقيق رؤيا يوسف ومن الآية ٣٦ حتى الآية ٤٢) بمعنى أن الله علمه التأويل.

أما المرحلة الرابعة، فهي مرحلة خاصة ولا يصل إليها إلا من ارتضى - سبحانه وتعالى - من رسول وهي علم إنباء الغيب وقد ذكرت في الآيات (من ٩٣ حتى ٩٦ ومن الآية ١٠٢ حتى ١٠٦).

ثالثاً:

ذكرنا سالفاً أن يوسف عليه السلام أرسله الله عز وجل بدعوة التوحيد ولينقذ شعب مصر من القحط الذي أصابه... وحتى يقوم يوسف عليه السلام برسالته أعده الله تبارك وتعالى إعداداً عظيماً فبدأ بتفسير رؤيا السجينين الآيات (٣٦، ٣٧، ٤١) ثم ثنى بتفسير رؤيا ملك مصر كما ذكر في الآيات (من ٤٣ حتى ٤٨ من سورة يوسف).

ومن ذلك نستخلص فرعاً جديداً من سمات التخطيط في قصة يوسف عليه السلام هو علم التخطيط للدولة... فقد وضع يوسف عليه السلام على ضوء تفسيره لرؤيا ملك مصر الخطة المستقبلية للدولة لمدة أربعة عشر عاماً (الآية ٤٦) منها خطة سبعية أولى لمواجهة القحط وهي خطة سني الرخاء... وقد ذكرت في الآية ٤٧ من سورة يوسف، ثم وضع خطة سبعية ثانية لإنقاذ الشعب من محنته في سني القحط، وقد ذكرت في آية ٤٨ من سورة يوسف.

وعند تنفيذ الخطة السبعية الأولى، كان يوسف عليه السلام المسئول

الأول في مصر أمام الله والملك والشعب... وقد شيدت أثناء هذه الخطة المستودعات، وتم الاستعداد في كل مكان لمواجهة سني القحط القادمة لإنقاذ شعب مصر من المجاعة.

أما فيما يتعلق بالخطة السبعية الثانية فقد تم فيها توزيع الغلال والقمح من المستودعات التي سبق تشييدها في سني الرخاء. وبهذا تمكن يوسف عليه السلام من إنقاذ شعب مصر من الجوع، لأنه استطاع بقدرة الله عز وجل أن يتحمل أعباء المسئولية كاملة... وفي مقابل تحمل هذه الأعباء والمسئوليات طلب يوسف عليه السلام من الملك: السلطات إذ أنه من المعلوم إدارياً أن تعادل الواجبات والمسئوليات السلطات المخولة قال يوسف للملك:

﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾

من سورة يوسف.

وهكذا فإن علم التخطيط كعنصر من عناصر الإدارة العامة للدولة يعتبر من أهم المقومات في العلوم الاقتصادية التي أكدتها قصة يوسف عليه السلام.

رابعاً:

بعد أن أنقذ يوسف عليه السلام شعب مصر والشعوب المجاورة من المجاعة بفضل الله في تنفيذ خطتيه الأولى والثانية... بدأ يفكر في خطة جديدة تضمن الرخاء لشعب مصر... فوضع الخطة السنوية العامة للدولة. وقد أشارت إليها الآية (٤٩)، ومنها يتضح أن يوسف عليه السلام بعد أن اجتاز الأزمة الاقتصادية وتخطى سني القحط بدأ مرحلة جديدة من مفاهيم التخطيط للدولة العصرية وهي وضع الخطة السنوية والهيكل العام لها حسب الميزانيات السنوية للدولة... فكان تحديد مدة الخطة وأهدافها وخواصها ونوعها، كل ذلك من علوم التخطيط للدولة.

خامساً:

من الخطتين السبعيتين الأولى والثانية والنجاح في تطبيقهما عرفنا علم التخطيط للعلاقات الإنسانية مع الشعوب والقبائل المجاورة، وذلك من خلال التبادل والتعاون الذي ظهر بين قوافل التجارة وبين الشعوب، وهذا وارد في الآيات الكريمة (من ٥٨ حتى ٦٥) حيث ظهر فيها كيف تتم المعاملات والعلاقات الاقتصادية بين الشعوب التي تعتمد على تبادل التجارة مع الشعوب المجاورة.

ومن المفاهيم التي تعلمناها من قصة يوسف عليه السلام علم الأسعار حيث أشارت الآية (٢٠) من السورة إلى أحد مراتب الأسعار وهي الثمن البخس.

كما تعلمنا أيضاً علم التقدير بالموازين أو المكاييل، استنباطاً من الآيات (٦٣، ٦٥، ٨٨) وهو من العلوم الاقتصادية الهامة في تحديد العلاقة بين المشتري وبين البائع. والمكاييل والموازين يحققان العدالة ويثبتان القيم الاقتصادية.

ومن الآيتين (١٩، ٨٢) وضح لنا باب جديد هو طرق التجارة الإنسانية بين مصر وبين الشعوب والدول المجاورة.

كل هذه العلوم الاقتصادية وفروعها تعتبر من المدلولات والمفاهيم التي تكمل التخطيط وتثبت العلاقات الدولية وتؤكد رسوخها.

قال جل ذكره:

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ٦٣﴾

الآية (٦٣) من سورة يوسف.

﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ ﴾

الآية (٦٥) من سورة يوسف.

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

الآية (٨٨) من سورة يوسف.

سادساً:

عندما حدث القحط في مصر، كان من الطبيعي أن يتأثر الشعب والقبائل المجاورة بذلك.

وقد تعامل يوسف عليه السلام مع هذه الشعوب بتخطيط تجاري منظم كي يجنبهم أخطار المجاعة والقحط العام، وعندما نتفحص ملياً ـ في ذلك العصر ـ آثار تلك المحنة، فإنه من الطبيعي أن تكثر السرقات في الداخل بالسلب والنهب والسطو على مستودعات القمح أو الغش أو التلاعب.

لذلك تُعلمنا قصة يوسف عليه السلام كيف تم وضع التخطيط العام على أسس أمنية لحماية مستودعات القمح من العابثين واللصوص، وأنظمة محكمة في توزيع الغلال والقمح، ومراقبة الأسواق التجارية من الغش والتلاعب، حتى تعم الطمأنينة، وتتحقق العدالة. وقد ألمحت إلى ذلك الآيات (من ٦٧ حتى ٧٥)[1].

---

(١) انظر ص ١٩، ص ٢٠ من هذا المبحث.

وعلى ضوء تبادل التجارة الإنسانية بين مصر وبين الشعوب المجاورة تُعْلمنا قصة يوسف عليه السلام بالتخطيط للدولة وحماية العلاقات الإنسانية بين مصر وبين الشعوب الأخرى سواء كنظام أو عرف أو معاهدات... وحددت هذه العلاقة بين الشعوب بالذات في ذلك الوقت، وذلك بوضع المفاهيم بينهما لتأمين طرق قوافل التجارة بين الشعوب من العابثين واللصوص.

من هذا يتضح لنا المغزى الحق لعلوم التخطيط، والحكمة الإلهية في إرسال الله تعالى يوسف عليه السلام برسالة التوحيد وإنقاذ شعب مصر ومن جاوره من المجاعة والقحط الذي أصاب البلاد سبع سنوات، فآمنهم من الجوع والموت، وذلك بفضل الله تعالى.

إن القصة تبين لنا معالم واضحة القسمات للاقتصاد والتخطيط، وذلك بوضع لبنات قوية في حياتنا الاقتصادية مبنية على أساس من كتاب الله وهدى أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، وما أحرانا أن نستلهم من ذلك ما يرشدنا إلى سواء السبيل، ويبني لنا حياة أفضل ننعم فيها بالعيش الرغيد، والتوجيه السديد في جوانب التخطيط والاقتصاد.

والله ولي التوفيق،،،

فهرس المبحث الأول:

أولاً : التاريخ الاقتصادي من خلال بعض قصص القرآن الكريم :

١ ـ أهمية دراسة تاريخ الأمم والشعوب.
٢ ـ تقسيم التاريخ ومدلولات بعض قصص القرآن الكريم.
٣ ـ أهمية دراسة التاريخ الاقتصادي لقصص القرآن الكريم.

ثانياً: المغزى الحق لعلوم التخطيط في قصة يوسف عليه السلام:

أ ـ تفسير قوله تعالى:

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾

الآية (٣).

الباب الأول: أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة.

الباب الثاني: التاريخ الاقتصادي والتخطيطي لقصة يوسف عليه السلام.

ب ـ تفسير قوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾

الآية (١١١)

الباب الأول: أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة.

الباب الثاني: التاريخ الاقتصادي والتخطيطي لهذه الآية.

المبحث الأول:

أولاً: التاريخ الاقتصادي من خلال بعض قصص القرآن الكريم:

أنـزل الله تعالى القـرآن هدى ورحمـة للعـالمين ونـوراً يهـدي طـريق حياتنا. . . وقد تناولت قصص القرآن موضوعات شتى، تعتبر تشريعات أساسية لحياتنا والذي يعنينا منها هنا الجوانب الاقتصادية.

واختياري لدراسة التاريخ الاقتصادي في القرآن الكريم يعتبر الأساس والركيزة الأولى- لمفاهيم العلوم الاقتصادية. . . فقد بين لنا كتاب الله الأمثلة والعبر والقصص القرآنية التي تنير قلب كل مسلم فهو منارة الهدى والنبراس المرشد لحياتنا بصفة عامة.

وعندما نتابع ما كتبه أفاضل العلماء عن القصص القرآنية والتاريخية نجد أنهم فسروها وشرحوهـا من النواحي اللغـوية والفقهيـة. . . أما فيمـا يتعلق بالمدلولات والمفاهيم الاقتصادية والمالية والتجارية والإدارية. . . فقد قمت بتحليل ذلك من خلال فهمي لمعاني آيات القرآن الكريم التي أعرض لها، وذلك بهدف بناء حاضرنا والتطلع إلى مستقبل كريم مشرف على أساس من المبادىء الإسلامية الصحيحة التي ذكرت في آيات القرآن الكريم.

١ ـ أهمية دراسة تاريخ الأمم والشعوب:

عندما نبحث في الكتب الجامعية أو ما أصدرته دور النشر العربية المختلفة أو ما تحويه مكتبات هيئة الأمم المتحدة والتي تبحث جميعها عن آثار تاريخ البشرية القديم منذ بدء الخليقة نجد أن علم التاريخ هو أساس الحياة القديمة لكل أمة وشعب... فهو يوضح معيشتهم وأسلوب حياتهم.

وهكذا فإن التاريخ الاقتصادي هو الآخر يعتبر الزاوية في تاريخ الشعوب. فالتاريخ في نظر العلماء يقوم على أساس الرواية والمصدر والمرجع والمقولات، كما أن تاريخ البحث عن الذات في بناء الحاضر يعتمد على بحث جذور الماضي ليبني المستقبل... ولهذا اخترت الكتابة في التاريخ الاقتصادي من وحي القصص القرآني لأنه الركيزة الاقتصادية للتاريخ ولأسلوب حياتنا اليومية.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن... لماذا ندرس تاريخ الأمم والشعوب...؟

وقبل أن نجيب على هذا السؤال ينبغي أن نشير إلى دور التعاون الدولي بين شعوب الأرض المتحضرة وكذلك ما تقوم به هيئة الأمم المتحدة في مجالات البحث عن الأمم والشعوب الغابرة... ويطالعنا العلماء والمهندسون كل يوم بكشف جديد في إحدى بقاع الأرض ووجود بقايا أمم وشعوب كانت تعيش في عصور شتى... وبالتالي فإن الهيئات الدولية والجامعات في أنحاء العالم تحاول أن تبرز حضارات تلك الأمم لتنير الطريق وتوضح التاريخ القديم والحديث لحياة هذه الشعوب لتكون الأساس والأسلوب في الحياة الاقتصادية...

ولهذا فإن دراسة التاريخ الاقتصادي لمثل هذه الأمم الغابرة لها أهمية بالغة في عصرنا هذا... حيث أنها تحتوي على تجارب وخبرات الأولين والتي من شأنها إيضاح الكثير من جوانب الحياة الاقتصادية المختلفة...

٢ ـ تقسيم التاريخ ومدلولات بعض قصص القرآن الكريم:

قسم العلماء تاريخ الأمم والشعوب منذ بدء الخليقة حتى وقتنا الحاضر إلى عهود وأقسام شتى سواء في العصور الغابرة أو بعد ولادة المسيح عليه السلام أو في القرون الوسطى والحديثة.

أما تاريخنا الإسلامي فقد بدأ بالتاريخ الهجري الإسلامي وبعدها قسموا تاريخنا الإسلامي إلى عصور وقرون...

ولقد أرشدنا الله تعالى في كتابه العزيز من خلال القصص القرآني إلى العديد من الأمثلة التاريخية والمفاهيم الاقتصادية والمالية والتجارية والاجتماعية وغير ذلك التي تكشف عن حقائق الأمم الغابرة والشعوب التي اندثرت قال تعالى: **﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾**[1]، وقال سبحانه على لسان شعيب عليه السلام لقومه: **﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾**[2]، وانظر هامش الصابوني على مختصر الطبري في تفسير قوله تعالى: **﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم﴾** الآية ٢٨٢ من سورة البقرة ليتأكد لك أن الإسلام دين شامل لكل جوانب الحياة... ولهذا فإن التاريخ الاقتصادي لقصص القرآن الكريم يعتبر من العلوم الأساسية التي يهتم بها ديننا الحنيف.

ويهمنا في دراستنا للقصص القرآني المدلولات والمفاهيم الاقتصادية... فإن لكل قصة درساً وعظة اقتصادية تفيْدنا في حياتنا وأنظمتنا الاقتصادية... وفيما يلي لمحات عن بعض القصص القرآني...

فمن خلال قصة آدم عليه السلام ندرك كيف انتقل من الجنة ونزل إلى الأرض ليدبر حياته الاقتصادية اليومية ووجوده في الأرض ومعايشة رزقه اليومي

(١) النمل (٦٩).
(٢) الشعراء ١٨١، ١٨٢، ١٨٣.

وكذلك نسله من بعده ليعمروا الأرض... كما قال الله تعالى في سورة الأعراف...

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾

الآية (١٠).

وقال سبحانه: ﴿وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين﴾[1] وقال سبحانه: ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾[2]. أما فيما يتعلق بقصة يوسف عليه السلام ففيها من الجوانب الاقتصادية التخطيطية الشيء الكثير... وقد تناولت في بحثي هذا قصة يوسف عليه السلام وما تضمنته من مفاهيم اقتصادية كثيرة مثل التخطيط والإدارة والتسويق والكيل والميزان والحماية الأمنية الاقتصادية... إلخ.

وإذا قرأنا قصة قابيل وهابيل نجد أن كلاً منهما قد انشغل بحياته الاقتصادية اليومية من الرعي إلى الزراعة إلى أن تسلل الشيطان لإفساد ما بينهما بما بثه فيهما من الحسد والطمع والحقد.

وفي قصة شعيب عليه السلام كما سبق نجد الكثير من المدلولات الإقتصادية مثل الكيل والميزان والعدل بين الناس.

وتضمنت قصة موسى عليه السلام... العديد من المفاهيم الاقتصادية مثل العمل بيده وبأجر وكذلك الهجرة الجماعية وتدبير ومسئولية موسى عليه السلام نحو قومه وما يلزمهم في حياتهم الاقتصادية الجديدة.

وفي قصة قارون نلاحظ التكالب على جمع المال وطمع الإنسان وغواية الشيطان له والمال الذي لا ينفع الإنسان إلا إذا أنفقه في أوجه الخير... وعلى ضوء ما جاءت به الشريعة الإسلامية.

---

(١) (١٠) فصلت.

(٢) آية (١٥) سورة الملك.

أما في قصة داوود عليه السلام... ففيها مفاهيم اقتصادية يجب أن نتعلمها فقد عمل داوود بيده واجتهد في الصناعة وخاصة صنعة الحديد وآلاتها.

وفيما يتعلق بقصة سليمان عليه السلام... فهي تحتوي على مدلولات ومفاهيم شتى في التحدث والفهم والتعمق في عالم الطيور والحيوانات وغير ذلك وعلاقته بمملكة سبأ... فهي دراسة اقتصادية تاريخية لأمم أعطاها الله النعمة والعلوم المختلفة.

وهناك قصة أصحاب السبت الذين اعتدوا على سبتهم ويمكن الاستفادة من هذه القصة العبرة من شتى نواحي الاقتصاد... فهي تعطينا الكثير من الملامح في الجغرافيا الاقتصادية والهندسية سواء لموقع المدن والقرى والرواج الاقتصادي والنظام الاقتصادي.

أما قصة أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام... فهي قصة طويلة مليئة بالعبر والعظات... والذي يهمنا منها النواحي الاقتصادية وتاريخها ومدى ما يستفاد منها، لتكون بمثابة النور لحياتنا الاقتصادية اليومية... وكذلك إسماعيل عليه السلام وهجرته وإنشاء وتأسيس أول بيت في مكة المكرمة...

وأخيراً يوجد في القرآن الكريم القصص الكثيرة المتعددة، ولكني اخترت بعضها لأن الله تعالى أرشدنا إلى علوم كثيرة جمة، والذي يخصنا منها الجوانب الاقتصادية لتكون لنا النور والهدى، فهي بمثابة تشريعات أبدية لحياتنا الاقتصادية.

وقد علق الشيخ السيد عبد الحافظ عبد ربه[1] على قصص القرآن ومنها قصة يوسف عليه السلام في كتابه «بحوث في قصص القرآن» بقوله:

لقد عرض القصص القرآن كله لأحداث تاريخية مضى بها الزمن... فهو مصدر يوصف بأنه أصدق الحديث في كل ما أخبر به. فهو أصدق

---

(١) الشيخ السيد عبد الحافظ عبد ربه ـ بحوث في قصص القرآن ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ص ٥١.

الحديث في جميع قصصه «وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم»[1]. . :

ويلاحظ أن القصة التاريخية التي يكتبها بشر في جميع عهودها وأطوارها تغتذي بالخيال الذي يلون الأحداث بغير ألوانها الحقيقية. . . وتعتمد على ذلك في إثارة الانتباه. . . وإلهاب العواطف. . . وتجديد الرغبة التي تدفع بالنفس إلى تجميع المدارك والإنصراف عن مختلف الشئون. لتتمكن آثارها في الشخصيات من سهولة الرياضة النفسية على مختلف الصفات التي تنهض بالأمم. وتقتاد الجماعات.

وأما القرآن الكريم فهو يعتاض عن ذلك الخيال بسحر بيانه. . . وقوة أخذه ودقة اعتباراته في تصويره العجيب الذي أنطق القلوب القاسية بالشهادات الصادقة دون أن يشعروا بما يقولون. فقالوا: إن أعلاه لمثمر. وإن أسفله لمغدق. وإن له لحلاوة. وإن عليه لطلاوة. وما يقول هذا بشر. . .

وكما علّق الشيخ الإمام عبد الحليم محمود[2] على قصة يوسف عليه السلام في كتابه «الفتاوى» بقوله:

قال تعالى: ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾ أي في خبره وخبر إخوته فالذين أوقعوا سيدنا يوسف في الجب هم إخوته من أبيه فقط.

وقد اختلف في موقع الجب أي البئر الكبير، فقيل ببيت المقدس وقيل بأرض الأردن. وقد أورد الله سبحانه وتعالى قصة يوسف وإخوته في القرآن الكريم من أجل العبر والعظات الكثيرة التي تؤخذ منها، والواقع أن السورة الكريمة سورة يوسف، مليئة بما يجب التأمل فيه والتروي، والله سبحانه وتعالى يشير إلى ذلك في هذه السورة على الخصوص إذ يقول في مفتتحها: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾ ويقول في آخر السورة: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب. . . لقوم يؤمنون﴾.

فعلينا أن نتجه إلى عظات هذه السورة وعبرها لعل الله ينفعنا بها.

---

(١) الزخرف آية (٤).

(٢) فتاوى الإمام عبد الحليم محمود ـ الجزء الثاني ـ ص ٤١٦.

٣ ـ أهمية دراسة التاريخ الاقتصادي لقصص القرآن الكريم:

ترجع أهمية دراسة التاريخ الاقتصادي لقصص القرآن الكريم إلى ما تحتويه هذه القصص من مفاهيم اقتصادية وإدارية ومالية وتجارية... يستفيد منها المسلمون في مختلف مجالات حياتهم.

ويدرس طلبة الجامعات في أنحاء العالم التاريخ الاقتصادي القديم حتى العصر الحديث... إلا أنهم لم يدرسوا التاريخ الاقتصادي من قصص القرآن الكريم... رغم أن مثل هذه الدراسة تعتبر الركيزة الدينية التي تخدم حياتهم الاقتصادية... والتي يجب العناية بها وإلقاء المزيد من الضوء عليها.

ولقد تضمنت قصص القرآن الكريم العديد من الأمثلة والدروس التي تشمل مفاهيم ومدلولات اقتصادية لها تأثير بالغ في حياتنا اليومية...

وفي مجال أهمية دراسة القصص القرآني علق الشيخ السيد عبد الحافظ عبد ربه[1] على قصة يوسف عليه السلام في كتابه «بحوث في قصص القرآن الكريم» بقوله:

يستهل الله سبحانه سورة يوسف بقوله: **﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾**... ويختمها بقوله: **﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثاً يفترى. ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء. وهدى ورحمة لقوم يومنون﴾** ويدل المجموع من ذلك على أمور:

أ ـ أن القصص القرآني أحسن القصص. وجدير به أن يكون أحسن القصص لأنه كما قال سبحانه في الآية السابقة: **﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾** ولقوله تعالى: **﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾**[2] ولأنه حق لا يتطرق

---

(١) الشيخ السيد عبد الحافظ عبد ربه ـ بحوث في قصص القرآن ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ص ١٦١، ١٦٢، ١٦٣.

(٢) الآية (١٢٠) سورة هود.

إليه الريب. فليس تخيلات ولا خرافات كما زعم اللاعبون المرجفون. ولأنه موعظة وذكرى لقوم يؤمنون...

وكيف لا يكون أحسن القصص. وقصة زليخا مع يوسف عليه السلام توجه كل نفس إلى كل طهر وقدس. بما ضرب الله سبحانه من المثل في جهاد الصديق مع نفسه. وفي مقاوماته لبنات جنسها اللاتي يقول فيهن أخوة وحبيبه محمد ﷺ: «ما تركت فتنة بعدي أضر على الرجال من النساء»... وهذه السورة نفسها تصوره سجيناً في الحق بعد أن ألقى في غيابة الجب. وانتهى به صبره وطهارته وقدسه إلى رسالة سامية وملك عريض. عفا فيه عن كل من أراده بسوء. وأحسن فيه إلى كل مسيء حاسد حقود... وكان شعاره مع الجميع عملاً بما ورد في الآية (٩٢) من سورة يوسف: ﴿**قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم...**﴾.

وما أكثر ما فيها من عبر وعظات. كانت سبباً في أن يستهل الله ما فيها من أنباء عجيبة بأنها أحسن القصص وأكرمه هدفاً وأرفعه مسلكاً وخلقاً.

ب ـ هذا القصص كغيره من القصص القرآني عبرة لأولي الألباب. واستصلاح لذوي النفوس الكريمة دون النفوس الغادرة اللئيمة... وجدير به أن يكون عبرة لأولي الألباب وقد قلب أوضاع العرب. وأحدث فيهم ثورة على كل الرعونات. وعدولاً عن الحماقات والانحرافات.

جـ ـ ليس حديثاً مفترى كما زعمت مدرسة التمثيل والتخييل في قصص القرآن... لأن الفرية إنما يلجأ إليها من يحاول زخرفة القول وتقريبه من نفس القارىء أو السامع... ولكن الله سبحانه أغنى القرآن عن ذلك بزخرف البلاغة. وجمله بروائع الفصاحة. فلا مجال لما بنى عليه التمثيليون مما هو أوهن من بيت العنكبوت ﴿**وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون**﴾[1].

---

(١) الآية (٤١) من سورة العنكبوت.

د ـ إن هذا الحديث تصديق الذي بين يديه من كتب الله السماوية التي لم تصل إليها يد البشر بالتحريف والتعديل. والتي لا تختلف بعضها عن بعض فيما تورده من هداية إلا بما تختلف به في بعض الأحكام لاختلاف الظروف والملابسات مسايرة لمصالح الناس على اختلاف أزمنتهم. وتفاوت ملابساتهم. وتطور نظمهم وأحوالهم... حتى يكون الدين علاجاً مسايراً لكل عصر. وتنظيماً صالحاً متناسقاً.

هـ ـ وهو تفصيل كل شيء يحتاج إليه الناس. وهدى ورحمة لقوم يؤمنون. والهدى والرحمة من لوازمه. فأي هدف يسامي تلك الأهداف؟ وأي رفعة وأصالة في كلام تتطاول إليه ما في ذلك الكتاب؟

ثانياً: المغزى الحق لعلوم التخطيط في قصة يوسف عليه السلام:

تفسير قوله تعالى:

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾

آية (٣).

١ - أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة.

وأورد فيما يلي تفسير بعض العلماء الأفاضل للآية (٣) من سورة يوسف:

قال الإمام الطبري[١]:

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ﴿نحن نقص عليك﴾ يا محمد ﴿أحسن القصص﴾ بوحينا إليك هذا القرآن فنخبرك فيه عن الأخبار الماضية وأنباء الأمم السابقة والكتب التي أنزلناها في العصور الخالية ﴿وإن كنت﴾ يا محمد من قبل أن نوحيه إليك لمن الغافلين عن ذلك لا تتعلمه ولا شيئاً منه.

وجاء في تفسير الجوزي[٢]:

قوله تعالى: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾.

وقد خصت بسبب آخر؛ فروي عن سعيد بن جبير قال: اجتمع أصحاب

---

(١) الإمام الطبري سورة يوسف. آية (٣) ص (٨٠) م(٣).
(٢) الإمام ابن الجوزي سورة يوسف آية (٣) ص (١٧٧ حتى ١٧٩) م (٤).

محمد ﷺ وإلى سلمان فقالوا: حدثنا عن التوراة فإنها حسن ما فيها، فأنزل الله تعالى: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ يعني: قصص القرآن أحسن مما في التوراة. قال الزجاج والمعني: نحن نبين لك أحسن البيان، والقاص: الذي يأتي بالقصة على حقيقتها.

قال العلماء: وإنما سميت قصة يوسف أحسن القصص، لأنها جمعت ذكر الأنبياء والصالحين، والملائكة، والشياطين، والأنعام، وسير الملوك والمماليك، والتجار والعلماء والرجال والنساء وحيلهن، وذكر التوحيد، والفقه والسير، وتعبير الرؤيا والسياسة والمعاشرة، وتدبير المعاش، والصبر على الأذى، والحلم، والعز، والحكم إلى غير ذلك من العجائب.

وجاء في تفسير الإمام الرازي[1]:

المسألة الأولى: روى سعيد بن جبير أنه تعالى لما نزل القرآن على رسول الله ﷺ وكان يتلوه على قومه، فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا فنزلت هذه السورة فتلاها عليهم.

المسألة الثانية: القصص اتباع الخبر بعضه بعضاً وأصله في اللغة المتابعة قال تعالى: ﴿وقالت لأخته قصيه﴾ أي اتبعي أثره وقال تعالى: ﴿فارتدا على آثارهما قصصاً﴾ أي اتباعاً وإنما سميت الحكاية قصصاً لأن الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئاً فشيئاً.

والفائدة الثانية: دلالتها على أن الحسد سبب للخذلان والنقصان.

والفائدة الثالثة: أن الصبر مفتاح الفرج كما في حق يعقوب عليه السلام فإنه لما صبر فاز بمقصوده، وكذلك في حق يوسف عليه السلام.

وقال الإمام القاسمي[2]:

---

(١) الإمام الرازي سورة يوسف آية (٣) ص (٨٤، ٨٥) م(٦). انظر تفسير:
الإمام القرطبي سورة يوسف (٣) ص ٣٣٤٨.
الإمام الشوكاني في فتح القدير سورة (يوسف آية ٣)

(٢) الإمام القاسمي من تفسير سورة يوسف. ص ٢١٠.

﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ أي أبدعه طريقة، وأعجبه أسلوباً، وأصدقه أخباراً، وأجمعه حكماً وعبراً ﴿بما أوحينا إليك﴾ أي بإيحائنا إليك ﴿هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ أي عنه، لم يخطر ببالك.

وجاء في تفسير الشيخ المراغي[1] قوله:

أي نحن نقص عليك ونحدثك أحسن ما يقص ويتحدث عنه موضوعاً وفائدة لما يتضمنه من العبر والحكم بإيحائنا إليك هذه السورة من القرآن الكريم. إذ هي الغاية في بلاغتها، وتأثيرها في النفس، وحسن موضوعها، وقد كنت من قبل ذلك في زمرة الغافلين عنه من قومك الأميين الذين لا يخطر على بالهم التحديث بأخبار الأنبياء وأقوالهم وبيان ما كانوا عليه من دين وشرع. كيعقوب وأولاده وهم في بداوتهم، ولا ما كان فيه المصريون الذين جاء يوسف إليهم وهم فيما هم فيه من حضارة وترف، ولا ما حدث له في بعض بيوتات الطبقة العليا الراقية، ولا حاله في سياسة الملك، وإدارة شئون الدولة، وحسن تنظيمها.

وقال الشيخ محمود حجازي[2] في تفسيره

نحن نقص عليك أيها الرسول أحسن القصص والحديث بياناً وأسلوباً وإحاطة وكمالاً من كل ناحية وأحسن ما يقص ويتحدث عنه في الموضوع والغاية، فالقرآن كامل في قصصه شكلاً وموضوعاً نحن نقصه بإيحائنا إليك هذه السورة من القرآن، إذ جاءت فيها قصة يوسف كاملة تامة مفصلة، مع اشتمالها على ما يوضح العقيدة ويثبتها، ويبين أثرها في حياة الفرد والجماعة. وإن كنت يا محمد من قبل هذا لمن الغافلين، شأنك شأن قومك لا يعرفون من أخبار الماضين وغيرهم شيئاً.

وأدلى الشيخ طنطاوي جوهري[3]:

(١) الشيخ المراغي تفسير سورة يوسف آية ٣ ص ١١٣ م(٤).
(٢) الشيخ محمود حجازي ـ سورة يوسف آية (٣) ج(١٣) م(٢) ص (٦٣).
(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم ـ الشيخ طنطاوي جوهرى ـ الجزء السابع ـ ص ٢١

﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ أي نبين لك أحسن البيان لأنه جاء على أبدع الأساليب أو أحسن الذي يقص لما فيه من العجائب والحكم والآيات والفوائد النافعة في الدنيا والدين كسير الملوك والمماليك، وحسن السياسة، وتدبير الملك، وإقامة العدل، ونظام الدولة، ومكر النساء، والاصطبار على الأذى، والعفو والتجاوز عن هفوات الأقارب، والقصص مشتق من قص أثره إذا تبعه، فإن الذي يقص الحديث. يتتبع ما حفظ منه شيئاً فشيئاً كما يتتبع القاص الأثر شيئاً فشيئاً.

التاريخ الاقتصادي والتخطيطي لقصة يوسف عليه السلام

عندما نقرأ قصة يوسف عليه السلام والتي ذكرت في القرآن الكريم وما كتبه أفاضل العلماء في تفسيرها... نجد تحليلات مختلفة لقصة يوسف عليه السلام تشمل المعاني الفقهية واللغوية.

إلا أن تحليلي لهذه القصة هو من جانب اقتصادي بحث للمفاهيم والسمات الاقتصادية في مغزى علوم التخطيط.

ذكر الله تعالى في كتابه الكريم:

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣

الآية (٣) من سورة يوسف.

وفيما يلي بعض النقاط التحليلية:

- لقد أرسل الله تعالى الأنبياء والرسل لهداية البشر وعبادته وحده سبحانه وتعالى، وكل نبي أو رسول له معجزاته الخاصة بقومه.

فمثلاً كانت مصر في عهد الفراعنة تشتهر بالعلم سواء في الكيمياء أو التحنيط وسائر العلوم الأخرى وكان السحرة على درجة عظيمة وكان السحر فناً له أصوله وقواعده وقد برعوا فيه في ذلك الوقت.

ولهذا نجد أن الله تعالى أعطى موسى عليه السلام معجزة تفوق بها على سحرة ذلك الوقت وهي انقلاب العصا إلى حية وكذلك انفلاق البحر.

أما يوسف عليه السلام فإن ما أيده الله تعالى به من تفسير الرؤيا وعلم التخطيط للدولة يفوق ما عرف في زمنه... من هذا نستنتج مغزى التاريخ الإقتصادي لقصة يوسف عليه السلام.

ب - بين الله تعالى قصصاً وأمثلة في القرآن الكريم كثيرة وكل منها ترمي إلى أهداف معينة شرحها أفاضل العلماء والفقهاء من جوانب شتى ولكن قصة يوسف لها جانب اقتصادي آخر ذكره الله تعالى لنا ليكون الدعامة الاقتصادية في حياتنا.

كذلك بين الله تعالى أن قصة يوسف عليه السلام هي من أحسن القصص وقد شرح أفاضل العلماء معنى أحسن من الناحية الفقهية واللغوية وأضيف إلى ذلك ما يختص بناحية المفاهيم الاقتصادية، فقصة يوسف عليه السلام لها معانٍ ومدلولات كثيرة خاصة فيما يتعلق بالجانب الاقتصادي وبالذات في فرع علوم التخطيط بأنواعه.

بين الله تعالى في قصة يوسف عليه السلام علماً من العلوم التي تعلمها يوسف عليه السلام من ربه وهو تأويل الأحاديث وتفسير الرؤيا.

جـ - ذكر الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

الآية (٤٣) من سورة يوسف.

وهكذا يتضح لنا أن تفسير يوسف عليه السلام لرؤيا الملك هو مفهوم اقتصادي تخطيطي، فالآيات (٤٧، ٤٨، ٤٩) من سورة يوسف، ترشد إلى ذلك:

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا
تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا
تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾

د ـ وكذلك بين الله تعالى في قصة يوسف نموذجاً من قدرة الله تعالى بإنقاذ شعب مصر والشعوب المجاورة بتفسير يوسف عليه السلام للسبع سنوات الرخاء وكذلك السبع سنوات العجاف والقحط. . . ولذلك اختلفت هذه القصة عن باقي القصص القرآنية بما تضمنته من جانب اقتصادي تمثل في وضع الخطة العامة المستقبلية للدولة وتقسيمها إلى خطتين منفصلتين كل خطة حددت بمدة زمنية (سبع سنوات).

هـ ـ اختار الله تعالى يوسف عليه السلام لينقذ شعب مصر من الكارثة التي كانت ستحل به، فعلمه تفسير رؤيا الملك، فكان تفسيره الخطة الحكيمة الموضوعة على أسس سليمة، وبها استطاع أن يواجه ما سيؤول إليه حال شعب مصر، ويجنبه سوء العاقبة.

فقال للملك: ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾. . . فصار بذلك الوزير المسئول أمام الله ثم الملك والشعب، والمخطط لإنقاذ مصر من القحط والمجاعة حتى تعبر مصر أزمتها الشديدة. ذلك. . . لأن الله خلق الإنسان على الأرض ليعمرها ويعيش عليها.

قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾

الآية (١٠) من سورة الأعراف.

و ـ ولولا تفسير يوسف لرؤيا الملك ووضعه وتطبيقه للخطة التي وضعها لإنقاذ شعب مصر لكانت الكارثة. . . إذن يتضح لنا أن وصف الله قصة يوسف بأحسن القصص لم يكن إلا لإثبات عقيدة التوحيد وإظهار مدلولات التخطيط والبراعة في تطبيق المفاهيم الاقتصادية.

ز ـ من هذا يتبين لنا أن قصة يوسف عليه السلام هي عبرة لنا ولأجيالنا، فقد تجلت معجزة الله عز وجل في إنقاذ شعب مصر من هلاك محقق بإلهامه سبحانه وتعالى يوسف عليه السلام أن يضع الخطة اللازمة وينفذها لإنقاذ شعب مصر والشعوب المجاورة.

بعدما سبق ذكره من آراء السادة العلماء الأفاضل في تفسير قوله تعالى: ﴿**نحن نقص عليك أحسن القصص**﴾ نرى لزاماً علينا أن نقف وقفة تأمل واعتبار عند قوله تعالى:

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

الآية (١١١) من سورة يوسف.

من خلال هذه الوقفة وهذا التأمل تتجلى حكمة الله تعالى فيما ورد في قصص الأنبياء حتى تكون عظة لأصحاب العقول فيتخذونها هادياً لهم في كل أمورهم، وليعلموا أن هذا القول حق لأنه صادر من المولى عز وجل ومصدق لما بين يدي محمد ﷺ من الكتب السماوية التي نزلت على من قبله من أنبياء ورسل، كما أنه مفصل لكل أمور الدنيا والدين من حلال وحرام، فمن اتبعه وعمل بما فيه كان له هدى ورحمة.

وها نحن أولاء نثبت ما ورد من أقوال بعض المفسرين حول الآية (١١١) من سورة يوسف، لنشهد معاً عظمة القرآن وحكمة الرحمن فيما أنزله على نبي البيان محمد ﷺ.

تفسير قوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾

آية (١١١).

٣ ـ أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة.

وفيما يلي ما ورد في تفسير بعض المفسرين للآية رقم (١١١) من سورة يوسف:

قال الإمام الطبري[1]:

لقد كان في قصص يوسف وإخوته عبرة لأهل الحجا والعقول يعتبرون بها وموعظة يتعظون بها وذلك أن الله جل ثناؤه بعد أن ألقى يوسف في الجب ليهلك ثم بيع بيع العبيد بالخسيس من الثمن وبعد الأسار والحبس الطويل ملكه مصر ومكن له في الأرض وأعلاه على من بغاه سواء من إخوته وجمع بينه وبين والديه وإخوته بقدرته بعد المدة الطويلة وجاء بهم إليه من الشقة النائية البعيدة فقال جل ثناؤه للمشركين من قريش من قوم محمد ﷺ لقد كان لكم أيها القوم في قصصهم عبرة لو اعتبرتم... إن الذي فعل ذلك بيوسف وإخوته لا يتعذر عليه أن يفعل مثله مع محمد ﷺ فيخرجه من بين أظهركم ثم يظهره عليكم ويمكن فيه في البلاد ويؤيده بالجند والرجال من الأتباع والأصحاب وإن مرت به شدائد وأتت دونه الأيام والليالي والدهور والأزمان وقوله: ﴿ما كان حديثاً يفترى﴾ يقول تعالى ذكره ما كان هذا القول حديثاً يختلق ويتكذب، ويتخرص. (ولكن تصديق الذي بين يديه) يقول ولكنه تصديق الذي بين يديه من كتب الله التي أنزلها قبله على أنبيائه كالتوراة والإنجيل والزبور ويصدق ذلك كله ويشهد عليه أن جميعه حق من عند الله.

---

(١) الإمام الطبري، سورة يوسف آية (١١١) ص (٥٩) م المجلد ١٣.

وقوله: ﴿وتفصيل كل شيء﴾ يقول تعالى ذكره وهو أيضاً تفصيل كل ما بالعباد إليه حاجة من بيان أمر الله ونهيه وحلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وقوله: ﴿وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره وهو بيان أمره ورشاد من جهل سبيل الحق فعمي عنه إذا اتبعه اهتدى به من ضلالته ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه ينقذه من سخط الله وأليم عذابه ويورثه في الآخرة جناته والخلود في النعيم المقيم لقوم يؤمنون يقول لقوم يصدقون بالقرآن وبما فيه من وعد الله ووعيده، وأمره ونهيه فيعملون بما فيه من أمر وينتهون عما فيه من نهي.

وجاء في تفسير الإمام ابن الجوزي[1]:

قوله تعالى: ﴿لقد كان في قصصهم﴾ أي: في خبر يوسف وإخوته. ﴿عبرة﴾ أي: موعظة ﴿لأولي الألباب﴾ أي: ما جرى ليوسف عظة لذوي العقول السليمة.

قوله تعالى: ﴿ما كان حديثاً يفترى﴾ في المشار إليه قولان:

أحدهما: أنه القرآن، قاله قتادة.

والثاني: ما تقدم من القصص، قاله ابن إسحاق، فعلى القول الأول يكون معنى قوله: ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ ولكن كان تصديقاً لما بين يديه من الكتب ﴿وتفصيل كل شيء يحتاج إليه من أمور الدين ﴿وهدى﴾ بياناً ﴿ورحمة لقوم يؤمنون﴾ أي: يصدقون بما جاء به محمد ﷺ. وعلى القول الثاني: وتفصيل كل شيء من نبأ يوسف وإخوته.

وقال الإمام ابن كثير[2]:

لقد كان في خبر المرسلين مع قومهم وكيف نجينا المؤمنين وأهلكنا الكافرين ﴿عبرة لأولي الألباب﴾ وهي العقول ﴿ما كان حديثاً يفترى﴾ أي ما

---

(١) الإمام ابن الجوزي، سورة يوسف، الآية (١١١) ص (٢٩٨).انظر تفسير الإمام القرطبي، سورة يوسف، آية (١١١) ص (٣٥٠٦).
(٢) الإمام ابن كثير، سورة يوسف آية (١١١) ص (٤٩٨).

كان لهذا القرآن أن يفترى من دون الله، أي يكذب ويختلق ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ أي من الكتب المنزلة من السماء هو يصدق ما فيها من الصحيح وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير ﴿وتفصيل كل شيء﴾ من تحليل وتحريم ومحبوب ومكروه وغير ذلك من الأمر بالطاعات والواجبات والمستحبات والنهي عن المحرمات وما شاكلها من المكروهات والأخبار عن الأمور الجلية وعن العيوب المستقبلة المجملة والتفصيلية والإخبار عن الرب تبارك وتعالى بالأسماء والصفات وتنزهه عن مماثلة المخلوقات فلهذا كان ﴿هدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ تهتدي به قلوبهم من الغي إلى الرشاد ومن الضلال إلى السداد ويبتغون به الرحمة من رب العباد، وفي هذه الحياة الدنيا ويوم المعاد، نسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم في الدنيا والآخرة، يوم يفوز بالربح المبيضة وجوههم الناضرة ويرجع المسودة وجوههم بالصفقة الخاسرة.

وجاء في تفسير الإمام الشوكاني[1]:

﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ قال: القرآن يصدق الكتب التي كانت قبله من كتب الله تعالى التي أنزلها على أنبيائه كالتوراة والإنجيل والزبور. ويصدق في ذلك كله ويشهد عليه أن جميعه حق من عند الله ﴿وتفصيل كل شيء﴾ فصل الله بين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته.

وجاء في تفسير الإمام القاسمي[2]:

﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ أي: من الكتب المنزلة، فهو تصديق ما فيها من الصحيح، وينفي فيها من تحريف وتبديل وتغيير، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير.

قال بعض المحققين: المراد به أن قصص القرآن ليست مخترعة ولا مفتراة، بدليل وجود أمثالها بين الناس، إلا أنها توافقها في الجملة وتصدقها

---

(١) الإمام الشوكاني في فتح القدير، سورة يوسف آية (١١١) ص (٦٢).
(٢) الإمام القاسمي، سورة يوسف آية (١١١) ص (٣٠١).

في الجوهر، فلا تظنوا أيها المشركون أن النبي اخترعها بعقله، بل اسألوا عنها أهل الكتاب، تجدوا أنها معروفة بينهم، ومروية في كتبهم. فوجود قصص القرآن عند الناس من قبل، من أعظم ما يصدقه ويؤيده لأن النبي صلوات الله عليه لم يطلع على كتب أهل الكتاب.

وقوله تعالى: ﴿وتفصيل كل شيء﴾ أي: تبيان كل ما يحتاج إليه من أحكام الحلال والحرام والآداب والأخلاق، ووجوه العبر والعظات.

قال تعالى: ﴿وهدى﴾ أي: من الضلالة ﴿ورحمة﴾ أي: من العذاب ﴿لقوم يؤمنون﴾ أي يصدقون به، ويعملون بأوامره، فإن الإيمان قول وعقد وعمل. وخصهم لأنهم المنتفعون به.

وتحت عنوان وجوه العبر في هذا القصص، يستطرد الإمام القاسمي فيقول:

﴿الألباب﴾: الاعتبار والعبرة: الحالة التي يتوصل بها الإنسان من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد. والمراد منه التأمل والتفكير. ووجه الاعتبار بهذه القصة أن الذي قدر على إخراج يوسف من الجب بعد إلقائه فيه، وإخراجه من السجن وتمليكه مصر بعد العبودية. وجمع شمله بأبيه وإخوته بعد المدة الطويلة، واليأس من الاجتماع قادر على إعزاز محمد ﷺ وإعلاء كلمته، وإظهار دينه. وإن الإخبار بهذه القصة العجيبة جار مجرى الأخبار عن الغيوب، فكانت معجزة له ﷺ. أما هذه القصة، فحاصلها فرج بعد شدة، وتعريف بحسن عاقبة الصبر، فإنه تعالى امتحن يعقوب عليه السلام بفقد ابنيه وبصره، وشتات بنيه. وامتحن يوسف عليه السلام بالجب والبيع وامرأة العزيز وفقد الأب والأخوة والسجن. ثم امتحن جميعهم بشمول الضر، وقلة ذات اليد ﴿مسنا وأهلنا الضر...﴾ الآية. ثم تداركهم الله بالفهم، وجمع شملهم، ورد بصر أبيهم وائتلاف قلوبهم، ورفع ما نزغ به الشيطان وخلاص يوسف عليه السلام، ثم استخلاص العزيز إياه. إلى ما أنجز في هذه القصة الجليلة من العجائب والعبر. فقد انفردت هذه القصة بنفسها ولم تناسب ما ذكر من قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، وما جرى في أممهم فلهذا فصلت عن غيرها.

وقال الشيخ محمود حجازي[1]:

فأنت ترى أن من أغراض القصة في القرآن العبرة والعظة بمن تقدم من الأمم فضلاً عن أنها دليل النبوة وبرهانها لما فيها من الإخبار بما لا يعرف الرسل ولا طريق لمعرفتهم إلا بالوحي.

ولقد كان في قصص الأنبياء جميعاً خصوصاً يوسف وإخوته عبرة وعظة وذكرى. وهدى لأولي الألباب والعقول الصافية.

ما كان هذا الحديث أي القرآن الشامل للقصة وغيرها ليفترى ويختلق وكيف يكون هذا؟ وهو المصدق لما بين يديه من الكتب بل هو المهيمن عليها الحارس لها.

وكان فيه تفصيل كل شيء. نعم «ما فرطنا في الكتاب من شيء» إذ فيه أمهات المسائل وأسس القواعد الشرعية وهو الأصل، للسنة والإجماع والقياس فما وافق روح الكتاب أخذناه وما تنافر معه رددناه، وهو هدى ورحمة لقوم يؤمنون بالغيب ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾[1].

وجاء في تفسير الأستاذ سيد قطب[2]:

وفي قصة يوسف ألوان من الشدائد. في الجب وفي بيت العزيز وفي السجن. وألوان من الاستيئاس من نصرة الناس... ثم كانت العاقبة خيراً للذين اتقوا ـ كما هو وعد الله الصادق الذي لا يخيب ـ وقصة يوسف نموذج من قصص المرسلين. فيها عبرة لمن يعقل وفيها تصديق ما جاءت به الكتب المنزلة من قبل، على غير صلة بين محمد وهذه الكتب. فما كان يمكن أن يكون ما جاء به حديثاً مفترى. فالأكاذيب لا يصدق بعضها بعضاً ولا تحقق هداية ولا يستروح فيها القلب المؤمن الروح والرحمة.

---

(١) الشيخ محمود حجازي، سورة يوسف آية (١١١) ص (٢٧) ج (١٣).

(١) الآية ٢ سورة البقرة.

(٢) الأستاذ سيد قطب، سورة يوسف آية (١١١) ص (٢٠٣٤).

وهكذا يتوافق المطلع والختام في السورة، كما توافق المطلع والختام في القصة. وتجيء التعقيبات في أول القصة وآخرها وبين ثناياها متناسقة مع موضوع القصة، وطريقة أدائها وعباراتها كذلك. فتحقق الهدف الديني كاملاً وتحققت السمات الفنية كاملة، مع صدق الرواية ومطابقة الواقع في الموضوع.

التاريخ الاقتصادي والتخطيطي في قصة يوسف عليه السلام:

بالرجوع إلى جدول الخطة... نجد منهجاً اقتصادياً تخطيطياً في القصة، وضعه يوسف عليه السلام مؤسسا على رؤيا الملك مطالباً إياه أن يجعله على خزائن الأرض، فهو حفيظ عليم، فاستجاب له الملك وصيره المسئول الأول في المملكة حتى يجنبها الكارثة التي ستحيق بها، وكان يوسف عليه السلام جديراً بتحمل تلك المسئولية الجسيمة.. فالله تعالى قد أهله لها بما حباه من علم وبصيرة، فتخطى عصر العقبات وجنبها شر الويلات، في تخطيط سليم محكم، حتى كان فعله مضرب المثل لكل ذي بصيرة، وهدى لكل من يتولى شئون أمة، ما دام رائده في عمله الحكمة والعدل، والأمانة، والشرف، وتقوى الله.

لهذا كانت كل من الخطتين السبعية الأولى والسبعية الثانية اللتين وضعهما يوسف عليه السلام قويمة في أساسها محكمة في تنفيذها وعظة لأولى الألباب وعبرة لمن أراد أن يذكّر.

وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾.

الآية (١١١) من سورة يوسف.

وحق ليوسف عليه السلام أن يسجد لله شكراً لما أنعم به عليه من فضل ورحمة فيقول:

رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ

الآية (١٠١) من سورة يوسف.

فهرس المبحث الثاني:

علم التخطيط الفردي

أولاً : أقوال المفسرين للآيات الكريمة من الآية ٧ حتى الآية ١٨ من سورة يوسف:

ثانياً: علم التخطيط الفردي والجانب الاقتصادي والتخطيطي.

١ ـ بداية تكوين التخطيط الفردي.

٢ ـ الخطوات التخطيطية العلمية للتخطيط الفردي:

أ ـ تحديد المشكلة.

ب ـ تعريف علم التخطيط الفردي.

جـ ـ الأهداف الخاصة للخطة.

د ـ الأهداف البعيدة المدى للتخطيط الفردي.

هـ ـ أنواع التخطيطات الفردية.

و ـ رسم الخطة واحتياجاتها.

ز ـ الجوانب الاقتصادية للتخطيطات الفردية.

ح ـ مضمون الخطة.

ط ـ صفة الخطة.

ي ـ مدة الخطة .

ك ـ النتائج والسمات العامة والخاصة للخطة .

ثالثاً: المحظورات والمنهيات الإسلامية للتخطيط الفردي :

الحسد ـ الشيطان ـ اللسان .

رابعاً: السمات والأخلاقيات والسلوكيات الإسلامية في التخطيط الفردي :

الأمانة ـ الصبر ـ التوكل على الله ـ التصرف ـ الإيمان بالغيب ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ القدر ـ المشورة ـ التفضيل والإختيار ـ حمد الله ـ الإيمان والتقوى ـ الصدق ـ النفس ـ المصيبة ـ التوبة ـ الاستغفار .

خامساً: تحليل تخطيط الفرد على ضوء آيات القرآن الكريم :

المبحث الثاني:

علم التخطيط الفردي

أولاً: تفسير قوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ
وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟
يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا
صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ
بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ
وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾
قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ
غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾
فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم
بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ
إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ

بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ
سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

الآيات من (٧) حتى (١٨).

أولاً: أقوال المفسرين في هذه الآيات الكريمة.

المبحث الثاني:

علم التخطيط الفردي

تمهيـد:

آن لنا أن نعود إلى القصة من أولها، لنتبين كيف كانت عبرة للسائلين عنها الراغبين في معرفة الحقائق، المؤمنين بقدرة الله وتوفيقه، ولطفه ممن اصطفى من عباده، ففيها أحداث حسية ظاهرة، وعلوم ربانية، كعلم يعقوب بتأويل رؤيا يوسف. (الآيات ٤، ٥، ٦) وعلمه بكذبهم في دعوى أكل الذئب له (الآية ١٨) ومن رؤية يوسف برهان ربه (الآية ٢٤) ومن تفسيره رؤيا الملك (الآيات ٤٧، ٤٨، ٤٩) ومن رفع الملك مكانة يوسف بجعله المسئول الأول في مصر (الآيات ٥٤، ٥٥، ٥٦) ومن كيد الله له ليأخذ أخاه في دين الملك (الآية ٧٦) ومن علمه بأن إلقاء قميصه على أبيه يعيد إليه بصره (الآية ٩٣) ومن شم يعقوب ريح يوسف منذ فصلت العير من أرض مصر ذاهبة إلى أرض كنعان (الآية ٩٤) ومن تحقق رؤيا يوسف بجمع أبويه وإخوته إليه وسجودهم له، وعفوه عنهم (الآيتان ٩٩، ١٠٠).

أولا:

بعد هذا التمهيد الموجز نعود فنورد ما جاء على ألسنة بعض العلماء المفسرين حول الآيات من ٧ حتى ١٨.

وفيما يتعلق بعلم التخطيط الفردي والذي أشارت إليه هذه الآيات:

وفي محاولة مني لتحليل التخطيط الفردي على ضوء آيات القرآن الكريم، فقد أشرت إلى ذلك في الجدول التحليلي في آخر المبحث الثاني.

وفيما يلي بعضاً مما ورد في كتب التفسير عن الآيات من (٧ حتى ١٨) من سورة يوسف مع تحليل التخطيط الفردي لها من خلال كل آية على حدة:

أولاً - تفسير قوله تعالى (الآية «٧»):

﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾.

نعمة الله تعالى وفضله على يوسف عليه السلام:

ورد في تفسير الإمام الطبري[1]: لقد كان في يوسف وإخوته الأحد عشر آيات يعني عبراً وذكراً للسائلين يعني السائلين عن أخبارهم وقصصهم، فالله تبارك وتعالى إنما أنزل هذه السورة على نبيه عليه السلام ليعلمه فيها بما لقى يوسف مع إخوته من الحسد مع تكريم الله إياه ﷺ بذلك عما يلقى. من إيذاء أقاربه من مشركي قريش.

وقد قال الشيخ محمد محمود حجازي[2] في ذلك أنه:

روي أن اليهود سألوا النبي ﷺ وهو في مكة أو أرسلوا له من يسأله عن نبي كان بالشام أخرج ابنه إلى مصر فبكى عليه حتى عمى فأنزل الله عليه - أي على محمد ﷺ - سورة يوسف.

المعنى: تالله لقد كان في قصة يوسف مع إخوته لأبيه آيات ودلائل على قدرة الله، وحكم ومواعظ للسائلين عنها الراغبين في معرفة حقائقها، وما تشير إليه وهم الذين يعقلون الآيات ويستفيدون منها **﴿إنما يتذكر أولوا الألباب﴾** - **﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾** فهذه القصة بظواهرها تشير إلى معان دقيقة، إذ حسد إخوته له نتج عند رميه في الجب وأخذ السيارة له وبيعه في مصر لعزيزها، وقد قلده أمر بيته لأمانته وصدقه فنشأ عن ذلك مراودة امرأته

---

(١) الإمام الطبري - الآسية (٧) ص ٩٢ - مجلد (١٣).

(٢) الشيخ محمد محمود حجازي - الآية (٧) ص ٦٥ - ح ١٢.

له عن نفسه فاستعصم ونشأ عن ذلك ظهور أمره، ومعرفة خبره، ولو لم تبالغ في كيدها ليوسف لما ألقي في السجن الذي خرج منه إلى بيت الملك وإدارة الحكم في مصر إلى آخر ما سيأتي.

نعم لقد كان في هذا كله عبر ومواعظ وأسرار لا يفهمها إلا السائلون عنها، وهذه آيات ودلائل على أن من يرعاه ربه فلن يشقى أبداً، ومن يهديه فلن يضل أبداً، انظر لهم في وقت قالوا فيه جازمين مقسمين: ليوسف وأخوه بنيامين أحب إلى أبينا منا يفضلهما علينا جميعاً، ونحن له عصبة قوية نقوم له بكل ما يحتاج إليه من أسباب الرزق والحماية والرعاية والكفاية.

ثانياً ـ تفسير قوله تعالى (الآية «٨»):

﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾.

معرفة المشكلة والأهداف الخاصة بها:

فسر الإمام ابن الجوزي[1] بثلاثة أقوال هي:

أحدهما: لفي خطأ من رأيه، قاله ابن زيد، **والثاني**: مقاتل، والمراد به عناء الدنيا، **والثالث**: لفي ضلال عن طريق يقتضي تعديل المحبة بيننا لأن نفعنا له أعم.

وقد قال في ذلك الإمام الفخر الرازي[2]: قوله ليوسف وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة. أرادوا أن زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه وأخوه بنيامين، وإنما قالوا أخوه، وهم جميعاً أخوة لأن أمهما كانت واحدة والعصبة والعصابة العشرة فصاعداً.

---

(١) الإمام ابن الجوزي ـ الآية (٨) ص ١٨٦ ـ مجلد (٤).

(٢) الإمام الفخر الرازي ـ الآية (٨) ص ٩١ حتى ١٠٥ ـ مجلد (١٨).

المراد منه بيان السبب الذي لأجله قصدوا إيذاء يوسف، وذلك أن يعقوب كان يفضل يوسف وأخاه على سائر الأولاد في الحب وأنهم تأذوا منه لوجوه:

الأول: أنهم كانوا أكبر سناً منهما.

وثانيهما: أنهم كانوا أكثر قوة وأكثر قياماً بمصالح الأب منهما.

وثالثها: أنهم قالوا إنا نحن القائمون بدفع المفاسد والآفات والمشتغلون بتحصيل المنافع والخيرات. إذا ثبت ما ذكرناه من كونهم متقدمين على يوسف وأخيه في هذه الفضائل ثم إنه عليه السلام كان يفضل يوسف وأخاه عليهم. لا جرم قالوا: ﴿إنّ أبانا لفي ضلال مبين﴾ يعني هذا حيف ظاهر وضلال بين. وهنا ترد أسئلة:

السؤال الأول: إن الأمور المعلومة أن تفضيل بعض الأولاد على بعض يورث الحقد والحسد، ويورث الآفات. فلما كان يعقوب عليه السلام عالماً بذلك فلم أقدم على هذا التفضيل وأيضاً الأسن والأعلم والأنفع أفضل، فلم قلب هذه القضية؟

والجواب: أنه عليه السلام ما فضلهما على سائر الأولاد إلا في المحبة. والمحبة ليست في وسع البشر، فكان معذوراً فيه ولا يلحقه بسبب ذلك لوم.

السؤال الثاني: أنهم نسبوا أباهم إلى الضلال المبين، وذلك مبالغة في الذم والطعن، ومن بالغ في الطعن في الرسول كفر ولا سيما إذا كان الطاعن ولداً فإن حق الأبوة يوجب مزيداً من التعظيم.

والجواب: المراد منه الضلال عن رعاية المصالح في الدنيا لا البعد عن طريق الرشد والصواب.

وقد ورد في كتاب أحكام القرآن لأبي بكر الرازي الجصاص[1]، في قوله

---

(١) أحكام القرآن ـ لأبي بكر الرازي الجصاص ـ ص ١٦٧.

تعالى: ﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا﴾ الآية تفاضلوا فيما بينهم وأظهروا الحسد الذي كانوا يضمرونه لقرب منزلته عند أبيهم دونهم وقالوا: ﴿إن أبانا لفي ضلال مبين﴾ يعنون: عن صواب الرأي لأنه كان أصغر منهم وكان عندهم أن الأكبر أولى بتقديم المنزلة من الأصغر ومع ذلك فإن الجماعة من البنين أولى بالمحبة من الواحد وهو معنى قوله: ﴿ونحن عصبة﴾ ومع أنهم كانوا أنفع له في تدبير أمر الدنيا لأنهم كانوا يقومون بأمواله ومواشيه فذهبوا إلى أن اصطفاءه إياه بالمحبة دونهم وتقديمه عليهم ذهاب عن طريق الصواب.

أما الإمام محمد رشيد رضا[1] فقد فسر نفس الآية، أن في قصتهم لآيات في الوقت الذي ابتدءوا فيه بقولهم جازمين مقسمين: ليوسف وأخوه الشقيق له واسمه بنيامين، أحب إلى أبينا منا كلنا ﴿ونحن عصبة﴾ أي: يفضلهما عليها بمزيد المحبة على صغرهما وقلة غنائهما والحال أننا نحن عصبة عشرة رجال أقوياء أشداء معتصبون نقوم له بكل ما يحتاج إليه من أسباب الرزق والحماية والكفاية ﴿إن أبانا لفي ضلال مبين﴾ إنه لفي تيه من المحاباة لهما ضل فيه طريق العدل والمساواة ضلالاً بيناً لا يخفى على أحد، إذ يفضل غلامين ضعيفين من ولده لا يقومان له بخدمة نافعة، على العصبة أولى القوة والكسب والنجدة. وهذا الحكم منهم على أبيهم جهل مبين وخطأ كبير.

من فوائد القصة: وجوب عناية الوالدين بمداراة الأولاد وتربيتهم على المحبة والعدل واتقاء وقوع التحاسد والتباغض بينهم، ومنه اجتناب تفضيل بعضهم على بعض بما يعده الفضول إهانة ومحاباة لأخيه بالهوى، وقد نهى عنه النبي ﷺ مطلقاً، ومنه سلوك سبيل الحكمة في تفضيل من فضل الله تعالى بالمواهب الفطرية كمكرم الأخلاق والتقوى والعلم والذكاء. وما كان يعقوب بالذي يخفى عليه هذا، وما نهى يوسف عن قص رؤياه عليهم إلا من علمه بما يجب فيه. ولكن ما يفعل الإنسان بغريزته وقلبه وروحه؟ أيستطيع أن يحول دون سلطانها على جوارحه؟.

---

(١) المنار ـ محمد رشيد رضا ـ ص ٢٥٨ ـ جزء (١٢).

ثالثاً ـ تفسير قوله تعالى (الآية «٩»):

﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَـٰلِحِينَ ۝٩ ﴾.

٣ ـ تعريف ومضمون الخطة الفردية:

ورد في تفسير الإمام الشوكاني[١]:

﴿**اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً**﴾ أي قالوا: افعلوا به أحد الأمرين: إما القتل، أو الطرح في أرض ﴿**يخل لكم وجه أبيكم**﴾ أي يصف ويخلص فيقبل عليكم ويحبكم حباً كاملاً ﴿**من بعده**﴾ أي من بعد يوسف والمراد بعد الفراغ من قتله أو طرحه: وقيل من بعد الذنب الذي اقترفوه في يوسف ﴿**قوماً صالحين**﴾ في أمور دينكم وطاعة أبيكم أو صالحين في أمور دنياكم للذهاب ما كان يشغلكم عن ذلك. وهو الحسد ليوسف وتكدر خواطركم بتأثيره عليكم هو وأخوه. أو المراد بالصالحين: التائبون من الذنب.

أما الإمام محمد رشيد رضا[٢]، فقد قال: اقتلوه قتلاً لا مطمع بعده ولا أمل في لقائه، أو انبذوه كالشيء الذي لا قيمة له في أرض مجهولة بعيدة عن مساكننا أو عن العمران بحيث لا يهتدي إلى العودة إلى أبيه سبيلاً إن هو سلم... فيها من الهلاك ﴿**يخل لكم وجه أبيكم**﴾ فيكن كل توجيهه إليكم، وكل إقباله عليكم بخلو الديار ممن يشغله عنكم أو يشاركم في عطفه وحبه، ﴿**وتكونوا من بعده**﴾ أي من بعد يوسف أو بعد قتله وتغريبه ﴿**قوماً صالحين**﴾ تائبين إلى الله من هذه الجريمة، مصلحين لأعمالكم بما يكفر إثمها، وعدم التصدي لمثلها، فيرضى عنكم أبوكم ويرضى ربكم، هكذا يزين الشيطان للمؤمن المتدين معصية الله تعالى ولا يزال ينزغ له ويسول، ويعد ويمني

(١) الإمام الشوكاني في فتح القدير ـ ص ٧ م ٣.

(٢) الإمام محمد رشيد رضا ـ المنار ـ ص ٢٥٩ ـ ج/ ١٢.

ويؤول، حتى يرجع داعي الإيمان، ويجيب داعي الشيطان، وهذا الذي غلب على إخوة يوسف فكان، ولكن بعد رأفة مخففة لحكم الانتقام، وهو مقتضى الحكمة التي أرادها الله.

ويقول الشيخ سيد قطب في تفسيره[1]...

﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً﴾.

وهما قريب من قريب. فطرحه في أرض نائية مقطوعة مفض في الغالب إلى الموت... ولماذا؟ ﴿يخل لكم وجه أبيكم﴾...

فلا يحجبه يوسف. وهم يريدون قلبه. كأنه حين لا يراه في وجهه يصبح قلبه خالياً من حبه، ويتوجه بهذا الحب إلى الآخرين! والجريمة؟ الجريمة تتوبون عنها وتصلحون ما أفسدتم بارتكابها:

﴿... وتكونوا من بعده قوماً صالحين﴾.

هكذا ينزغ الشيطان، وهكذا يسول للنفوس عندما تغضب وتفقد زمامها، وتفقد صحة تقديرها للأشياء والأحداث. وهكذا لما غلا في صدورهم الحقد برز الشيطان ليقول لهم: اقتلوا... والتوبة بعد ذلك تصلح ما فات! وليست التوبة هكذا. إنما تكون التوبة من الخطيئة التي يندفع إليها المرء غافلاً جاهلاً غير ذاكر، حتى إذا تذكر ندم، وحاشت نفسه بالتوبة. أما التوبة الجاهزة! التوبة التي تعد سلفاً قبل ارتكاب الجريمة لإزالة معالم الجريمة، فليست بالتوبة، إنما هي تبرير لارتكاب الجريمة يزينه الشيطان[2]!.

ولكن ضميراً واحداً فيهم، يرتعش لهول ما هم مقدمون عليه. فيقترح حلاً يريحهم من يوسف، ويخلي لهم وجه أبيهم، ولكنه لا يقتل يوسف، ولا يلقيه في أرض مهجورة يغلب فيها الهلاك. إنما يلقيه في الجب على طريق القوافل، حيث يرجح أن تعثر عليه إحدى القوافل فتنقذه وتذهب به بعيداً:

---

(١) الشيخ سيد قطب - ١٩٧١ - ج/١٢.

(٢) لكنهم أخيراً تابوا فتاب الله عليهم.

وقال الإمام الرازي في ذلك بتفسيره[1]:

إنه لما قوي الحسد وبلغ النهاية قالوا لا بد من تبعيد يوسف عن أبيه: وذلك لا يحصل إلا بأحد طريقين: القتل، أو التغريب إلى أرض يحصل اليأس من اجتماعه مع أبيه ولا وجه في الشر يبلغِهِ الحاسد أعظم من ذلك، ثم ذكروا العلة فيه وهي قولهم: ﴿**يخل لكم وجه أبيكم**﴾ والمعنىَ: أن يوسف شغله عنا وصرف وجهه إليه فإذا أفقده أقبل علينا بالميل والمحبة ﴿**وتكونوا من بعده قوماً صالحين**﴾ وفيه وجوه:

الأول: أنهم علموا أن ذلك الذي عزموا عليه من الكبائر فقالوا: إذا فعلنا ذلك تبنا إلى الله ونصير من القوم الصالحين. **والثاني**: أنه ليس المقصود ههنا صلاح الدين بل المعنى يصلح شأنكم عند أبيكم ويصير أبوكم محباً لكم مشتغلاً بشأنكم. **والثالث**: المراد أنكم بسبب هذه الوحشة صرتم مشوشين لا تتفرغون لإصلاح مهم، فإذا زالت هذه الوحشة تفرغتم لإصلاح مهماتكم.

رابعاً ـ تفسير قوله تعالى (الآية «١٠»):

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾.

رسم وتحديد الخطة الفردية:

وجاء في تفسير الإمام ابن كثير[2] ﴿**لا تقتلوا يوسف**﴾ أي: لا تصلوا في عداوته وبغضه إلى قتله، ولم يكن لهم سبيل إلى قتله لأن الله تعالى كان يريد منه أمراً لا بد من إمضائه وإتمامه من الإيحاء إليه بالنبوة ومن التمكين له ببلاد مصر والحكم بها فصرفهم الله عنهم بمقالة روبيل فيه وإشارته عليهم بأن يلقوه في غيابة الجب وهو أسفله. قال قتادة وهي بئر بيت المقدس ﴿**يلتقطه بعض**

(١) الإمام الفخر الرازي ـ الآية (٩) ص ٩٤ ـ مجلد/ ١٨.

(٢) تفسير ابن كثير ـ ص ٤٧٠ ـ م/٢.

السيارة﴾ أي: المارة من المسافرين فتستريحوا منه بهذا ولا حاجة إلى قتله ﴿إن كنتم فاعلين﴾. أي إن كنتم عازمين على ما تقولون. قال محمد بن إسحاق بن يسار: لقد اجتمعوا على أمر عظيم أن قطيعة الرحم وعقوق الوالد وقلة الرأفة بالصغير الضرع الذي لا ذنب له وبالكبير الفاني ذي الحق والحرمة والفضل وخطره عند الله مع حق الوالد على ولده ليفرقوا بينه وبين أبيه وحبيبه على كبر سنه ورقة عظمه - مع مكانه من الله - وبين من أحبه طفلاً صغيراً... بين ابنه على ضعف قوته وصغر سنه وحاجته إلى لطف والده وسكونه إليه يغفر الله لهم وهو أرحم الراحمين فقد احتملوا أمراً عظيماً. رواه ابن أبي حاتم من طريق سلمة بن الفضل عنه.

ورد في تفسير الإمام الشوكاني[1] لنفس الآية (قال قائل منهم):

أي من الإخوة، قيل هو يهوذا. وقيل روبيل. وقيل شمعون ﴿لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب﴾ قيل ووجه الإظهار في لا تقتلوا يوسف استجلاب شفقتهم عليه. قيل وهذه البئر ببيت المقدس. وقيل بالأردن. وجواب الأمر ﴿يلتقطه بعض السيارة﴾.

والسيارة: الجمع الذي يسيرون في الطريق. والالتقاط: هو أخذ شيء مشرف على الضياع، وكأنهم أرادوا أن بعض السيارة إذا التقطه حمله إلى مكان بعيد بحيث يخفى عن أبيه ومن يعرفه. ولا يحتاجون إلى الحركة بأنفسهم إلى المكان البعيد فربما أن والدهم لا يأذن لهم بذلك، ومعنى ﴿إن كنتم فاعلين﴾ إن كنتم عاملين بما أشرت به عليكم في أمره.

وقال الشيخ محمود حجازي[2]، أنه لما استبد بهم الحسد وغلب على عقلهم قالوا بعد التشاور: اقتلوا يوسف حتى لا يلقاه أبداً أو اطرحوه في أرض بعيدة عنا حتى ينقطع خبره عن أبيه ان فعلتم ذلك يخل لكم وجه أبيكم وهذا تعبير دقيق يراد به - يكن لكم وجهه وإقباله، لا يشارككم فيه أحد.

---

(١) الشوكاني - فتح القدير - ص ٨ - م/٣.

(٢) الشيخ محمد محمود حجازي - الآية (٩) - ص ٦٦ - ج/١٢.

وتكونوا من بعده قوماً صالحين، بهذا زين لهم الشيطان أعمالهم، ومناهم بأنهم إذا ارتكبوا هذا الجرم يتوبون عنه ويصيرون عند أبيهم وعند ربهم. فاحذروا أيها الناس ألاعيب الشيطان[1].

قال قائل منهم: الله أعلم باسمه ولا حاجة لنا في معرفته قال: لا تقتلوا يوسف فهو أخوكم، ولكن إذا أردتم التخلص منه حقاً فألقوه في غيابات البئر وهي ما يغيب عن النظر من قعره أو حفره بجانبه يلتقطه بعض السيارة وهم المسافرون الذين يسيرون في الأرض للتجارة فيتم لكم غرضكم وهو إبعاده عن أبيه حتى يخلو لكم وجهه إن كنتم فاعلين الصواب فهذا هو الصواب...

عبارة القرآن الكريم تؤيد أن يوسف عليه السلام كان يتمتع بقسط وافر من محبة أبيه، وكان أبوه يفهم أن هذا يغضب إخوته خصوصاً بعد الرؤيا فما كان يستريح إذا غاب يوسف عنه لحظة ولو مع إخوته، وكانوا يفهمون حرص أبيهم على يوسف.

خامساً ـ تفسير قوله تعالى (الآية ١١):

﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

التطبيق العملي لتنفيذ الخطة الفردية:

ورد في تفسير الإمام ابن كثير[2]...

لما تواطأوا على أخذه وطرحه في البئر كما أشار عليهم أخوهم روبيل جاءوا أباهم يعقوب عليه السلام فقالوا ما بالك ﴿لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون﴾ وهذه توطئة ودعوى وهم يريدون خلاف ذلك لما له في قلوبهم من الحسد لحب أبيه له.

---

(١) لكنهم تابوا أخيراً فتاب الله عليهم.

(٢) تفسير الإمام ابن كثير ـ ص ٤٦٨ ـ م (٢).

وجاء في تفسير الإمام الشوكاني[1] لنفس الآية...

لما اجمعوا رأيهم على أن يلقوه في غيابات الجب جاءوا إلى أبيهم خاطبوه بلفظ الأبوة استعطافاً له وتحريكاً للحنو الذي جبلت عليه طبائع الآباء للأبناء. وتوسلاً بذلك إلى تمام ما يريدونه من الكيد الذي دبروه. واستفهموه استفهام المنكر لأمر ينبغي أن يكون الواقع على خلافه. فـ ﴿**قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف**﴾ أي أي شيء لك لا تجعلنا أمناء عليه، وكأنهم قد كانوا سألوه قبل ذلك أن يخرج معهم يوسف فأبى. ﴿**وإنا له لناصحون**﴾ في حفظه وحيطته حتى نرده إليك.

وقال الشيخ محمد محمود حجازي[2]...

قال إخوة يوسف، وقد رأوا ما رأوا: يا أبانا ما لك لا تأمنا عليه؟ وأي شيء عرض لك من الشبهة حتى لا تأمنا على يوسف ـ يكاد المريب أن يقول خذوني.

والحال إنا له لناصحون ومخلصون إخلاصاً أكيداً مؤكداً، كل ذلك يؤيد ما قلنا من أنهم يشعرون بما في نفس أبيهم بالنسبة لهم وليوسف.

سادساً ـ تفسير قوله تعالى (الآية ١٢):

﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

الأهداف البعيدة للتخطيط الفردي:

ورد في تفسير الإمام ابن كثير[3] لهذه الآية ﴿**أرسله معنا**﴾ أي ابعثه معنا ﴿**غداً يرتع ويلعب**﴾ قاله ابن عباس يسعى وينشط وكذا قال قتادة والضحاك والسدي وغيرهم ﴿**وإنا له لحافظون**﴾ يقولون: ونحن نحفظه ونحوطه من أجلك.

---

(١) تفسير الإمام الشوكاني ـ فتح القدير ـ ص ٩ ـ م (٣).

(٢) تفسير الشيخ محمد محمود حجازي ـ ص ٦٦ ـ جزء (١٢).

(٣) الإمام ابن كثير ـ ص ٤٦٩ ـ م/٢.

وجاء في تفسير المنار للإمام محمد رشيد رضا[1] حول نفس الآية:

﴿أرسله معنا غداً يرتع ويلعب﴾ أي: أرسله معنا غداة غد إذ نخرج كعادتنا إلى مراعينا في الصحراء يرتع معنا ويلعب. ﴿وإنا له لحافظون﴾ ما دام معنا نقيه من كل سوء وأذى، أكد هذا الوعد كسابقه مبالغة في الكيد.

أما الشيخ محمد محمود حجازي[2]... فيفسر هذه الآية بقوله: يا أبت أرسله معنا في الغد يرتع كما يشاء ويطيب له من أكل الفاكهة والبقول في الهواء الطلق، ويلعب معنا في وقت سرور ونشاط، ولا تخف إنا له لحافظون حفظاً مؤكداً كما ترى من عبارتهم.

ماذا يفعل الأب؟ إنه لموقف حرج جداً. طلب أبناؤه مرافقة أخيهم لهم في الرعي والنزهة. إنه لطلب جميل، ولكن ما يفعل يعقوب؟ وهو يعلم ما عندهم بالنسبة لأخيهم، وما يعلمه بالإجمال من رعاية الله للصغير يوسف، قبل طلبهم على مضض ومع إظهار الكثير. من الألم لفراق يوسف.

سابعاً - تفسير قوله تعالى للآية (١٣):

﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾.

متابعة التطبيق العملي للخطة الفردية:

قال الإمام الطبري[3] في تفسيره لهذه الآية... قال يعقوب لهم إني ليحزنني أن تذهبوا به معكم إلى الصحراء مخافة عليه من الذئب أن يأكله وأنتم عنه غافلون لا تشعرون، قال إخوة يوسف لوالدهم يعقوب لئن أكل يوسف الذئب في الصحراء ونحن أحد عشر رجلاً نحفظه... وهم

---

(١) تفسير المنار للإمام محمد رشيد رضا - ص ٢٥٩ - ج/١٢.

(٢) تفسير محمد محمود حجازي - ص ٦٧ - ج/١٢.

(٣) تفسير الطبري - ص ٩٧/ م ١٣.

العصبة... إنا إذاً لخاسرون... يقول إنا إذاً لعجزة هالكون.

وجاء في تفسير الإمام الشوكاني[1] لنفس الآية...

أخبرهم أنه يحزن لغيبة يوسف عنه لفرط محبته له وخوفه عليه ﴿وأخاف أن يأكله الذئب﴾ أي: ومع ذلك أخاف أن يأكله الذئب. قال يعقوب هذا تخوفاً عليه منهم. فكنى عن ذلك بالذئب. وقيل إنه خاف أن يأكله الذئب حقيقة. لأن ذلك المكان كان كثير الذئاب. ولو خاف منهم عليه أن يقتلوه لأرسل معهم من يحفظه.

﴿وأنتم عنه غافلون﴾ لاشتغالكم بالرتع واللعب. أو لكونهم غير مهتمين بحفظه.

ورد في تفسير الشيخ سيد قطب[2]...

﴿قال إني ليحزنني أن تذهبوا به، وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون﴾.

﴿إني ليحزنني أن تذهبوا به﴾...

إنني لا أطيق فراقه... ولا بد أن هذه هاجت أحقادهم وضاعفتها. أن يبلغ حبه له درجة الحزن لفراقه ولو لبعض يوم، وهو ذاهب كما قالوا له للنشاط والمسرة.

﴿وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون﴾.

ولا بد أنهم وجدوا فيها عذراً كانوا يبحثون عنه، أو كأن الحقد الهائج أعماهم فلم يفكروا ماذا يقولون لأبيهم بعد فعلتهم المنكرة، حتى لقنهم أبوهم هذا الجواب! واختاروا اسلوباً من الأساليب المؤثرة لنفي هذا الخاطر عنه:

---

(١) الشوكاني ـ فتح القدير ـ ص ١٠ ـ م (٣).
(٢) تفسير سيد قطب ـ في ظلال القرآن ـ ١٩٧١ ـ ج/١٢.

ثامناً ـ تفسير قوله تعالى للآية (١٤):

﴿ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

صفة الخطة الفردية:

ورد في تفسير الإمام محمد رشيد رضا[1] في ذلك...

﴿قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة﴾ أي: والله لئن اختطفه الذئب من بيننا وأكله والحال أننا جماعة شديدة القوى تعصب بنا الأمور، وتكفي ببأسنا الخطوب ﴿إنا إذاً لخاسرون﴾ وخائبون في اعتصابنا أو لهالكون لا يصح أن نعد من الأحياء الذين يعتد بهم ويركن إليهم.

أما الشيخ سيد قطب[2] فقد فسر ذلك...

لئن غلبنا الذئب عليه ونحن جماعة قوية هكذا فلا خير فينا لأنفسنا وإننا لخاسرون كل شيء، فلا نصلح لشيء أبداً!

وهكذا استسلم الوالد الحريص لهذا التوكيد ولذلك الإحراج... ليتحقق قدر الله وتتم القصة كما تقتضي مشيئته!

والآن لقد ذهبوا به، وها هم أولاء ينفذون المؤامرة النكراء. والله سبحانه يلقي في روع الغلام أنها محنة وتنتهي، وأنه سيعيش وسيذكر إخوته بموقفهم هذا منه وهم لا يشعرون أنه هو:

ويقول الأستاذ محمد محمود حجازي[3] في ذلك...

إني ليحزنني ذهابكم به وفراقه لي على أي صورة، وأخاف أن يعتدي عليه بعض أفراد الذئب وأنتم عنه غافلون.

---

(١) الإمام رشيد رضا ـ الآية (١٤) ـ ص ٢٦٠ ـ ج/١٢.
(٢) الشيخ سيد قطب ـ الآية (١٤) ـ ص ١٩٧١ ـ ج/١٢.
(٣) الأستاذ محمد محمود حجازي ـ الآية (١٤) ص ٦٨ ـ ج/١٢.

بماذا يجيبون على اعتراض أبيهم وتخوفه من الذئب؟ أيقولون لـه لا تحزن؟ لا. وإنما طمأنوه من ناحية الذئب، قالوا تالله لئن أكله الذئب. وهو معنا، ونحن جماعة قوية وعصبة فتية، إنا إذاً لخاسرون في ادعائنا أننا عصبة قوية ولا يصح الاعتماد علينا في شيء.

تلك هي المؤامرة التي دبرت ليوسف، وبقي تنفيذها.

فلما ذهبوا به من عند أبيهم، وأمكنهم إقناعه واقتنع هو في الظاهر فقط ولأمر ما سلم في فلذة كبده يوسف، وأجمعوا أمرهم في أن يجعلوه في غيابة الجب المعروف عندهم حيث شاء فيستريحوا ويخلوا لهم وجه أبيهم نفذوا ما أجمعوا عليه وألقوه في الجب.

ولكن الله العالم البصير الرحمن الرحيم، لا يترك مظلوماً يتخبط، بل هو معه وناصره وحافظه ومطمئنه، أوحى إلى يوسف: لا تخف فالله معك، وسيظهرك عليهم ويذلهم لك ويحقق رؤياك، ويسجد لك سجود خضوع إخوتك الأحد عشر وأبوك وأمك ـ قيل هي أمه أو خاله وأمه ماتت ـ وربك القوي لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لهول الموقف لا يشعرون.

تاسعاً ـ تفسير قوله تعالى للآية (١٥):

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾.

الإجماع على الهدف المشترك...

تنفيذ الخطة الفردية:

ورد في تفسير الإمام ابن كثير[1]...

فلما ذهب به إخوته من عند أبيه بعد مراجعتهم له في ذلك **﴿وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب﴾** هذا فيه تعظيم لما فعلوه أنهم اتفقوا كلهم على

(١) ابن كثير ـ الآية (١٥) ص ٤٧١ ـ مجلد ٢.

إلقائه في أسفل ذلك الجب وقد أخذوه من عند أبيه فيما يظهرونه له إكراماً له وبسطاً وشرحاً لصدره وإدخالاً للسرور عليه فيقال إن يعقوب عليه السلام لما بعثه معهم ضمه إليه وقبل ودعا له. ثم جاءوا به إلى ذلك الجب الذي اتفقوا على رميه فيه فربطوه بحبل ودلوه فيه.

يقول تعالى ذاكراً لطفه ورحمته وعائدته وإنزاله اليسر في حال العسر ﴿وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون﴾ أي: أنه أوحى إلى يوسف في ذلك الحال الضيق تطييباً لقلبه وتثبيتاً له إنك لا تحزن بما أنت فيه فإن لك من ذلك فرجاً ومخرجاً حسناً وسينصرك الله عليهم ويعليك ويرفع درجتك وستخبرهم بما فعلوه معك من هذا الصنيع وقوله: ﴿وهم لا يشعرون﴾ قال مجاهد وقتادة ﴿وهم لا يشعرون﴾ بإيحاء الله آليه، وقال ابن عباس ستنبئهم بصنيعهم هذا في حقك وهم لا يعرفونك ولا يستشعرون بك كما قال ابن جرير حدثني الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا صدقة بن عباس الأسدي عن أبيه سمعت ابن عباس يقول: لما دخل إخوة يوسف فعرفهم وهم له منكرون قال جيء بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال إنه ليخبرني هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف يدنيه دونكم وأنكم انطلقتم به وألقيتموه في غيابة الجب، قال ثم نقره فطن قال: فأتيتم أباكم فقلتم إن الذئب أكله وجئتم على قميصه بدم كذب، قال فقال بعضهم لبعض: إن هذا الجام ليخبره بخبركم، قال ابن عباس فلا نرى هذه الآية نزلت إلا فيهم ﴿لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون﴾.

أما عن الإمام محمد رشيد رضا[1]، فقد قال في ذلك...

﴿فلما ذهبوا به﴾ في الغد من ليلتهم التي استنزلوا فيها أباه عن إمساكه عنده ﴿وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب﴾ أي: أزمعوه وعزموا عليه عزماً إجماعياً لا تردد فيه بعدما كان من اختلافهم قبل في قتله أو تغريبه.

﴿وأوحينا إليه﴾ عند إلقائه فيه وحياً إلهامياً علم أنه منا مضمونه

(١) الإمام رشيد رضا ـ الآية (١٥) ص ٢٦٣ ـ ج ١٢.

﴿لتنبئنهم بأمرهم هذا﴾ معك إذ يظهرك الله عليهم ويذلهم لك ويجعل رؤياك حقاً ﴿وهم لا يشعرون﴾ يومئذ بما آتاك الله، أو الآن بما يؤتيك في عاقبة هذه الفعلة التي فعلوها بك، أو بهذا الوحي في الجب وهو المرتبة الأولى من مراتب التكليم الإلهي للأنبياء بعد التمهيد له بالرؤيا الصادقة. وقد هون الله تعالى على يوسف مصيبته به فعلم أنها مصيبة في الظاهر نعمة في الباطن.

ويقول الإمام الشوكاني(١) في ذلك...

والله لئن أكله الذئب والحال أننا عصبة: أي جماعة كثير عشرة ﴿إنا إذ لخاسرون﴾ أي: إنما في ذلك الوقت. وهو أكل الذئب له لخاسرون هالكون صعقاً وعجزاً، أو مستحقون للهلاك لعدم الاعتداد بنا. وافتقاد القدرة على أيسر شيء وأقله. أو مستحقون لأن يدعي علينا بالخسار والدمار. وقيل لخاسرون لجاهلون حقه.

﴿قالوا: يا أبانا إنا ذهبنا نستبق﴾ وقيل الجواب المقدر جعلوه فيها. وقيل الجواب أوحينا والواو مقحمة. ﴿وأوحينا إليه﴾ أي: إلى يوسف تيسيراً له وتأنيساً لوحشته مع كونه صغيراً اجتمع على إنزال الضرر به عشرة رجال من إخوته. بقلوب غليظة فقد نزعت عنها الرحمة وسلبت منها الرأفة.

﴿لتنبئنهم بأمرهم هذا﴾ أي: لتخبرن إخوتك بأمرهم هذا الذي فعلوه معك بعد خلوصك مما أرادوه بك من الكيد وأنزلوه عليك من الضرر. وجملة ﴿وهم لا يشعرون﴾ أي: لا يشعرون بأنك أخوهم يوسف لاعتقادهم هلاكك بإلقائهم لك في غيابة الجب. ولبعد عهدهم بك. ولكونك قد صرت عند ذلك في حال غير ما كنت عليه وخلاف ما عهد منك. وسيأتي ما قاله لهم عند دخولهم عليه بعد أن صار إليه ملك مصر.

وقد ذكر الشيخ سيد قطب(٢) في ذلك...

استقر أمرهم جميعاً على أن يجعلوه في غيابة الجب، حيث يغيب فيه

(١) الإمام الشوكاني في فتح القدير ـ الآية (١٥) ص ٨ ـ مجلد ٣.
(٢) الشيخ سيد قطب ـ الآية (١٥) ض ١٩٧٢ ـ ج/١٢.

عنهم وفي لحظة الضيق والشدة التي كان يواجه فيها هذا الفزع، والموت منه قريب، ولا منقذ له ولا مغيث. وهو وحده صغير وهم عشرة أشداء. في هذه اللحظة اليائسة يلقي الله في روعه أنه ناج، وأنه سيعيش حتى يواجه إخوته بهذا الموقف الشنيع، وهم لا يشعرون بأن الذي يواجههم هو يوسف الذي تركوه في غيابة الجب وهو صغير.

وندع يوسف في محنته في غيابة الجب، يؤنسه ولا شك ما ألقى الله في روعه ويطمئنه، حتى يأذن الله بالفرج. ندعه لنشهد إخوته بعد الجريمة يواجهون الوالد المفجوع.

عاشراً - تفسير قوله تعالى للآيتين (١٦، ١٧):

﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ۝١٦ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ۝١٧ ﴾.

رسم الخطة الفردية واحتياجاتها:

ورد في تفسير الطبري[1] للآيتين الكريمتين أن أخوة يوسف أقبلوا على أبيهم عشاء يبكون فلما سمع أصواتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل أصابكم في غنمكن شيء قالوا لا، قال: فما فعل يوسف، قالوا: يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب فبكى الشيخ وصاح بأعلى صوته وقال أين القميص فجاءوه به وعليه دم كذب فأخذ القميص فطرحه على وجهه ثم بكى حتى تخضب وجهه من دم القميص وقوله: ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ يقولون: وما أنت بمصدقنا على قيلنا أن يوسف أكله الذئب ولو كنا صادقين.

حدثنا ابن وكيع قال حدثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدي قال ذبحوا جدياً من الغنم لطخوا القميص بدمه ثم أقبلوا على أبيهم فقال يعقوب

(١) الإمام الطبري - الآيتين ١٦، ١٧ ص ٩٧، ٩٨ م١٣.

كان هذا الذئب رحيماً كيف أكل لحمه ولم يخرق قميصه يا بني، يا يوسف ما فعل بك بنو الإماء.

وقال الإمام ابن الجوزي[1]...

وجاءوا وقت العتمة ليكونوا أجرأ من الظلمة على الاعتذار بالكذب، فلما سمع صوتهم فزع، وقال: ما لكم يا بني، هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا: لا، قال: فما أصابكم؟ وأين يوسف؟ **﴿قالوا: يا أبانا إنا ذهبنا نستبق﴾** والمعنى يسابق بعضنا بعضاً في الرمي.

قوله تعالى: **﴿وتركنا يوسف عند متاعنا﴾** أي: ثيابنا. **﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾** أي: بمصدق.

وفي قوله: **﴿ولو كنا صادقين﴾** قولان:

أحدهما: إن المعنى: وإن كنا قد صدقنا قاله ابن إسحاق. **والثاني**: لو كنا عندك من أهل الصدق لاتهمتنا في يوسف لمحبتك إياه، وظننت أنا قد كذبناك قاله الزجاج.

وجاء في تفسير ابن كثير[2]...

مخبراً عن الذي اعتمده إخوة يوسف بعدما ألقوه في غيابة الجب ثم رجعوا إلى أبيهم في ظلمة الليل يبكون ويظهرون الأسف والجزع على يوسف ويتغممون لأبيهم وقالوا معتذرين عما وقع فيما زعموا **﴿إنا ذهبنا نستبق﴾** أي: نترامى **﴿وتركنا يوسف عند متاعنا﴾** أي: ثيابنا وأمتعتنا **﴿فأكله الذئب﴾** وهو الذي كان قد جزع منه وحذر عليه، وقوله: **﴿وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين﴾** تلطف عظيم في تقرير ما يحاولونه، يقولون: ونحن نعلم أنك لا تصدقنا والحالة هذه لو كنا عندك صادقين فكيف وأنت تتهمنا في ذلك لأنك

(١) الإمام ابن الجوزي ـ الآيتان ١٦، ١٧ ـ ص ١٧٩، ١٩٩ م ٤.
(٢) الإمام ابن كثير ـ الآيتان ١٦، ١٧ ـ ص ٤٧١ ـ م ٢.

خشيت أن يأكله الذئب فأنت معذور في تكذيبك لنا لغرابة ما وقع وعجيب ما اتفق لنا في أمرنا هذا.

وقال الأستاذ ممد محمود حجازي[1] في ذلك...

هذه حالهم مع يوسف، وأما مع أبيهم فجاءوا أباهم في وقت العشاء وانتشار الظلام في الأفق يبكون ويولولون، ما أجهلك يا ابن آدم، وما أحمقك!! أليس الله عالم الغيب والشهادة؟ ألم تعلموا يا إخوة يوسف أن الله لطيف خبير! ما لكم لم ترحموا أباكم وهو شيخ كبير؟ وما لكم تتخطون حدود العقل والحكمة، وتقتلون معاني الأخوة والمحبة؟ إن هذا لشيء عجيب!!

اعتذروا بغير العذر، واستخفوا من أبيهم، والله معهم، وقالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق في الرمي والجري، وتركنا أخانا يحرس متاعنا فأكله الذئب، وهم يعرفون ما عند أبيهم بالنسبة لهم فصرخوا وقالوا: ما أنت بمصدق لنا أبداً في كل حال، لو كنا صادقين[2].

الحادث عشر ـ تفسير قوله تعالى للآية (١٨):

﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

تحقيق وتنفيذ الجوانب العامة والخاصة للخطة الفردية:

ورد في تفسير ابن كثير[3]... في ذلك:

﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾ أي: مكذوب مفتري، وهذا من الأفعال التي يؤكدون بها ما تمالؤوا عليه من المكيدة وهو أنهم عمدوا إلى

---

(١) الأستاذ محمد محمود حجازي ـ الآيتان ١٦، ١٧ ص ٦٨ ـ ج ١٢.
(٢) ولكنهم تابوا فتاب الله عليهم.
(٣) الإمام ابن كثير ـ الآية (١٨) ـ ص ٤٧٢ م ٢.

سخلة فيما ذكره مجاهد والسدي غير واحد فذبحوها ولطخوا ثوب يوسف بدمها موهمين أن هذا قميصه الذي أكله فيه الذئب وقد أصابه من دمه، ولكنهم نسوا أن يخرفوه. فلهذا لم يرج هذا الصنيع على نبي الله يعقوب، بل قال لهم معرضاً عن كلامهم إلى ما وقع في نفسه من لبسهم عليه ﴿بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل﴾ أي: فسأصبر صبراً جميلاً على هذا الذي اتفقتم عليه حتى يفرجه الله بعونه ولطفه ﴿والله المستعان على ما تصفون﴾ أي: على ما تذكرون من الكذب والمحال.

وقال الثوري عن سماك عن سعيد عن جبير عن ابن عباس: ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾ قال: لو أكله السبع لخرق القميص، وكذا قال الشعبي والحسن وقتادة وغير واحد، وقال مجاهد: الصبر الجميل الذي لا جوع فيه.

وروى هشيم عن عبد الرحمن بن يحيى عن حبان بن أبي حبلة قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿فصبر جميل﴾ فقال: صبر لا شكوى فيه، وهذا مرسل.

وقال الإمام القرطبي[1]... تفسيراً للآية الكريمة...

قوله تعالى: ﴿بدم كذب﴾ قال مجاهد: كان دم سخلة أو جدي ذبحوه... وقال علماؤنا رحمة الله عليهم: لما أرادوا أن يجعلوا الدم علامة على صدقهم قرن الله بهذه العلامة علامة تعارضها، وهي سلامة القميص من التخريق، إذ لا يمكن افتراس الذئب ليوسف وهو لابس القميص ويسلم القميص من التخزيق، ولما تأمل يعقوب عليه السلام القميص فلم يجد فيه خرقاً ولا أثراً استدل بذلك على كذبهم وقال لهم متى كان هذا الذئب حكيماً يأكل يوسف ولا يخزق القميص....

قوله تعالى: ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبرٌ جميل﴾.

(١) الإمام القرطبي - الآية (١٨) - ص ٣٣٨٦.

روى أن يعقوب لما قالوا لـه: ﴿فأكله الـذئب﴾ قال لهم: ألم يتـرك الذئب له عضواً فتأتوني به أستأنس به؟ ألم يترك لي ثوباً أشم فيه رائحته؟ قالوا: بلى هذا قميصه ملطخ بدمه، فذلك قوله تعالى: ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾ فبكى يعقوب عند ذلك وقال لبنيه: أروني قميصه، فأروه فشمه وقبله ثم جعل يقلبه فلا يرى فيه شقاً ولا تمزيقاً فقال: والله الذي لا إله إلا هو ما رأيت كاليوم ذئباً أحكم منه، أكل ابني واختلسه من قميصه ولم يمزقه عليه، وعلم أن الأمر ليس كما قالوا، وأن الذئب لم يأكله فأعرض عنهم كالمغضب باكياً حزيناً و ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبرٌ جميل﴾.

وجاء في تفسير الإمام الرازي[1] في ذلك...

قال تعالى: ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾ وفيه مسائل:

المسألة الأولى: إنما جاءوا بهذا القميص الملطخ بالدم ليوهم كونهم صادقين في مقالتهم. قيل: ذبحوا جدياً ولطخوا ذلك القميص بدمه.

المسألة الثانية: قوله: ﴿وجاءوا على قميصه﴾ أي وجاءوا فوق قميصه بدم.

المسألة الثالثة: ثم ذكر تعالى أن إخوة يوسف لما ذكروا ذلك الكلام واحتجوا على صدقهم بالقميص الملطخ بالدم، قال يعقـوب عليه السـلام: ﴿بل سولت لكم أنفسكم أمراً﴾.

قال ابن عباس: معناه ـ بل زينت لكم أنفسكم أمراً. والتسويل تقدير معنى في النفس مع الطمع في إتمامه.

المسألة الرابعة: قوله تعالى: ﴿فصبر جميل﴾ يدل على أن الصبر على قسمين: منه ما قد يكون جميلاً وما قد يكون غير جميل، فالصبر الجميل هو أن يعرف أن منزل ذلك البلاء هو الله تعالى: ثم يعلم أن الله سبحانه مالك

---

(١) الإمام الرازي ـ الآية (١٨) ـ ص ١٠٤ ـ م ١٨.

الملك، ولا اعتراض على المالك في أن يتصرف في ملك نفسه فيصير استغراق قلبه في هذا المقام مانعاً له من إظهار الشكاية.

وجاء في تفسير الإمام رشيد رضا[1]، أن المراد من هذه الجملة الفذة في بلاغتها أنهم جاءوا بقميصه ملطخاً ظاهره بدم غير دم يوسف يدعون أنه دمه ليشهد لهم بصدقهم فكان دليلاً على كذبهم، ولو كان من أثر افتراس الذئب له لكان القميص ممزقاً والدم متغلغلاً في كل قطعة منه، ولهذا كله لم يصدقهم ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً﴾ هذا إضراب عن تكذيب صريح تقديره: إن الذئب لم يأكله بل سهلت لكم أنفسكم الأمارة بالسوء أمراً إذاً، وكيداً نكراً، وزينته في قلوبكم فطوعته لكم حتى اقترفتموه، أي هذا أمركم، وأما أمري معكم ومع ربي ﴿فصبر جميل﴾ أو فصبري صبر جميل لا يشوه جماله جزع البائسين من روح الله والقانطين من رحمة الله، ولا الشكوى إلى غير الله ﴿والله المستعان على ما تصفون﴾ من هذه المصيبة لا أستعين على احتمالها غيره أحداً منكم ولا من غيركم.

وفي ذلك قال الإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص[2]...

قوله تعالى: ﴿بدم كذب﴾ يعني مكذوب فيه قال ابن عباس ومجاهد قال لو كان أكله الذئب لخرقه فكانت علامة الكذب ظاهرة فيه وهو صحة القميص من غير تخريق.

قوله تعالى: ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً﴾ يدل على أن يعقوب عليه السلام قطع بخيانتهم وظلمهم وأن يوسف لم يأكله الذئب[3] لما استدل عليه من صحة القميص من غير تخريق وهذا يدل على أن الحكم بما يظهر من

---

(١) الإمام رشيد رضا ـ المنار ـ الآية (١٨) ـ ص ٢٦٧ ـ ج ١٢.

(٢) كتاب أحكام القرآن ـ للإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص ٣٧٠ هـ ـ الجزء الثالث ـ الآية (١٨) من سورة يوسف ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت. ص ١٨٧، ١٦٨.

(٣) لكنهم ندموا فتابوا فتاب الله عليهم.

العلامة في مثله في التكذيب أو التصديق جائز لأنه عليه السلام قطع بأن الذئب لم يأكله بظهور علامة كذبهم، قوله تعالى: ﴿فصبرٌ جميل﴾ يقال أنه لا شكوى فيه وفيه البيان عما تقتضيه المصيبة من الصبر الجميل والإستعانة بالله عندما يعرض من الأمور القطعية المجزية فحكى لنا حال نبيه يعقوب عليه السلام عندما ابتلى بفقد ولده العزيز عنده وحسن عزائه ورجوعه إلى الله تعالى.

وفيما يختص بالتخطيط الفردي فقد ورد في باب التكوين[1] - الأصحاح السابع والثلاثين، ما يلي:

وأما إسرائيل فأحب يوسف أكثر من سائر بنيه لأنه ابن شيخوخته. فصنع له قميصاً ملوناً. فلما رأى إخوته أن أباهم أحبه أكثر من جميع اخوته أبغضوه ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام وحلم يوسف حلماً وأخبر إخوته. فازدادوا أيضاً بغضاً له.

فقال له إخوته ألعلك تملك علينا ملكاً أم تتسلط علينا تسلطاً. وازدادوا أيضاً بغضاً له من أجل أحلامه ومن أجل كلامه. ثم حلم أيضاً حلماً آخر وقصه على إخوته. فقال إني قد حلمت حلماً أيضاً وإذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً ساجدة لي. فحسده إخوته. وأما أبوه فحفظ الأمر.

فلما أبصروه من بعيد قبلما اقترب إليهم احتالوا ليميتوه.

فالآن هلم نقتله ونطرحه في إحدى الآبار ونقول وحش رديء أكله. فنرى ماذا تكون أحلامه. فسمع رأوبين وأنقذه من أيديهم. وقال لا نقتله. وقال لهم رأوبين: لا تسفكوا دماً. اطرحوه في هذه البئر التي في البرية ولا تمدوا إليه يداً. لكي ينقذه من أيديهم ليرده إلى أبيه. فكان لما جاء يوسف إلى إخوته أنهم خلعوا عن يوسف القميص الملون الذي عليه. وأخذوه وطرحوه في البئر. وأما البئر فكانت فارغة ليس فيها ماء.

---

(1) باب التكوين - الأصحاح السابع والثلاثين - ٣، ٤، ٥، ٨، ٩، ١١، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣١، ٣٢، ٣٣.

ثم جلسوا ليأكلوا طعاماً. فرفعوا عيونهم ونظروا وإذا قافلة إسماعيليين مقبلة من جلعاد وجمالهم حاملة كثيراء وبلساناً ولاذنا ذاهبين لينزلـوا بها إلى مصر، فقال يهوذا لإخوته ما الفائدة أن نقتل أخانا ونخفي دمه. تعالوا فنبيعه للإسماعيليين ولا تكن أيدينا عليه لأنه أخونا ولحمنا. فسمع له إخوته، واجتاز رجـال مديـانيون تجـار. فسحبوا يـوسف وأصعدوه من البئر وباعـوا يوسف للإسماعيليين بعشرين من الفضة. فأتوا بيوسف إلى مصر.

فأخذوا قميص يوسف وذبحوا تيساً من المعزي وغمسـوا القميص في الدم. وأرسلوا القميص الملون وأحضروه إلى أبيهم. وقالوا وجـدنا هـذا. حقق أقميص ابنك هو أم لا. فتحققه وقال قميص ابني. وحش رديء أكله. افترس يوسف افتراساً.

ثانياً: علم التخطيط الفردي والجانب الاقتصادي والتخطيطي:

مقـدمـــة

بعد أن عرضنا لأقوال بعض المفسرين حول الآيات من (٧ حتى ١٨) كان لـزاماً علينا أن نوضح بعض جوانب التخطيط الفردي والاقتصادي في تلك الآيات من وجهة نظر فنقول وبالله التوفيق...

١ - بداية تكوين التخطيط الفردي:

يتضح لنا من قصة يوسف عليه السلام أن علوم التخطيط يتفرع منهـا تخطيطات قائمة بذاتها ومنها التخطيط الفردي الذي يبدأ بفكرة من الفرد ثم يخطط هذا الفرد لإيجاد أقرب الحلول لمشكلاته... ومثال ذلك ما يواجهه المرء في الحياة الدنيا من تأمين الرزق لمستقبله وحل المشكلة التي يعانيها الفرد وكيفية التخطيط لها ثم تنفيذها...

وفي قصة يوسف عليه السلام بدأت الفكرة أو وضع الخطة بتفكير إخوة يـوسف عليه السـلام مع بعضهم البعض لتنفيـذ الخطة المعنيـة التي اتفقوا عليها...

وبهـذا فإن علم التخـطيط الفردي يبـدأ بتفكير الشخص أو مجمـوعة أشخاص في حل مشكلاتهم، ومن ثم يبدأون في التشاور فيما بينهم. وبعدها يبدأ التخطيط لتنفيذ ما فكروا فيه من تخطيط فردي أو جماعي لمصلحتهم.

ويمكن إيضاح ذلك في ضوء ما يلي:

٢ ـ الخطوات التخطيطية العلمية للتخطيط الفردي:

كما أوضحنا في الفصل الأول فإن قصة يوسف عليه السلام تعلمنا علم التخطيط الفردي وأن له مكونات وحدود وهيكل خاص. . . ومن ذلك:

أ ـ تحديد المشكلة:

بين الله تعالى في قصة يوسف عليه السلام المشكلة التي تواجه إخوة يوسف حيث قال سبحانه: ﴿**إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين**﴾. آية (٨).

﴿**اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين**﴾. آية (٩).

﴿**قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين**﴾ آية (١٠).

بين الله تعالى أن المشكلة تنحصر في حب الأب ليوسف عليه السلام دون إخوته وكيف يصل هؤلاء الأخوة إلى مثل هذا الحب، ومن ثم فكروا في تخطيط فردي بعد تحديد هذه المشكلة في حلها الذي ينحصر في قتل أخيهم يوسف عليه السلام أو نفيه بعيداً عن أبيه أو إلقائه في غيابة الجب. . . فالمشكلة فردية ذات جوانب خاصة لمصلحة الأفراد ومنفعتهم الخاصة الفردية وهم إخوة يوسف عليه السلام.

ب ـ تعريف علم التخطيط الفردي:

وهكذا يمكننا تعريف علم التخطيط الفردي بأنه: تخطيط الفرد أو عدة أفراد في مشروعات مادية أو معنوية سواء لتحقيق المستوى المعيشي الأفضل للفرد أو لإشباع رغباته وتحقيق مستوى أفضل من النواحي المالية أو التجارية أو الكسب في التجارة أو الصناعة أو أية جوانب أخرى مثل إيجاد مسكن خاص له أو أشياء معنوية أخرى وذلك بكسب العطف والحب والمنافسة كما بينها الله تعالى في قصة يوسف عليه السلام.

﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين﴾. آية (٨).

وكذلك عندما يخطط الفرد في بسط نفوذه أو التسلط والسيطرة على الأفراد لتحقيق غاية فردية... كل ذلك يدخل ضمن علوم التخطيط الفردي.

جـ ـ الأهداف الخاصة للخطة:

نستنتج من ذلك أن كل خطة لها أهداف خاصة وعامة... فما هي أهداف هذه الخطة الخاصة والعامة كما ذكرت في قصة يوسف عليه السلام...؟

الأهداف الخاصة:

لقد أصبح التفكير الفردي بأنهم عصبة مكونة من أحد عشر أخاً حسدوا أخاهم يوسف عليه السلام لأن أباهم يعقوب عليه السلام أحب يوسف أكثر منهم... إذن فالهدف الخاص يجعل التفكير الفردي ينحصر في كيفية استئثارهم بحب أبيهم ومساواتهم في هذا الحب وكذلك تفضيل يعقوب عليه السلام يوسف بحبه أكثر من إخوته لأنه صغير ولأنه كنبي يعلم شيئاً من الغيب مما أعلمه الله عز وجل به... وعنده شعور خاص نحو هذا الصبي وهذا هو الهدف الخاص... كما قال الله تعالى:

﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين﴾ آية (٨).

أما الهدف العام للخطة:

فهو إرجاع الحال كما كان في السابق قبل مجيء يوسف عليه السلام وحب أبيهم لهم... هكذا صورت لهم أهدافهم العامة أن أباهم في ضلال وأنهم بتفكيرهم وتدبيرهم لأهدافهم الخاصة جميعاً سيصلحون الوضع القائم...

د ـ الأهداف البعيدة المدى للتخطيط الفردي:

كما ذكرت في السابق أن كل خطة لها أهداف خاصة وعامة. . . أما الأهـداف البعيدة من قصـة يوسف عليـه السلام فـلا يعلمهـا إلا الله تعـالى وحده. . . أما التفكير الفردي لأخوة يوسف عليه السلام. . . فقـد بدأ حين فكروا في وضع هذه الخطة، حيث كانوا يعتقدون أن الأهداف البعيدة تجعل حب أبيهم يرجع كما كان في السابق. . . لما ترتب على هذا الحب من نفع مادي ومعنوي في الأمد البعيد. . . ومن هذا ندرك أن قصة يوسف عليه السلام كانت عبرة للتاريخ ولكل مسلم مؤمن بكتاب الله العزيز وبكلماته.

كما نتعلم من قصة يـوسف عليه السـلام درساً آخـر من دروس علم التخطيط. . . فعندما ألقي بيوسف عليه السلام في غيابة الجب ومـا حدث ليوسف عليه السلام مستقبلاً مما خفي على أولاد يعقوب عليه السلام. . . إنما كان لحكمة أرادها علام الغيوب، نوه الله عنها، إلا أن تحققها مرتبط بإرادة الله ونية المخطط ونبل الغاية والهدف، فعندما يفكر شخص في فكرة ما ولا تؤتي ثمارها كما هو مخطط لها، كالمزارع مثلاً يزرع أرضاً ويجد في ذلك ويبني آماله على محصوله ولكن قد تحدث آفة لهذا المحصـول أو فيضان يـدمره فيخيب أمله، وهنا يؤمن بأنه لا يعلم الغيب إلا الله وإن أخذ بالأسباب

أو مثل إنسان آخر خطط بأن يعمل في تجارة ما للكسب. . . ولا يعلم سوى أنه خطط وأنه بعد سنين سيكسب وإن كل سنة تأتي ستدر عليه ربحاً وافراً. . . وهو لا يعلم الغيب فقد يأتي الأمـر على عكس ما يـريد فتحـدث له الخسـارة فيندم وما ينبغي له ذلك بل عليه أن يسعى ويخـطط ثم يكل أمـره إلى الله ويرضى بما يقدره له الله إن خيراً أو شراً.

المسلم الصحيح هو الذي يتعظ بكتاب الله ويؤمن بأن الإنسان عليه أن يجد ويعمل ويبذل كل جهده في سبيل ما يتمناه ويأخذ بالأسباب والمقدمات ويترك الباقي لله يصرفه كيفما يشاء.

هـ ـ أنواع التخطيطات الفردية:

ذكرنا من قبل أن التخطيط الفـردي ينقسم إلى تخطيط معنـوي وآخر مادي... والتخطيط المادي يتعلق بالنواحي الماليـة والتجاريـة والاقتصاديـة والسكن والكسب الفردي ورفع مستوى المعيشة ورفع مستوى إنتاجية الفـرد والنواحي الزراعية والصناعية... كل هذه النواحي هي التخطيطات المـادية الفردية.

أما النواحي التخطيطية المعنوية فقد بينها الله تعالى لنا في قصة يوسف عليه السلام سواء بالحب كما في قصة يعقوب عليه السلام وأولاده، فبسبب حسدهم لأخيهم خططوا للتخلص منه... أو بالنفوذ وذلك بأن يضع الفـرد تخطيطاً لتقوية وبسط نفوذه على قريته أو على أفراد أسرته أو على أصدقائه أو على أي شيء آخر... أو بسط السلطة في الأسرة أو المدينة أو القرية وأخيراً في الدولة.

كـل هذه الأشيـاء المعنويـة أوضحتها قصـة يوسف عليـه السـلام في التخطيطات الفردية التي يفكر فيها الإنسان لذاته والتي تنبع من نفسية الفرد بفكرة ومن ثم يرسم معالمها وحدودها وتصبح تخطيطاً فردياً...

و ـ رسم الخطة واحتياجاتها:

يتضح لنا أنه عندما بدأ إخوة يوسف عليه السلام يرسمون الخطة لقتل أخيهم... ما يلي:

بدأت الفكرة من الفرد، ومن ثم عرضها على الأفراد ورسم خطة معينة وبعدها بدأت المناقشة بينهم وتوصـل الأفراد المخـططون إلى رسم الهيكل العام للخطة سواء المادية منها أو المعنوية، وتلا ذلك احتياجات تنفيذ هذه الخطة التي بدأت بفكرة قتله أو نفيه ثم عـدلت إلى إلقائـه في البئر واقتـرح ذلك أحد الأخوة ثم بدأ تنفيذ الخطة المتفق عليها كما ذكر الله تعالى في قوله:

﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ

مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ
قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ
يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ
يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ
لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ
وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا
لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ
لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴿١٦﴾
قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ
وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ
بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

وهكذا يتضح لنا احتياجات الخطة إذ تبدأ بتفكير وتدبير ثم رسم التخطيط لها حيث جاءوا بقميص عليه دم كذب وبعدها مثلوا على أبيهم بأن الذئب أكله. . . كل ذلك كان يحتاج إلى رسم وتخطيط فردي مع احتياجات تنفيذ الخطة.

ز ـ الجوانب الاقتصادية للتخطيطات الفردية:

يتضح من قصة يوسف عليه السلام أن التخطيط الفردي بدأ بفكرة خاصة اقتصادية أو معنوية مثلاً ثم تبلورت هذه الفكرة وأصبحت شيئاً ما قام بتحليله المخططون وهم إخوة يوسف عليه السلام. . .

ومن ثم فكروا في كيفية الخلاص منه وكيف يتم قتله، إلى أن أصبحت

الفكرة خطة متكاملة بهيئتها وتفكيرها وتنفيذها، ومن ثم اكتملت هذه الخطة الخاصة للتنفيذ. . .

ح - مضمون الخطة:

أشارت قصة يوسف عليه السلام إلى أن كل تخطيط فردي له مضمون وله هيكل خاص ويحدد هذا المضمون الجوانب البعيدة والقريبة للخطة وكذا جوانبها الأخرى أثناء تنفيذها سواء أكانت اجتماعية أو اقتصادية أو مالية. . . هذا إذا كانت الخطة مادية، أما إذا كانت الخطة معنوية من ناحية الفـرد أو ناحية الجماعة فإن مضمونها يتم بواسطة هذه الجماعة لجوانب معنوية وكذلك في جوانب أخرى فردية.

ط - صفة الخطة:

من خلال قصة يوسف عليه السلام، وفيما يتعلق بالتخطيط الفردي أرى أن كـل خطة تـأخذ طـابعاً معيناً في صفتها مثـل الصفات الاجتمـاعيـة أو الاقتصادية أو المالية أو العسكرية، أو لهدف وطني أو إسلامي كالجهاد في سبيل الله أو رفع كلمة الله أو نشر الإسلام وتعاليمه.

فمثلاً لا بد أن تأخذ كل خطة الصفة الخاصة، ففي قصة يوسف عليه السلام رجوع حب أبيهم لهم وحسدهم ليوسف.

ي - مدة الخطة:

في قصة يوسف عليه السلام وعندما بدأت وسوسة الشيطان لهم بالتخلص من أخيهم وعندما نفذوا الخطة بإلقائـه في الجب. . . لم تحدد المـدة فلا نعرف كم استغرقت من الشهور أو السنين، فقط نفهم أن مدة الخطة الخاصة حددت بطبيعة انتهاء المهمة المخطط لها. . . أي لم تحدد بيوم أو سنة أو شهر وانتهت مدتها بإلقائه في الجب.

وقد تعلمنا أنه في التخطيط الفردي عند احتساب مدة الخطة يجوز أن تنتهي الخطة في يوم أو في شهر أو في سنة.

وفيما يختص بالتخطيط الفردي، عندما نفكر أو نضع خطة فردية لا نحددها بمدة معينة. . . فمثلاً لمشروع تجاري أو اقتصادي أو رفع مستوى معيشة الفرد أو نواحي دينية معنوية كالجهاد في سبيل الله أو نشر وتعليم كتاب الله. . . هذه لا تأتي في مدة زمنية معينة ولكن تنتهي بانتهاء المهمة الفردية للتخطيط. . . ويجوز أن المهمة لا تنتهي إلى أبد الآبدين. . . فمثلاً عندما انتشر الإسلام في أفريقيا وآسيا فإنه لم تحدد مدة معينة ولكن جاء بواسطة أفراد تجار مسلمين ومهاجرين ودعاة عندما سافروا إلى أفريقيا وإلى أقاصي الصين وأندونيسيا والملايو فنشروا الإسلام هناك. . . إذن لا يوجد وقت معين لانتشار الإسلام وإنما انتشر الإسلام مع الوقت شيئاً فشيئاً ولم يحدد للتخطيط الفردي في نشر الإسلام أي مدة معينة ولكن استغرقت الخطة سنين من التعامل التجاري والاقتصادي في الدعوة له وبواسطة هذا التعامل وما اكتنفه من أخلاق إسلامية انتشر الإسلام.

ك ـ النتائج والسمات العامة والخاصة للخطة:

في قصة يوسف عليه السلام عندما رسمت الخطة وطبقت ظهرت عليها نتائج عامة وأخرى خاصة وثالثة خفية لا يعلمها إلا الله عز وجل. . .

ـ فالنتائج الخاصة كانت بالنسبة للفرد أو مجموعة الأفراد وهم إخوة يوسف عليه السلام الذين أرادوا كسب عطف أبيهم ولهذا خططوا والله يعلم ما تخفي صدورهم وما يخططون طبقوا هذه الخطة فكانت النتيجة العامة لمجموعة الأفراد وهم إخوة يوسف عليه السلام الإخفاق في كسب الحب المنشود. وبهذا نتعلم من قصة يوسف عليه السلام درساً هاماً: على جميع المسلمين أن يستوعبوه جيداً ويفهموا مغزاه. فعندما نأتي بخطة فردية معينة وسوس فيها الشيطان مثل كسب المال الحرام أو حب الشهوات مثل الطمع ـ الجشع ـ الغبن ـ فإن هذه الأشياء التي حرمها ونهانا الله عنها ينبغي تجنبها والبعد عنها. . . ويجب علينا أن نفكر ملياً في تخطيطاتنا بحيث لا تكون من المحرمات التي حرمها الله علينا حتى يبارك الله عز وجل في أعمالنا التي نسعى دائماً بأن تكون أعمالاً صالحة.

ـ أما النتائج المستقبلية التي تدخل في علم الغيب فلا يعلمها إلا الله وحده. . . فإن أخوة يوسف لم يعلموا بمستقبل أخيهم يوسف عليه السلام، ولم يعلموا أنه سيكون وزيراً لخزانة مصر أو المسئول الوحيد فيها. . . وأنه ستحدث مجاعة وكيف سيلجأ إخوة يوسف عليه السلام إليه. . . وكيف أن الله سبحانه وتعالى أعطاهم درساً لن ينسوه، ليكون عبرة لجميع المسلمين في تفكيرهم وتخطيطاتهم وأفعالهم الخاصة.

من هذا يتبين لنا أن المنهج السليم للتخطيط يأتي من خلال كتاب الله عز وجل. . . وقد تعلمناه من خلال قصة يوسف عليه السلام. . . فإن التخطيطات الفردية يمكن أن يستفيد منها كل مسلم مؤمن بكتابه العزيز في أفكاره الإسلامية وأفعاله وتصرفاته الخاصة والتي تتبع مما حلله الله له. . . فلا يأتي بفكرة أو قصة أو تصرف إلا بما تمليه عليه الشريعة الإسلامية.

أما المحرمات وما نهانا عنه كتاب الله فيمتنع المسلم المؤمن عن التفكير فيها والتخطيط لها أو الأخذ بهذه الأفكار والتخطيطات لها سواء كفرد أو مجموعة أفراد لأن الشيطان يلعب بأفكارنا وهو عدو مبين لنا كما بين الله تعالى في كتابه الكريم إذ يقول: **﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾**(1) إن الشيطان يحاول أن يدخل في أفكارنا فيحلل ما حرمه الله علينا ويقنعنا بأنه حلال وكسب قد ينقذنا من الفقر أو الطمع أو خلاف ذلك. . . ويحاول الشيطان بأفكاره الهدامة وأساليبه الخادعة لنتحايل ونتعامل بالربا والفاحشة أو نرتكب الإثم والمعاصي أو الكذب أو السرقة.

ولكن القرآن الكريم وسنة نبينا عليه السلام أنارا لنا الطريق وعلمانا كيف نسير في حياتنا ونبتعد عن المحرمات ومن هذه القصة وما ظهر فيها من أهمية التخطيط الفردي نعرف حب المسلم لأخيه المسلم بأن المسلم يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ويتجنب الأفكار الهدامة إلى غير ذلك من خلال

---

(1) آية (٦) سورة فاطر.

تعاليم الإسلام التي يجب أن يخطط الفرد على ضوئها في حياته الاقتصادية وغيرها. . .

وعلينا أن نأخذ من قصة يوسف للتخطيط الفردي عبرة ومثلاً علمه الله لنا. . . والله ولي التوفيق.

ثالثاً: المحظورات والمنهيات الإسلامية في التخطيط الفردي

«تمهيد»

الحسد:

داء وبيل، ومرض عضال، يفسد حياة صاحبه، فيجعله غير راض بما قسم الله له، وينظر إلى ما هو أحسن منه نظرة حقد وحسد، ويتمنى زوال النعمة عنه، ولقد علمنا القرآن الكريم كيف نتقي شر الحسد.

فقال في سورة الفلق: ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ الآية (٥)... ولا مانع من أن يكتم الإنسان بعض ما آتاه من نعم، فلا يظاهر بها حتى لا تكون عرضة للحسد.

والنبي ﷺ، علمنا في قوله: **استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود**[1].

والمفسرون جميعاً في أقوالهم السابقة، ارجعوا ما فعل إخوة يوسف به إلى حسدهم إياه في حب أبيه له.

أوضحت قصة يوسف عليه السلام أن إخوته حسدوه بسبب حب أبيه له

(١) في رواية (استعينوا على نجاح الحوائج بكتمانها) الخطيب عن ابن العباس وفي رواية أخرى (استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود) طب/ حل/ هب/ عن معاذ بن جبل.... كتاب كنزل العمال في سنن الأقوال والأفعال ـ للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان سنة ٩٧٥.

وعطفه عليه أكثر منهم وقد وسوس الشيطان إليهم حتى تآمروا وخططوا وألقوه في الجب.

كما جاء في قوله تعالى في سورة يوسف:

﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلاَلٍ مبين﴾ آية (٨).

﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين﴾ آية (٩).

فالحسد مرض يصيب الإنسان لأطماع ذاتية في داخله، ولقد تسبب حب يعقوب ليوسف عليه السلام بدرجة تفوق حبه لباقي إخوته في جعل الحسد يملأ قلوبهم، كما نصح يعقوب عليه السلام ولده يوسف عليه السلام بألا يقص رؤياه لإخوته ليتجنب حسدهم عليه، كما بين الله تعالى:

﴿قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدوٌ مبين﴾ آية (٥).

ومن هذه القصة ينبغي أن نتعظ ونعتبر خاصة عندما نصاب بالحسد فعلينا أن نلجأ إلى الصلاة ونحتمي بكتاب الله ونقرأ القرآن الكريم لتهتدي قلوبنا وتسكن أنفسنا، فكثيراً ما يحدث ذلك في حياتنا اليومية بين التجار والناس في الأسواق بأن يتسلل الحسد إلى قلوبهم... فيكيد بعضهم لبعض.

وقد أشار إلى ذلك الإمام الطبري[1] في تفسيره فقال:

ذلك يدل على جوز ترك إظهار النعمة، عند من يخشى غائلته حسداً وكيداً.

---

(١) الإمام الطبري ـ أحكام القرآن ـ الجزء الثالث والرابع ـ ص ٢٢٩.

وقـال النبي عليه الصـلاة والسـلام: استعينـوا على قضـاء حـوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود[1].

وقد جاء في أحكام القرآن لابن العربي[2] حول تفسير الآية (٥):

قوله تعالى: ﴿قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدوٌ مبين﴾.

فيها ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: في حقيقة الرؤيا، وهي حالة شريفة جعلها الله للخلق بشرى، وقال ﷺ: لم يبق بعدي من المبشرات إلا الرؤيا[3]، وحكم بأنها جزء من سبعين جزءاً من النبوة.

المسألة الثانية: قوله: **﴿لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لـك كيدا﴾**: حكم بالعادة من الحسادة بين الإخوة والقرابة.

وقيل: إن يعقوب قد كان فهم من إخوة يوسف حسداً له بما رأوا من شغف أبيه به، فلذلك حذره.

المسألة الثالثة: قال علماؤنـا: هذا يـدل على معرفـة يعقوب بتـأويل الرؤيا، لأن نهيه لابنه عن ذكرها، وخوفه على إخوته من الكيد له من أجلها عِلْمٌ بأنها تقتضي ظهوره عليهم وتقدمه فيهم، ولم يبال بذلك يعقوب، فإن الرجل يود أن يكون ولده خيراً منه، والأخ لايود ذلك لأخيه.

---

(١) أخرجه الطبراني وذكره ابن الجوزي في الموضوعات.

(٢) أحكـام القرآن ـ ابن العـربي ـ تحقيق على محمد البجـاوي ـ المجلد الثالث ـ ص ١٠٧٣، ١٠٧٥.

(٣) في رواية «لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له» رواه البزاز عن أبي الطفيل عن حذيفـة، وفي رواية (لم يبق من المبشـرات. قالـوا وما المبشرات، قال الرؤيا الصالحة) أخرجه البخاري عن أبي هريرة). وفي رواية (لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له) أخرجه البيهقي عن عائشة.

وإلى مثل ذلك ذهب الرازي[1] في كتابه أحكام القرآن حول تفسير الآيتين ٤، ٥ من سورة يوسف إذ يقول:

قوله عز وجل: ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ فيه بيان صحة الرؤيا من غير الأنبياء لأن يوسف عليه السلام لم يكن نبياً في ذلك الوقت بل كان صغيراً وكان تأويل الكواكب إخوته والشمس والقمر أبويه...

قوله تعالى: ﴿ لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا﴾ علم أنه إن قصها عليهم حسدوه وطلبوا كيده وهو أصل في جواز ترك إظهار النعمة وكتمانها عن من يخشى حسده وكيده وإن كان الله قد أمر بإظهارهما بقوله تعالى: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾.

الشيطــان:

أوضحت قصة يوسف عليه السلام كيف تسلل الشيطان إلى عقول أخوة يوسف فجعلهم يتآمرون عليه حتى كادوا أن يقتلوه... وأخيراً ألقوه في الجب، وكيف زين لهم أنهم أكبر منه سناً وأكثر قوة ويقومون بجميع مصالح أبيهم كما خدعهم الشيطان بأن يتخلصوا من يوسف عليه السلام، ليفوزوا بحب أبيهم، كما في قوله تعالى: ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين﴾. آية (٩).

ومن الناحية الاقتصادية يستفاد من هذا الموقف أشياء كثيرة وهي أن حياتنا الاقتصادية اليومية في الأسواق... في التجارة، وفي المصانع، وفي العمل اليومي لطلب الرزق كثيراً ما يتسلل الشيطان إلى عقولنا ويزين لنا بأفكار هدامة قد نخطط لها ونحسب أنها منفعة لنا ولكنها عكس ذلك... كما ذكر الله تعالى في هذه القصة... فينبغي علينا أن نتخذ من القصة عبرة ومثلاً

(١) كتاب أحكام القرآن ـ للإمام أبي بكر أحمد بن على الرازي الجصاص ـ ٣٧٠ هـ الجزء الثالث ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ الآيتين ٤، ٥ من سورة يوسف ـ ص، ١٦٧.

حياً، خاصة عندما تضعف نفوسنا وتغلق قلوبنا وعقولنا فعلينا أن نصلي ونقرأ القرآن الكريم فهو كلام الله الذي يبعد عنا الوسواس الخناس والأفكار الشيطانية. . . قال تعالى: ﴿**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾[1]. . . والله يهدي من يشاء إلى سواء السبيل.

ولكي تتضح أمامنا الصورة جلية لموقف إخوة يوسف منه ومن أبيهم يعقوب، وما كان من كذبهم ومحاولتهم التدليس عليه. . . نرى أن نسوق أقوال بعض المفسرين في هذا الصدد. ومن ذلك ما جاء في أحكام القرآن لابن العربي[2] - حيث يقول في تفسيره للآيات (١٦، ١٧، ١٨) من سورة يوسف ما يلي:

قوله تعالى: ﴿**وجاءوا أباهم عشاء يبكون. قالوا: يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين**﴾.

فيها ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: قال علماؤنا: هذا يدل على أن بكاء المرء لا يدل على صدق مقاله، لاحتمال أن يكون تصنعاً، ومن الخلق من يقدر على ذلك، ومنهم من لا يقدر. . . أليس في البكاء مما هو على سبيل الرياء من أجل الخلاص من الجريمة تدليس وأي تدليس؟

المسألة الثانية: قوله تعالى: ﴿**إنا ذهبنا نستبق**﴾.

اعلموا وفقكم الله أن المسابقة شرعة من الشريعة، وخصلة بديعة، وعون على الحرب، وقد فعله النبي ﷺ بنفسه وبخيله، فروي أنه سابق عائشة فسبقها، فلما كبر رسول الله ﷺ سابقها فسبقته، فقال: هذه بتلك.

---

(١) الآية (٢٨) من سورة الرعد.

(٢) أحكام القرآن - ابن العربي - المجلد الثالث - ص ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧ - تحقيق علي محمد البجاوي.

وفي ذلك من الفوائد رياضة النفس والدواب، وتدريب الأعضاء على التصرف. فهل تسابُق إخوة يوسف المزعوم جاء على وجه الشريعة؟ كلا إنه التسابق المزعوم تغطية لما اقترفوه من جرم في حق أخيهم وأبيهم بعد أن سولت لهم أنفسهم وزين لهم الشيطان ما فعلوه.

قوله تعالى: **﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب قال: بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون﴾.**

فيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: إنما أرادوا أن يجعلوا الدم علامة على صدقهم، إن الدم يحتمل أن يكون في القميص موضوعاً، ولا يمكن افتراس الذئب ليوسف، وهو لابس للقميص ويسلم القميص من تخريق، وهكذا يجب على الناظر أن يلحظ الأمارات والعلامات وتعارضها.

المسألة الثانية: القضاء بالتهمة إذا ظهرت كما قال يعقوب: **﴿بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل﴾.**

ولا خلاف في الحكم بالتهمة، وإنما اختلف الناس في التأثير في أعيان التهم حسبما يأتي منثوراً في المسائل الأحكامية في هذا الكتاب، ولذلك قالوا له: **﴿وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين﴾**: أي تهمتك لنا بعظم محبتك تبطل عندنا صدقنا، وهذا كله تخييل.

المسألة الثالثة: قال علماؤنا: كان في قميص يوسف ثلاث آيات - جاءوا عليه بدم كذب، وقد من دبر، وألقى على وجه يعقوب فارتد بصيرا.

وبعد. أليست كل هذه المقدمات من قميص سليم بلا خرق، ودم كاذب لا أصل به دليلاً على تدخل الشيطان في هذا التخطيط الفردي وتنفيذه ومن ثم كان الحكم **﴿بل سولت لكم أنفسكم أمراً...﴾** وفي مواجهة هذا التخطيط الشيطاني كان إيمان يعقوب عليه السلام متمثلاً في صبره واستعانته بالله **﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾.**

ومن ذلك ما ذكره الشيخ السيد عبد الحافظ عبد ربه[1] في كتابه «بحوث في قصص القرآن»:

وذكر العشاء في قصة أخوة يوسف لأنه جزء من الليل يمكن فيه تدبير الجريمة. ولذلك تستر إخوة يوسف في غبشه، وضبشه، وظلامه وسواده. وجاءوا فيه إلى أبيهم يخبرونه هذا الخبر المشئوم المكذوب ﴿وجاءوا أباهم عشاء يبكون﴾... فهذه الجزئية من جزئيات الزمن حرص القرآن على ذكرها لأن لها مكاناً في سير أحداث القصة... ذلك أن ظلام الليل الذي أظل هذا الكذب الذي وصفه الله سبحانه بقوله: ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾، هو نفسه الظلام الذي نم على الكذب. ودل عليه. وألقى في خاطر الأب. أن أبناءه لو كانوا صادقين فيما أخبروا لسارعوا إلى أبيهم بالحدث في وقته. لأن مثل هذا الحدث لا يسكت عليه لحظة!!

ـ اللســـان:

بين الله تعالى في قصة يوسف عليه السلام جانباً من الجوانب الإنسانية التي يقع فيها كل مسلم في معاملاته التجارية والاقتصادية والمالية سواء بالتخاطب أو الحلف الكاذب مع الناس بعضهم البعض... فإن اللسان يعبر وينفذ لكل ما يفكر فيه الإنسان بعقله ونفسيته فهو المعبر الوحيد الذي يتفاهم به الإنسان مع أخيه الإنسان.. لذلك يبين الله لنا في هذه القصة كيف اجتمع إخوة يوسف عليه السلام وتشاوروا ثم تكلمت ألسنتهم وأجمعوا على قتله، ولكن اقترح أحدهم رميه في الجب كما في قوله تعالى:

﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً...﴾ آية (٩).

لذلك فإن تخطيط إخوة يوسف في رميه ومن ثم كيف طاوعهم لسانهم للكذب على أبيهم وأنهم يريدون اللعب واللهو في البر... وكذلك كيف عبر لسانهم عن فكرتهم هذه وهي أنهم تركوا يوسف وأكله الذئب وبعدها طاوعتهم

---

(١) الشيخ السيد عبد الحافظ عبد ربه ـ بحوث في قصص القرآن ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ص ٥٩.

عقولهم وألسنتهم بإتيان القميص بدم كذب ولكن يعقوب عليه السلام نبي الله صبر وتوكل على الله الخالق.

ومن هنا نستطيع استنتاج عدة نقاط مهمة في النواحي الاقتصادية وهي:

أ ـ بإمكان اللسان أن يعبر تعبيراً حسناً يرضاه الله تعالى في التخاطب بين الناس بالأسلوب الحسن والكلمة الطيبة.

ب ـ كذلك من الممكن بواسطة العقل واللسان أن يتحدث الشخص بألفاظ تسيء للشخص الآخر وتغضب من حوله... لذلك فإن تحكم الشخص في لسانه عامل مهم.

جـ ـ بواسطة العقل واللسان يستطيع الإنسان أن يفعل أشياء حرمها الله تعالى في كتابه ونهى عنها بأن يتفوه ويفعل ما يغضب الله.

د ـ اللسان هو من الأعضاء المهمة في جسم الإنسان التي يتحكم فيها العقل وإذا كان الإنسان يقرأ القرآن الكريم ويصلي ويصوم ويعمل ما أمر به الله فإن الله يحمي لسانه.

هـ ـ في التعامل التجاري والاقتصادي كثيراً ما يتخاطب التجار مع المشترين أو الرئيس ومرؤوسيه فإن حسن وهذب لسانه بكتاب الله فالنتيجة أن اللسان يأتي بما يرضاه الله.

و ـ نص الله تعالى في سورة إبراهيم على أهمية الكلمة الطيبة وسوء الكلمة الخبيثة ورغب في الأولى ونفر من الثانية ومعلوم أن اللسان هو أداة الكلمة ـ فقال سبحانه.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ
وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ
ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ
خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ

﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۝٢٧﴾

(الآيات من ٢٤ حتى ٢٧).

فهذه الآيات توضح أهمية الكلمة التي يتفوه بها اللسان... ودورها في نجاته أو هلاكه...

وخلاصة القول أن اللسان يعتبر من أعظم نعم الله تبارك وتعالى على الإنسان. ومع أنه أحد الأعضاء الهامة في الجسم إلا أنه يختلف في مهمته عن باقي الأعضاء... فمثلاً العين تبصر وتميز الألوان والأشكال... أما الأذن فهي تصغي وتلتقط الأصوات... وأما اليد فتلمس الأشياء... إلخ. ولكن اللسان مهمته أوسع وأشمل ففيه مناطق التذوق ثم إن المسلم ينطق به الشهادتين... كما أن الإنسان يعبر به عما يريد ويرغب عن طريق الكلام... والمسلم المؤمن يستطيع أن يحفظ لسانه ويتحكم فيه... فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة... ويلجمه عن كل ما يضره سواء كان ذلك عن طريق الغيبة أو النميمة أو الكذب... ولعل الحكمة في إفراد اللسان دون بقية الأعضاء أن يختص هذا العضو الواحد بتوحيد الواحد [**وهل يكب الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم**] كما جعل سبحانه القلب مفرداً حتى لا يشغل بغير الواحد ﴿**ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه**﴾[1].

ومن حيث إن التخطيط يعتمد على البيانات الصادقة حتى تسلم الخطة وتؤتى ثمارها، كما أن كذب البيانات يؤدي إلى فساد الخطة وفشلها واللسان كما رأينا أساس الكذب فإننا نرى وجوب الصدق فيما يقدم من بيانات أو معلومات وأنه على المخطط أن يراجع البيانات ويتأكد من صدقها قبل وضع خطته قال تعالى: ﴿**قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين**﴾[2].

---

(١) آية (٤) سورة الأحزاب.

(٢) آية (٢٧) من سورة النمل.

رابعاً: السمات والأخلاقيات الإسلامية في التخطيط الفردي

بين لنا الله تعالى في قصة يوسف-عليه السلام جانباً آخر وهو ارتباط الإنسان بإيمانه وبتعاليم ربه وبين لنا الكثير من الأخلاقيات والصفات والتصرفات في قصة يوسف، منها:

ـ الأمانة:

تعتبر الأمانة من صفات المؤمنين الصالحين المتقين الطائعين لله تبارك وتعالى... والأمانة عرضها الله عز وجل على السموات والأرض والجبال. فأبين حملها... كما ذكر في الآية الكريمة:

﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا﴾ آية (٧٢) من سورة الأحزاب.

وقد تجلت صورة الإنسان الظلوم الجهول في إخوة يوسف عليه السلام... الذين فشلوا في حمل الأمانة... نحو أبيهم يعقوب عليه السلام... وذلك حين وسوس لهم الشيطان بالتخلص، من أخيهم يوسف عليه السلام... بإلقائه في الجب أو قتله... كقول الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين﴾ آية (١٠)، وبعدها جاءوا إلى والدهم بقميصه وعليه دم كذب كما ذكر الله تعالى في كتابه العزيز[١].

(١) لكنهم أخيراً تابوا فتاب الله عليهم.

﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾ آية (١٨). وبذلك فلم يراعوا الأمانة تجاه أخيهم وكذلك تجاه والدهم وتجاه دينهم...

فالأمانة هي أساس ديننا الإسلامي الحنيف للإنسان المؤمن... ولكن ربما يتعرض الإنسان للحظات ضعف تجاه الحياة المعيشية فيوسوس له الشيطان بأن يخون الأمانة نحو دينه ووطنه وعمله وحياته الاقتصادية بأسباب يتوهم أنها صحيحة أو مفيدة ولكن إذا أيقن المرء هذا الدرس الذي بينه الله لنا في قصة يوسف فقد يتعظ عندما تخونه نفسه بعدم أداء الأمانة ويرجع إلى كتاب الله يستلهمه الهداية والرشاد...

ـ الصبر:

هو من صفات المؤمن... وقد أوضحت قصة يوسف عليه السلام معنى الصبر ومدى تحمل يوسف عليه السلام وإيمانه بقضاء ربه والتوكل عليه وذلك عندما رموه في الجب وبعده عن حنان والده وفراقه لبيته وأهله فإنه أعطانا درساً في مدى تحمل الإنسان وقدرته على الصبر.

كذلك بين الله لنا شعور يعقوب عليه السلام عندما أتى أخوة يوسف بقصتهم وعلمه بعدم صحتها ﴿... قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾ آية (١٨). فبهذا أثبت يعقوب عليه السلام النبي المؤمن المتوكل على الله... أقصى احتمال الإنسان للصبر... وكيف أن الإنسان يستطيع أن يكبت عواطفه وأحاسيسه تجاه ما يصادفه في حياته من مصائب ومتاعب.

قال تعالى:

وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾

الآيتان (١٥٥ ـ ١٥٦) من سورة البقرة.

وبعد... فقد تجلى صبر يوسف عليه السلام فيما يلي:

١ ـ صبره على حسد وحقد إخوته.
٢ ـ صبره على فراق أهله.
٣ ـ صبره على الحياة في أعماق البئر.
٤ ـ صبره على بيعه والعيش كعبد يباع ويشترى.
٥ ـ صبره على تحمل السجن والوشاية به.
٦ ـ صبره على كيد امرأة العزيز له.

ولعل سائلاً يسأل ما علاقة الأمانة والصبر بالتخطيط نقول: إن الأمانة هي الركن الركين والحصن الحصين الذي ينبغي أن يراعيه مقدم البيانات والمعلومات اللازمة للخطة إضافة إلى أن نجاح الخطة يعتمد جل الإعتماد على الأمانة في وضعها على ضوء تلك البيانات والأمانة في تنفيذها... كما أنه لا نجاح لأي عمل دون صبر ومثابرة فالصبر والصدق جندان لا يغلبان في كل ميدان، ومن ثم أرى لزاماً على أن أضرب المثل في الصبر والصدق وقوة التحمل... ولعل أروع مثل لذلك صبر يوسف عليه السلام وصدقه.

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية[1]، عن صبر وتحمل يوسف عليه السلام قوله:

وكان القوم قد عزموا على حبسه إلى حين قبل هذا ظلماً له، مع علمهم ببراءته من الذنب.

قال الله تعالى: ﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين﴾ ولبثه في السجن كان كرامة من الله في حقه: ليتم بذلك صبره وتقواه، فإنه بالصبر والتقوى نال ما نال: ولهذا قال: ﴿أنا يوسف، وهذا أخي، قد من الله علينا، إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ ولو لم يصبر ويتق بل أطاعهم فيما طلبوا منه جزعاً من السجن لم يحصل له هذا الصبر والتقوى. وفاته الأفضل باتفاق الناس.

---

(١) مجمع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية ـ الجزء الثاني ـ المجلد ١٥ ص ١١٥.

كما ورد في كتاب كنز العمال في سنن الأقـوال والأفعال[1] عن صبـر يوسف عليه السلام، ما يلي:

٣٢٤١٠ ـ عجبت لصبر أخي يوسف وكرمه والله يغفر له حيث أرسل إليه ليستفتى في الرؤيا، ولو كنت أنا لم أفعل حتى أخرج، وعجبت لصبره وكرمه والله يغفر له أتى ليخرج فلم يخرج حتى أخبرهم بعذره، ولو كنت أنا لبادرت البـاب ولولا الكلمة لما لبث في السجن حيث يبتغي الفرج من عند غير الله قوله: ﴿أذكروني عند ربك﴾. للطبراني في الكبير وابن مردويه وابن النجار عن ابن عباس.

وقد ذكر الإمـام الطبـري[2] في تفسيره لـلآية (١٨) من سـورة يوسف ما يلي:

قوله تعالى: ﴿بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل﴾ الآية (١٨).

فصبر جميل، يدل على أن من أدب الدين حسن الصبر والعزاء، وترك الشكوى، وهو مثل قوله تعالى:

﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾[3].

التوكل على الله:

يعتبر التوكل على الله من صحيح العقيدة الإسلاميـة ومن الأمور التي يجب على المسلم المؤمن اتباعها. فيرضى بما قسم الله له في الحياة ويأخذ في الأسباب مستعيناً بالله سائلاً إياه التوفيق والرشاد.

فقد رضى يوسف بما قدره عليه ربه، وأسلم أمره إليه، فكان الله إلى جانبه، ألهمه تفسير الرؤيا والتي كانت سبباً في خروجه من السجن، وتوليه مسئولة إدارة الحكم في مصر.

---

(١) كنز العمال في سنن الاقوال والأفعال للعلامة علاء الدين على المتقى بن حسام الدين الهندي البرهان فورى المتوفى سنة ٩٧٥.

(٢) الإمام الطبري ـ أحكام القرآن ـ الجزء الثالث والرابع ـ ص ٢٣٠.

(٣) سورة البقرة، آية ١٥٦.

يقول المولى عز وجل:

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ﴾

الآية (٣) من سورة الطلاق.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية[1]، عن توكل يوسف عليه السلام، قوله:

﴿وما أغنى عنكم من الله من شيء، إن الحكم إلا لله، عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون﴾[2].

و «أيضاً» فيوسف قد شهد الله له أنه من عباده المخلصين، والمخلص لا يكون مخلصاً مع توكله على غير الله، فإن ذلك شرك، ويوسف لم يكن مشركاً لا في عبادته ولا توكله، بل قد توكل على ربه في فعل نفسه بقوله: **﴿وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين﴾** فكيف لا يتوكل عليه في أفعال عباده؟

وقوله: **﴿اذكرني عند ربك﴾** مثل قوله لربه: **﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾** فلما سأل الولاية للمصلحة الدينية لم يكن هذا مناقضاً للتوكل. ولا هو من سؤال الإمارة المنهى عنه، فكيف يكون قوله للفتى: **﴿اذكرني عند ربك﴾** مناقضاً للتوكل وليس فيه إلا مجرد إخبار الملك به، ليعلم حاله ليتبين الحق، ويوسف كان من أثبت الناس.

وفي قول يوسف: **﴿رب السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين﴾** عبرتان[3].

أحداهما: اختيار السجن والبلاء على الذنوب والمعاصي.

والثانية: طلب سؤال الله ودعائه أن يثبت القلب على دينه، ويصرفه إلى

---

(١) مجمع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ـ الجزء الثاني ـ المجلد ١٥ ص ١١٤.

(٢) يوسف آية ٦٧.

(٣) مجمع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ـ الجزء الأول ـ المجلد ١٤ ص ١٣٠.

طاعته، وإلا فإذا لم يثبت القلب وإلا صبا إلى الآمرين بالذنوب، وصار من الجاهلين.

ففي هذا توكل على الله واستعانة به أن يثبت القلب على الإيمان والطاعة، وفيه صبر على المحنة والبلاء، والأذى الحاصل إذا ثبت على الإيمان والطاعة.

ـ التصرف:

وهو نتيجة للصبر والتوكل على الله... فقد تصرف يوسف تصرفاً حسناً حين صبر على كيد إخوته ورضي بقضاء الله وتوكل عليه تاركاً أمره لربه عز وجل...

فالإنسان عندما تحدث له فاجعة أو مصيبة في أحد أبنائه يجب أن يواجه ذلك بالصبر والتوكل على الله والإيمان به.

ويستفاد من ذلك ما قد يحدث في حياتنا الاقتصادية وما يتعلق بالأمور المالية أو التجارية من كساد وخسارة، وغير ذلك من الأمور الاقتصادية فيجب عليه أن يحسن التصرف بالصبر والرضا بما قدر عليه تعالى.. فقد تكون لله حكمة في ذلك لا يعلمها إلا هو سبحانه علام الغيوب... فقد يكون ذلك خيراً له.

﴿**وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم**﴾ الآية (٢١٦) من سورة البقرة.

ويستدل على ذلك:

بما جاء في كتاب أحكام القرآن للإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص[1] في تفسير الآيات من ٣٦ حتى ٣٩ من سورة يوسف:

---

(١) كتاب أحكام القران ـ للإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص ـ ٣٧٠ هـ الجزء الثالث ـ الآيات من ٣٦ حتى ٣٩ ـ ص ١٧٢، ١٧٣ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

قوله تعالى ﴿قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً﴾ قيل فيه إضمار عصير العنب للخمر وذلك لأن الخمر المائعة لا يأتي فيها العصر.

قوله تعالى: ﴿نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين﴾ قال قتادة كان يداوي مريضهم ويعزي حزينهم ويجتهد في عبادة ربه وقيل كان يعين المظلوم وينصر الضعيف ويعود المريض وقيل من المحسنين في عبارة الرؤيا لأنه كان يعبر لغيرهما * قوله تعالى: ﴿قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله﴾ الآية قال ابن جريج عدل عن تأويل الرؤيا إلى الاخبار بهذا لما رأى على أحدهما فيه من المكروه فلم يدعاه حتى أخبرهما به وقيل إنما قدم هذا ليعلمه ما خصه الله تعالى به من النبوة وليقبلا إلى طاعة الله وقد كان يوسف عليه السلام فيما بينهم قبل ذلك زماناً فلم يحك الله عنه أنه ذكر لهم شيئاً من الدعاء إلى الله وكانوا قوماً يعبدون الأوثان وذلك لأنه لم يطمع منهم في الاستماع والقبول فلما رآهم مقبلين إليه عارفين بإحسانه أمل منهم القبول والاستماع فقال: ﴿يا صاحبي السجن. ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾..

لقد أحسن يوسف التصرف إبان محنته فاختار السجن على الفاحشة واتجه إلى الله تاركاً القنوط واليأس وانتهز الفرصة عندما حانت للدعوة إلى توحيد الله بين السجناء.

ـ الإيمان بالغيب:

وضح في قصة يوسف عليه السلام إيمان يعقوب بأن الغيب لله لا يعلمه إلا هو... فيقول لأولاده ﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾ ﴿عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً﴾.

كما تجلى إيمان يوسف في رضاه بقدر الله عليه، فهو يؤمن صادقاً أن علم الغيب لله ليس لسواه... فكان في كل عمل مؤمناً راضياً مسلماً أمره لله.

وفي هذا درس لنا في حياتنا وما يتعلق بها من أمور محبوبة أو مكروهة

علينا أن نوقن يقيناً جازماً أن الله يعلم الغيب، وهو قد كتب على كل إنسان ما أراده له. . . فليرض به.

ـ الشـــورى:

وهي طرح أمر على جماعة من الناس لأخذ رأيهم فيه، وأصلاً تكون الشـورى فيما يعـود على الناس بـالخير ـ لـذا جعلهـا الله من أسس الحكم الصالح. . . ووجه رسوله محمداً ﷺ إليهـا حين قال لـه ﴿وأمرهم شـورى بينهم﴾[1] وقوله: ﴿وشاورهم في الأمر﴾[2].

لكن إخوة يوسف خرجوا عن هذا الأصل السليم والمبدأ القويم حين تشاوروا في أمر التخلص منه، والإتفاق على الكذب على أبيهم فإذا اعتبرنا ما كان من إخوة يوسف شورى تجاوزا، فلنأخذ نحن بالأصل فيها، وهو العمل للصالح العام الذي يرضى عنه الله ورسوله.

فالشورى أحد الأركان المهمة والتي تمسك بها الرسول عليه السلام في كثير من الأمور. . . ومن ذلك مشاورته عليه السلام أصحابه في الغزوات. . . إلخ. وكما فعل الخلفاء الراشدون وصحابة الرسول أجمعين.

والشورى مبدأ أساسي من مبادىء الإسلام الحنيف. . . وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى باتباع ذلك في قوله الكريم في سورة الشورى:

﴿وأمرهم شورى بينهم. . .﴾ الآية (٣٨).

حتى ينصلح حالنا وتستقيم أمورنا. . . ترى أنأخذ بمركزية التخطيط أو لا مركزيته؟

التفضيل والإختيار:

أحد ظواهر الحياة. . . وهو سلوك نفسي نحو شخص آخر. . . أياً كان

---

(١) الشورى آية رقم ٣٨.

(٢) آل عمران آية رقم ١٥٩.

موقع هذا الشخص... كأن يكون أحد الأنبياء... أو الأصدقاء... إلخ.

وفي قصة يوسف عليه السلام... تبين أن يعقوب عليه السلام يفضل ولده يوسف عن باقي إخوته.

وقد ذكرت الآية (٨):

﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين﴾ آية (٨).

ونحن هنا لن نناقش أسباب تفضيل يوسف عن إخوته الآخرين... ولكننا سنبحث التفضيل من الناحية الاقتصادية حيث ثبت أن المقارنة توصل إلى أحسن النتائج.

فمثلاً لا يمكن المقارنة والتفضيل بين البطيخ والبرتقال فهذا شيء يختلف عن مثيله في المقارنة في الشكل في الطعم وفي الموسم هذا صيفي وهذا شتوي وكذلك الحجم... إلخ. ولكن يمكن أن نقارن بين بطيخة بمثيلاتها أو برتقالة بمثيلاتها، كما بين لنا الله تعالى في أخوة يوسف فكلهم أخوة متساوون في أن أباهم يعقوب عليه السلام ولكن الاختلاف في درجة حب أبيهم لهم.

فالمقارنة والتفضيل تفيدان الأبحاث والمقارنات الاقتصادية والتخطيطية ويدخل في حياتنا العملية اليومية سواء البيع أو الشراء أو النواحي المالية وجوانب كثيرة... وهما من الأساسيات التي تعتمد عليها الأبحاث والمقارنات الاقتصادية والمالية والتجارية.

إضافة إلى أن التفضيل والإختيار من العوامل الهامة في التخطيط إذ بهما تتم المفاضلة بين خطتين أو عدة خطط لاختيار الأحسن ووضع الخطة الاحتياطية. ألم يفعل ذلك إخوة يوسف عندما خططوا للتخلص منه؟

حمد الله:

ينبغي للإنسان أن يحمد الله تعالى على ما آتاه من نعم لا تحصى فإن أصابه خير شكر، وإن أصابه ضر صبر.

يقول الله تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾[1] وقال عز من قائل: ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربّه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون﴾[2] ويقول سبحانه: ﴿ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد﴾[3].

وقد وصف الله تعالى أنبياءه ورسله بالشاكرين الصابرين الحامدين ويوسف ويعقوب منهم، فقد تجلى حمد الله في القصة ودليله الصبر على قضاء الله، ومواجهة الهموم بقوة الإيمان... فلنحمد الله على ما نحن فيه من أمورنا آخذين بالأسباب.

الإيمان والتقوى:

يعتبر الإيمان من الصفات التي أوضحتها قصة يوسف عليه السلام وهو من الصفات الأخلاقية التي يتميز بها الأنبياء ومدى صدق عزيمتهم وصبرهم وقوة تحملهم ومواجهتهم هموم الدنيا وذلك بقوة الإيمان بربهم وبرسالتهم السماوية ليعطوا لنا درساً في الحياة... فإن إيمان يوسف عليه السلام ورضاءه وصبره على ما ابتلى به وما لاقاه على يد إخوته... وكذلك صبر يعقوب وإيمانه وما ابتلى بهُ من فقدان ولده وكذب أولاده عليه... كل ذلك يوضح لنا مدى أهمية الإيمان في حياة الأنبياء... قال الله تعالى:

﴿... قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾ آية (١٨).

فهذا درس أساسي لكل مسلم، وعليه أن يتحلى بالإيمان ويتعظ من هذه القصة التي توضح مدى قوة تحمل الإنسان.

كما توكل يعقوب عليه السلام على ربه وبث همومه وشكواه إلى الله

---

(١) آية ٧ سورة ابراهيم.
(٢) آية ٥٨ سورة الأعراف.
(٣) آية ١٢ سورة لقمان.

تعالى: ﴿قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله واعلم من الله ما لا تعلمون﴾ آية (٨٦).

هذا هو الإيمان الذي ينبغي علينا أن نتخذه عبرة في حياتنا كما حدث لواحد من أنبياء الله.

في مقابل هذا الإيمان بالله وتقواه كان التدخل الشيطاني والتسويل النفسي في خطة إخوة يوسف عليه السلام «إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم» كان الطمع والجشع والأنانية وكلها أمور تتنافى مع التقوى وأخلاق المؤمنين وتفسد التخطيط وتؤدي إلى فساد النتائج وسوئها... ﴿ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾[١،٢].

الصـــدق:

والصدق عامل هام في نجاح الإنسان في حياته جملة والتخطيط لأمور هذه الحياة بخاصة وقد سبق أن أشرنا إلى هذه الأهمية من قبل[٣].

النفـــس:

حديثنا عن النفس باعتبارها متعددة المشارب والنزعات مما يؤثر على السلوك والسمات... لقد ألقت سورة يوسف الضوء على بعض نماذج النفس البشرية وحددت أنواعها... فمنها النفس الضعيفة الشريرة والأمارة بالسوء... والنفس الصابرة... التقية... المطمئنة... وكل نفس بشرية ألهمها ربها الفجور والتقوى... وفي نفس الوقت منح الإنسان العقل كي يستطيع التمييز بين الخير والشر.

قال تعالى: ﴿ونفس وما سواها... فألهمها فجورها وتقواها﴾ الآيتان (٧، ٨) من سورة الشمس. ثم يقول سبحانه: ﴿قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها﴾.

---

(١) الآية رقم (٥٧) من سورة يوسف.

(٢) لكنهم ندموا فتابوا فتاب الله عليهم.

(٣) أنظر حديثنا عن اللسان من هذا البحث.

وعلى سبيل المثال... سيطر الشر على نفوس إخوة يوسف عليه السلام عندما وضعوا خطتهم للتخلص منه بالقتل... ثم كانت إرادة الله عز وجل فتناقصت حدة الشر التي تملكت نفوسهم شيئاً فشيئاً... وقرروا رميه في البئر... كما جاء في قوله تعالى:

﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم﴾[1] آية (٩).

والنفس البشرية قد تضعف أمام المغريات... وتنساق وراء وسوسة الشيطان الذي يزين للمرء الكثير من المحرمات... إلا أن النفس المطمئنة قوية الإيمان... يمكنها أن تصمد أمام هذه المغريات لأنها تتحصن بكتاب الله وسنة نبيه... وتنفذ منهج الله عز وجل على خير وجه.

وقد وردت كلمة النفس في مواقع كثيرة من سورة يوسف لتوضح بعضاً من جوانب النفس البشرية... ومنها:

قوله تعالى:

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

ومنها أيضاً قوله جل ذكره:

﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾

الآيتان (٥٣، ٥٤).

أما فيما يتعلق بنبي الله يعقوب عليه السلام... فقد ألهمه الله تبارك

---

(١) لكنهم ندموا فتابوا فتاب الله عليهم.

وتعالى وعلمه الصبر... فهو المتوكل على الله عز وجل... ولذلك لم يصدق أبناءه حين كذبوا عليه... وادعوا أن الذئب أكل يوسف عليه السلام...

فقد ذكرت الآية (٨٣) من سورة يوسف:

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾.

وخلاصة القول... أن النفس الشريرة عندما تسيطر على الإنسان... يجب عليه أن يقاومها بشدة ويتصدى لها بقوة وعزم... فيلجأ إلى كتاب الله... يقرأه ويتدبر معانيه... كي يكون عوناً له على مقاومة وساوس الشيطان... وكي يقبل على الخير... ويتطهر من الشر.

ونفس الإنسان تلعب دوراً كبيراً في حياته... فرجل الاقتصاد المسلم... أو العامل أو الموظف أو الزارع أو الصانع... سواء كان صاحب عمل أو صاحب متجر أو منشأة اقتصادية يستطيع مقاومة وساوس الشيطان... ويسأل نفسه أهذا العمل يرضي الله عز وجل؟

والإجابة... ستكون خيراً بإذن الله طالما كانت نفسه مطمئنة... قوية الإيمان... وبهذا يسلم التخطيط البعيد عن شهوات النفس والنزعات الشيطانية وتسلم كذلك الأمور الاقتصادية.

التوبة:

التوبة رحمة من الله لعباده ـ دعاهم إليها إذا ما ارتكبوا معصية أو نزعوا إلى طاعة الشيطان، وهي الندم غلى المعصية مع الإقلاع عنها، وطلب المغفرة... وقد ورد في الحديث القدسي **﴿إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل﴾**.

وقد ورد ذكر التوبة في سورة يوسف:

﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾

الآيتان (٩٧، ٩٨).

فلنتعظ بما جاء في سورة يوسف ونتخذه قدوة لنا في معاملاتنا اليومية اقتصادية أو غير اقتصادية... لنأخذ درساً في حياتنا الاقتصادية اليومية، فكثير من الناس يرتكبون الأخطاء والمعاصي ومنها ما يخالف أحكام القرآن الكريم وشريعة الإسلام في تعاملهم بالجشع أو الربا أو الطمع وغير ذلك... فيجب عليهم أن يرجعوا إلى الله بالتوبة النصوح.

خامساً: (تحليل تخطيط الفرد على ضوء آيات القرآن الكريم)

رقم الآية	الآية الكريمة	التخطيط الفردي	السمات والأخلاقيات	المحظورات والمنهيات	السورة
	إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين	الرؤيا والحلم	علم الغيب	التكذيب وعدم تصديق الرؤيا	يوسف
٥	قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدوٌ مبين	النصيحة والتوجيه	استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان	الحسد	يوسف
٧	لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين	نعمة الله	فضل الله	وسوسة الشيطان	يوسف
٨	إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين . .	معرفة المشكلة والأهداف الخاصة بها	القناعة وحمد الله	الغيرة	يوسف
٩	اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين	تعريف ومضمون الخطة الفردية	العمل الصالح	القتل وإلحاق الضرر بالآخرين	يوسف
١٠	قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين.	رسم وتحديد الخطة الفردية	فضل الله على يوسف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	المشورة الجماعيه المخالفة للشرع	يوسف

١١	قالوا يا أبانا لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون.	التطبيق العملي لتنفيذ الخطة الفردية	الأمانة	الخداع	يوسف
١٢	أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون	الأهداف البعيدة للتخطيط الفردي	الصدق	الكذب	يوسف
١٣	قال: إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون	متابعة التطبيق العملي للخطة الفردية	نفسية نبي الله يعقوب	اللؤم	يوسف
١٤	قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذاً لخاسرون.	صفة الخطة الفردية	الصراحة	التظاهر بالإقناع	يوسف
١٥	فلما ذهبوا به وأجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون	الإجماع على الهدف المشترك بتنفيذ الخطة الفردية	التوكل على الله	العمل الضار	يوسف
١٦	وجاءوا أباهم عشاء يبكون	رسم الخطة الفردية واحتياجاتها	الإيمان والتقوى	الكذب والتنفيذ الضار.	يوسف

(تحليل تخطيط الفرد على ضوء آيات القرآن الكريم)

رقم الآية	الآية الكريمة	التخطيط الفردي	السمات والأخلاقيات	المحظورات والمنهيات	السورة
١٧	قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين.	رسم الخطة الفردية واجتياجاتها	الصدق	الغش والتحايل	يوسف
١٨	وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون	تحقيق وتنفيذ الجوانب العامة والخاصة للخطة الفردية	الإيمان مع الصبر	الكذب	يوسف

وختاماً لهذا نحب أن ننوه إلى ما جاء عند أهل الكتاب في باب التكوين، الإصحاح السابع والثلاثين من إشارة إلى قصة يوسف عليه السلام من تفضيل يعقوب ليوسف على سائر بنيه وحقدهم عليه وتخطيطهم للتخلص منه وفشل خطتهم لاعتمادها على المحرمات واستنادها إلى الكذب، وما كان من تسامح يوسف وعطفه عليهم وقد مكنه الله منهم.

فقط نقول نود أن ننوه إلى ذلك اكتفاء بما جاء في القرآن الكريم من فيض رباني، وكيف لا يكون ذلك كذلك وقد قال سبحانه وتعالى في استفتاح القصة ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾.

بالرجوع إلى ما ورد في الإصحاح السابع والثلاثين من كتب أهل الكتاب، يمكن تحليل تخطيط الفرد على النحو التالي:

الرقم	باب التكوين (قصة يوسف)	التخطيط الفردي	السمات والأخلاقيات	المحظورات والمنهيات
٣	وأما إسرائيل فأحب يوسف أكثر من سائر بنيه لأنه ابن شيخوخته. فصنع له قميصاً ملوناً.	بداية تكوين المشكلة بتحديد الأهداف الخاصة بها لتكوين التخطيط الفردي	العطف الأبوي على الصغير	الغيرة
٤	فلما رأى إخوته أن أباهم أحبه أكثر من جميع إخوته أبغضوه ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام.	تحديد الخطة الفردية والأهداف الخاصة بها.	الإيمان والتسامح	التفضيل
٥	وحلم يوسف حلماً وأخبر إخوته. فازدادوا أيضاً بغضاً له	الرؤيا والحلم مع رسم الهيكل العام للتخطيط الفردي.	علم الغيب.	البغض.
٨	فقال له إخوته لعلك تملك علينا ملكاً أم تتسلط علينا تسلطاً. وازدادوا أيضاً بغضاً له من أجل أحلامه ومن أجل كلامه.	المشكلة الفردية والثبات على تنفيذ التخطيط الفردي لهم.	التسامح	التسلط والبغض

٩	ثم حلم أيضاً حلماً آخر وقصه على إخوته. فقال إني قد حلمت حلماً أيضاً وإذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً ساجدة لي.	الحلم والرؤيا، وإجماع الرأي على تنفيذ التخطيط الفردي.	الإيمان بالله	الكره
١١	فحسده إخوته. وأما أبوه فحفظ الأمر.	رسم وتحديد الأهداف الخاصة للخطة الفردي.	الاقتناع.	الحسد
١٨	فلما أبصروه من بعيد قبلما اقترب إليهم احتالوا له ليميتوه.	مضمون الخطة الفردية وتطبيقها.	الصدق	الحيلة للشروع في القتل.
٢٠	فالآن هلم نقتله ونطرحه في إحدى الآبار ونقول وحش رديء أكله. فنرى ماذا تكون أحلامه.	صيغة الخطة الفردية وتنفيذها	التسامح	القتل العمد
٢١	فسمع رأوبين وأنقذه من أيديهم. وقال لا نقتله.	رأي الفرد مع الجماعة للخطة الفردية	فضل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.	القتل العمد
٢٢	وقال لهم رأوبين لا تسفكوا دماً. اطرحوه في هذه البئر التي في البرية ولا تمدوا له يداً لكي ينقذه من أيديهم ليرده إلى أبيه.	التطبيق العملي بالتشاور للتخطيط الفردي	فضل الله	شرعية عدم القتل

بالرجوع إلى ما ورد في الإصحاح السابع والثلاثين من كتب أهل الكتاب، يمكن تحليل تخطيط الفرد على النحو التالي:

الرقم	باب التكوين (قصة يوسف)	التخطيط الفردي	السمات والأخلاقيات	المحظورات والمنهيات
٢٣، ٢٤	فكان لما جاء يوسف إلى إخوته أنهم خلعوا عن يوسف قميصه القميص الملون الذي عليه وأخذوه وطرحوه في البئر. وأما البئر فكانت فارغة ليس فيها ماء.	رسم وتحديد الخطة الفردية.	عناية الله.	العمل الغير صالح
٢٥	ثم جلسوا ليأكلوا طعاماً. فرفعوا عيونهم ونظروا وإذا قافلة إسماعيليين مقبلة من جلعاد وجمالهم حاملة كثيراء وبلساناً ولاذنا ذاهبين لينزلوا بها إلى مصر.	تكملة تطبيق الخطة الفردية	الإيمان والتسامح	الأعمال الغير شرعية.
٢٦	فقال يهوذا لإخوته ما الفائدة أن نقتل أخانا ونخفي دمه.	التشاور الجماعي وإبداء الرأي للخطة الفردية	نعمة الله	القتل.
٢٧	تعالوا نبيعه للإسماعيليين ول تكن أيدينا عليه لأنه أخونا ولحمنا. فسمع له إخوته.	رسم وتحديد الخطة الفردية مع إبداء رأي الفرد في الجماعة.	فضل الله.	النوايا السيئة.

بالرجوع إلى ما ورد في الإصحاح السابع والثلاثين من كتب أهل الكتاب، يمكن تحليل تخطيط الفرد على النحو التالي:

الرقم	باب التكوين قصة يوسف	التخطيط الفردي	السمات والأخلاقيات	المحظورات والمنهيات
٢٨	واجتاز رجال مديانيون تجار. فسحبوا يوسف وأصعدوه من البئر وباعوا يوسف للإسماعيليين بعشرين من الفضة. فأتوا بيوسف إلى مصر.	تتابع الخطة الفردية المرسومة لها.	علم الغيب	البيع المحرم
٣١. ٣٢	فأخذوا قميص يوسف وذبحوا تيساً من المعزى وغمسوا القميص في الدم. وأرسلوا القميص الملون وأحضروه إلى أبيهم. وقالوا: وجدنا هذا حقق أقميص إبنك أم لا.	تطبيق الخطة الفردية من الهيكل العام لها.	الصدق	الغش
٣٣	فتحققه وقال قميص ابني. وحش رديء أكله. افترس يوسف افتراساً.	تحقيق الخطة الفردية	الإيمان مع الصبر	التحايل

فهرس المبحث الثالث:

تعليم الله عز وجل ليوسف عليه السلام تطبيق علوم التخطيط

أولاً - علم تأويل الأحاديث:

- تفسير قوله تعالى: ﴿وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحٰق إن ربك عليم حكيم﴾. آية (٦).

- تفسير قوله تعالى: ﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾. آية (٢١).

- تفسير قوله تعالى: ﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليّ في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾ آية (١٠١).

أقوال المفسرين في هذه الآيات الكريمة.

ثانياً - بلوغ يوسف أشده وإتيان الله إياه حكماً وعلماً:

- تفسير قوله تعالى: ﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين﴾. آية (٢٢).

أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة.

ثالثاً - علوم الرؤيا:

- تفسير قوله تعالى: ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين (٤) قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للإنسان عدوٌ مبين (٥)﴾.

- تفسير قوله تعالى: ﴿ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين (٣٦) قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون (٣٧) واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون (٣٨) يا صاحبي السجن ءأرباب متفرقون خيرٌ أم الله الواحد القهار (٣٩)﴾.

- تفسير قوله تعالى: ﴿ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وأباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٤٠) يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمراً وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الأمر الذي فيه تستفتيان (٤١) وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين (٤٢)﴾.

أقوال المفسرين في هذه الآيات الكريمة.

رابعاً - الإنباء بالغيب:

- تفسير قوله تعالى: ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت

بصيراً وأتوني بأهلكم أجمعين (٩٣) ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون (٩٤) قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم (٩٥) فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون (٩٦) ﴾.

المراحل المختلفة لتعليم يوسف عليه السلام

عندما نطالع ما تحتويه مكتباتنا من كتب إسلامية والتي كتبها أفاضل العلماء المسلمين أمثال الطبري والقرطبي وابن الجوزي وابن تيمية وغيرهم... إلخ، وعندما نحلل آراء هؤلاء العلماء من المسلمين نجد أنهم وصلوا إلى مكانتهم العلمية بعد أن تدرجوا سنين طوالاً حتى أصبحوا على تلك المكانة العلمية في علوم القرآن والفقه والتفسير... واستفاد منهم طلبة العلم.

إن يوسف عليه السلام عاش فترة من صباه في قصر عزيز مصر... فقد ذكرت الآية رقم (٢١) من سورة يوسف:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾

الآية (٢١).

وخلال وجود يوسف عليه السلام في قصر عزيز مصر... تعلم الكثير... فمصر الفرعونية في تلك الحقبة من الزمن كانت تعيش نهضة علمية عظيمة في مختلف مجالات العلوم... وتدل الآثار القديمة على ذلك... وقد حظي أبناء الأمراء بالنصيب الأكبر من العلم... وكان الملوك وكبار رجال الدولة يهتمون بتعليم الأبناء كي يصبحوا قادة المستقبل... وعاش يوسف عليه السلام هذه النهضة العلمية... ومن الجائز أنه تعلم مع امراء القصر... بالإضافة إلى ما علمه الله عز وجل أساساً وأصلاً من علوم إلٰهية إعداداً لتحمل الرسالة التي كلف بها...

المبحث الثالث:

تعليم الله عز وجل ليوسف عليه السلام تطبيق علوم التخطيط

اختار الله يوسف عليه السلام نبياً وأعده وعلمه وأرسله إلى شعب مصر ليبلغ رسالة ربه، ويرشدهم ويحذرهم من الكارثة التي ستحدث لهم وللشعوب المجاورة بعد سني الرخاء وفي سني الجفاف، ولهذا أصبح يوسف عليه السلام وزيراً على مصر ومسئولاً ليديرهاإدارة حسنة وينقذها من سنوات القحط... وقد استطاع يوسف عليه السلام أن يتحمل تلك المسئوليات التي وكلها إليه ربه... وبفضل الله تبارك وتعالى وتوفيقه نجح في مهمته التي أرسله الله لها... وفيما يلي المراحل العلمية التي أعدها الله له حتى أصبح مؤهلاً علمياً وربانياً لتحمل رسالة ربه...

أولاً: تعليمه علم تأويل الأحاديث.

ثانياً: بلوغ يوسف عليه السلام أشده وإتيان الله إياه حكماً وعلماً.

ثالثاً: علم الرؤيا.

رابعاً: علم أنباء الغيب.

أولاً ـ علم تأويل الأحاديث:

ـ تفسير قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾. الآية (٦)

أورد فيما يلي تفسير بعض العلماء الأفاضل للآية (٦) فيما يختص بتأويل الأحاديث من سورة يوسف:

قال الإمام القرطبي[1]:

قوله تعالى: ﴿وكذلك يجتبيك ربك﴾ أي كما أكرمك بالرؤيا فكذلك يجتبيك، ويحسن إليك بتحقيق الرؤيا.

في تأويل قوله: ﴿ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ أي أحاديث الأمم والكتب ودلائل التوحيد، فهو إشارة إلى النبوة. وهو المقصود بقوله: ﴿ويتم نعمته عليك﴾ أي بالنبوة.

﴿كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم﴾ بالخلة، وإنجائه من النار ﴿وإسحٰق﴾ بالنبوة. وقيل: من الذبح، قاله عكرمة. وأعلمه الله تعالى بقوله: ﴿وعلى آل يعقوب...﴾ وعلى آل يعقوب أنه سيعطي بني يعقوب كلهم النبوة، قاله جماعة من المفسرين. ﴿إن ربك عليم﴾ مما يعطيك. ﴿وحكيم﴾ في فعله.

وجاء في تفسير الشيخ أحمد مصطفى المراغي[2]:

﴿وكذلك يجتبيك ربك﴾ أي وكما أراك ربك الكواكب والشمس والقمر سجداً لك يجتبيك لنفسه ويصطفيك على الملك وغيرهم بفيض إلٰهي يكملك به بأنواع من المكرمات بلا سعي منك فتكون من المخلصين من عباده.

﴿ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ أي ويعلمك من علمه اللدني تأويل الرؤيا وتعبيرها أي تفسيرها بالعبارة والإخبار بما تؤول إليه في الوجود كما حكى الله قول يوسف لأبيه ﴿هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً﴾.

وتعليم الله تعالى يوسف التأويل: إعطاؤه إلهاماً وكشفاً لما يرد أو فرصة خاصة فيها، أو علماً أعم من ذلك.

---

(١) الإمام القرطبي، آية (٦) ص ٣٢٥٨ م ٤.

(٢) الشيخ أحمد مصطفى المراغي، آية (٦) ص ١١٧ م ٤ ج (١٢).

﴿إن ربك عليم حكيم﴾ أي إن ربك عليم بمن يصطفيه ومن هو أهل للفضل والنعمة فيسخر له الأسباب التي تبلغ به الغاية إلى ما يريده له. حكيم في تدبيره فيفعل ما يشاء جرياً على سنن علمه وحكمته.

أما فيما يتعلق بالآية (٢١) من سورة يوسف والتي أشارت إلى تأويل الأحاديث فقد فسرها الإمام الطبري(١) بقوله:

قال الله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾

وقوله: ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾ يقول عز وجل وكما أنقذنا يوسف من أيدي إخوته وقد هموا بقتله وأخرجناه من الجب بعد أن ألقي فيه فصيرناه إلى الكرامة والمنزلة الرفيعة عند عزيز مصر كذلك مكنا له في الأرض فجعلناه على خزائنها وقوله: ﴿ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾ اي وكي نعلم يوسف من عبارة الرؤيا مكنا له في الأرض.

ورد في تفسير الإمام القرطبي(٢) للآية (١٠١) من سورة يوسف ما يلي:

قال الله تعالى:

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾

---

(١) الإمام الطبري، الآية (٢١) ص ١٠٤ - م (١٤).

(٢) الإمام القرطبي، سورة يوسف، آية (١٠١) ص ٣٤٩٨، ٣٤٩٩ م ٢.

قوله: ﴿وعلمتني من تأويل الأحاديث﴾ لأن ملك مصر كان كل الملك، وعلم التعبير كان كل العلوم.

وقال الإمام «ابن كثير»(١):

هذا دعاء من يوسف الصديق دعا به ربه عز وجل لما تمت نعمة الله عليه باجتماعه بأبويه وإخوته وما منّ الله به عليه من النبوة والملك سأل ربه عز وجل كما أتم نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة وأن يتوفاه مسلماً حتى يتوفاه قاله الضحاك، وأن يلحقه بالصالحين وهم إخوانه من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقد ذكر الشيخ الشنقيطي(١) ما يلي:

وقوله: ﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث﴾ واختلف العلماء في المراد بتأويل الأحاديث.

فذهب جماعة من أهل العلم إلى أن المراد بذلك: تعبير الرؤيا، فالأحاديث على هذا القول هي الرؤيا، قالوا: لأنها إما حديث نفس أو ملك أو شيطان.

وكان يوسف أعبر الناس للرؤيا. ويدل لهذا الوجه الآيات الدالة على خبرته بتأويل الرؤيا، كقوله: ﴿يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمراً وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ وقوله: ﴿قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله ـ إلى قوله ـ يعصرون﴾.

وقال بعض العلماء: المراد بتأويل الأحاديث معرفة معاني كتب الله وسنن الأنبياء، وما غمض وما اشتبه على الناس من أغراضها ومقاصدها، يفسرها لهم ويشرحها، ويدلهم على مودعات حكمها.

---

(١) الإمام ابن كثير، سورة يوسف، آية (١٠١) ص ٤٩٢ م ٢.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن الكريم ـ محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي توفي في ١٣٩٣/١٢/١٧ هـ الجزء الثاني ص ٧٦.

وسميت أحاديث، لأنها يحدث بها عن الله ورسله، فيقال: قال الله كذا، وقال رسوله كذا، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾.

وقد بين الله تعالى في سورة يوسف كيف تهيأ عليه السلام ليبلغ رسالته في الأرض وأنه تعلم درجات علمية مختلفة حسب سنه حيث أرشدنا الله تعالى أن لكل سن استيعاباً معيناً... فبدأ الله عز وجل بتهيئته وتعليمه أول هذه الدرجات حسب سنه وحسب قدرة استيعابه، فعلمه تأويل الأحاديث...

ثانياً - بلوغ يوسف أشده وإتيان الله إياه حكماً وعلماً:

بعد أن جاوز يوسف عليه السلام المرحلة الأولى في الإعداد بدأت المرحلة الثانية وهي الفهم والعلم بمقاييس جديدة تتفق وهذه المرحلة.

تفسير قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

وواجبنا أن نعرض بعض أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة:

قال الإمام الطبري[1] ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين﴾ ولما بلغ يوسف أشده وبلغ منتهى شدته وقوته في شبابه وحده وذلك فيما بين ثماني عشرة سنة إلى ستين سنة وقيل إلى أربعين سنة... أعطيناه حينئذ الفهم والعلم.

وقال الإمام القرطبي[2]:

قوله تعالى:

﴿آتيناه حكماً وعلماً﴾ قيل: جعلناه المستولي على الحكم فكان يحكم

(١) الإمام الطبري، سورة يوسف آية (٢٢) ص (١٠٦) م (١٤) بتصرف.
(٢) الإمام القرطبي، سورة يوسف آية (٢٢) ص (٣٣٩٠) م (٢).

في سلطان الملك أي وآتيناه علماً بالحكم. وقال مجاهد: العقل والفهم والنبوة. وقيل: الحكم النبوة، والعلم: علم الدين، وقيل: علم الرؤيا.

﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾ يعني المؤمنين. وقيل: الصابرين على النوائب كما صبر يوسف:

وجاء في أحكام القرآن لأبي بكر محمد عبد الله المعروف بابن العربي[1] والذي حققه علي محمد البجاوي، في تفسير الآية (٢٢) من سورة يوسف ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين﴾ في تقديره: ـ أي الأشد ـ أقوال كثيرة من الحلم إلى أربعين سنة: والصحيح أن الحلم إلى خمسين سنة، فإن من الحلم يشتد الآدمي إلى خمسين ثم يأخذ في القهقري، ﴿آتيناه حكماً وعلماً﴾ الحكم هو العمل بالعلم، والعمل بمقتضى العلم إنما يكون بعد البلوغ، وما قبله في زمان عدم التكليف فإنه فيه معدوم إلا في النادر.

قال المفسرون: قيل له، وهو صغير: ألا تذهب تلعب؟ قال: ما خلقت للعب. وهذا إنما بين الله به حال يوسف من حين بلوغه بأنه آتاه العلم، وآتاه العمل بما علم، وخبر الله صادق، ووصفه صحيح، وكلامه حق، فقد عمل يوسف بما علمه الله من تحريم الزنا وتحريم خيانة السيد أو الجار أو الأجنبي في أهله، فما تعرض لامرأة العزيز، ولا أناب إلى المراودة ـ بحكم المراودة، بل أدبر عنها، وفر منها، حكمة خص بها، وعملاً بمقتضى ما علمه الله سبحانه، وهذا يطمس وجوه الجهلة من الناس والغفلة من العلماء في نسبتهم إليه ما لا يليق به، وأقل ما اقتحموا من ذلك أنه هتك السراويل وهم بالفتك فيما رأوه من تأويل، وحاشا لله ما علمت عليه، بل أبرئه مما برأه الله منه، فقال: ﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً﴾، كذلك لنصرف عنه السوء

(١) أحكام القرآن ـ ابن العربي ـ المجلد الثالث ـ آية (٢٢) ص ١٠٨٢ ـ تحقيق علي محمد البجاوي. سورة يوسف بتصرف.

والفحشاء إنه من عبادنا الذين استخلصناهم. والفحشاء هي الزنا والسوء هو المراودة والمغازلة، فما ألم بشيء ولا أتى بفاحشة.

وهكذا يؤكد علماء التفسير «إن الله تبارك وتعالى يزود أنبياءه بالحكمة الإلهية والعلم الرباني... وهما من السمات الأساسية للأنبياء والرسل حتى يستطيعوا إبلاغ رسالتهم إلى من أرسلوا إليهم... وآيات القرآن الكريم التي توضح هذه المعاني كثيرة... نذكر منها على سبيل المثال:

﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾

(٢٦٩) البقرة.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

(٧٤) الأنبياء.

﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾

(٧٩) الأنبياء.

﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ﴾.

(٢٥١) البقرة.

المبحث الثالث

تعليم الله عز وجل ليوسف عليه السلام تطبيق علوم التخطيط

اختار الله يوسف عليه السلام نبياً وأعده وعلمه وأرسله إلى شعب مصر ليبلغ رسالة ربه، ويرشدهم ويحذرهم من الكارثة التي ستحدث لهم وللشعوب المجاورة بعد سني الرخاء وفي سني الجفاف، ولهذا أصبح يوسف عليه السلام وزيراً على مصر ومسئولاً ليديرها إدارة حسنة وينقذها من سنوات القحط... وقد استطاع يوسف عليه السلام أن يتحمل تلك المسئوليات التي وكلها إليه ربه... وبفضل الله تبارك وتعالى وتوفيقه نجح في مهمته التي أرسله الله لها... وفيما يلي المراحل العلمية التي أعدها الله له حتى أصبح مؤهلاً علمياً وربانياً لتحمل رسالة ربه...

أولاً: تعليمه علم تأويل الأحاديث.

ثانياً: بلوغ يوسف عليه السلام أشده وإتيان الله حكماً وعلماً.

ثالثاً: علم الرؤيا.

رابعاً: علم أنباء الغيب.

أولاً ـ علم تأويل الأحاديث:

ـ تفسير قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦ ﴾. الآية (٦)

ثالثاً ـ علم الرؤيا

تفسير قوله تعالى:

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾.

الآيتان (٤، ٥).

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٦ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٣٧ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝٣٨ يَٰصَىٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩﴾.

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

(الآيات من ٣٦ حتى ٤٢).

١ - أقوال المفسرين في هذه الآيات الكريمة.

عظم الله تعالى أمر فالرؤيا الصالحة حالة شريفة ومنزلة رفيعة تعد من المبشرات.

والرؤيا: مطالعة النفس الناطقة في ذاتها الروحانية لمحة من صور الواقعات، فإنها عندما تكون روحانية تكون صوراً لواقعات فيها موجودة بالفعل. كما هو شأن الذوات الروحانية كلها، وتعتبر روحانية بأن تتجرد عن المواد الجسمانية والمدارك البدنية، وقد يقع لها ذلك لمحة بسبب النوم.

ومن الرؤيا ما جاء في قصة إبراهيم من رؤياه في المنام أنه يذبح ولده إسماعيل، ورؤيا الأنبياء حق وصدق، وليست أضغاث أحلام... جاء ذلك في قوله تعالى في سورة الصافات... الآيات:

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ

الآيات (١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥).

إن تفسير الرؤيا علم من الله مَنَّ به على يوسف. فأجاده. فهماً ودراسة ومصداق ذلك تفسيره رؤيا الملك وصاحبي السجن.

ولنعرض هنا بعض ما أورده المفسرون حول الآيات التي وردت في سورة يوسف بشأن الرؤيا.

١ - جاء في تفسير الإمام الطبري[1] للآيتين (٤، ٥) من سورة يوسف ما يلي.

وإن كنت يا محمد لمن الغافلين عن نبأ يوسف بن يعقوب بن إسحٰق بن إبراهيم إذ قال لأبيه يعقوب بن إسحٰق يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً في منامي وقيل إن رؤيا الأنبياء كانت وحياً.

قال يعقوب لإبنه: يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً يقول فيبغوك الغوائل ويناصبوك العداوة ويطيعوا فيك الشيطان إن الشيطان للإنسان عدوٌ مبين إن الشيطان لآدم وبنيه عدوٌ وقد أبان لهم عداوته وأظهرها فاحذر الشيطان أن يغري إخوتك بك بالحسد منهم لك إن أنت قصصت عليهم رؤياك.

وفي سن يوسف لما رأى هذا المنام ثلاثة أقوال:

وورد في تفسير الإمام القرطبي[1] للآيتين (٤، ٥) من سورة يوسف. ما يلي:

قوله تعالى: ﴿فيكيدوا لك كيدا﴾ أي يحتالوا في هلاكك لأن تأويلها ظاهر فربما يحملهم الشيطان على قصدك بسوء حينئذ.

---

(١) الإمام الطبري، سورة يوسف آية (٤، ٥) ص ٢٠ م ١٤.

(٢) الإمام القرطبي، سورة يوسف، آية (٤، ٥) ص ٣٣٥٠ حتى ٣٣٥٧ م ٤.

الـرؤيا حـالة شـريفة، ومنـزلة رفيعـة، قـال ﷺ: «لم يبق بعـدي من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة الصادقة يراها الرجل الصالح أو ترى له». وقال: «أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً».

إنما كانت الرؤيا جزء من النبوة، لأن فيها ما يعجز ويمتنع الـطيران، وقلب الأعيان، والإطلاع على شيء من علم الغيب ـ بإذن الله.

ـ إن قيل: إذا كانت الرؤيا الصادقة جزءاً من النبوة فكيف يكون الكافر والكاذب والمخلط أهلاً لها؟ وقد وقعت من بعض الكفـار وغيرهم ممن لا يرضى دينه منامات صحيحة صادقة، كمنام الملك الذي رأى سبع بقرات، ومنام الفتيين في السجن.

ـ فالجواب: إن الكافر والفاجر والفاسق والكاذب وإن صدقت رؤياهم في بعض الأوقات لا تكون من الوحي ولا من النبوة، إذ ليس كل من صدق في حديث عن غيب يكون خبره ذلك نبوة.

الرؤيا المضافة إلى الله تعالى هي التي خلصت من الأضغاث والأوهام وكان تأويلها موافقاً لما في اللوح المحفوظ، أما التي هي من خبر الأضغاث هي الحلم وهي المضافة إلى الشيطان، قال ابن العربي: ولا يرى في المنام إلا ما يصح إدراكه في اليقظة ولذلك لا يرى في المنام شخصاً قائماً قاعداً بحال وإنما يرى الجائزات المعتادات.

وفي هذه الآية دليل على أن مباحاً أن يُحَذِّر المسلم أخاه المسلم ممن يخافه عليه ولا يكون داخلاً في معنى الغيبة، لأن يعقوب ـ عليه السلام ـ قد حذر يوسف أن يقص رؤياه على إخوته فيكيدوا له كيداً، وفيها أيضاً ما يدل على جـواز ترك إظهـار النعمة عنـد من تخشى غائلتـه حسداً وكيـداً، قـال النبي ﷺ: «استعينـوا على إنجاح حـوائجكم بالكتمـان فإن كـل ذي نعمـة محسود».

وقال الإمام القاسمي[1]:

﴿إذ قال يوسف لأبيه﴾ يعني يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام. ﴿يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ إنما ناجى يوسف أباه بهذه الرؤيا، لاعتقاده كمال علمه، وشفقته عليه، بحيث لو كانت رؤياه تسوؤه لأمكنه صرفها عنه.

﴿قال يا بني﴾ صغره لصغر سنه، وللشفقة عليه، ولعذوبة المصغر، ﴿لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا﴾ أي فيفعلوا لأجلك أو لإهلاكك تحيلاً عظيماً متلفاً لك. ﴿إن الشيطان للإنسان عدوٌ مبين﴾ أي ظاهر العداوة، فلا يألو جهداً في إغواء إخوتك وحملهم على ما لا خير فيه.

وفيما يتعلق بموقف المفسرين من الآيات (٣٦: ٤٢) من سورة يوسف نثبت ما يتصل بقوله تعالى: ﴿ذلكما ما علمني ربي﴾.

١ - قال بعضهم: هذا الذي أذكر أني أعمله من تعبير الرؤيا مما علمني ربي فعملته لأني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر واتبعت ملة آبائي أي: برئت من ملة من لا يصدق بالله ويقر بوحدانية الله وهم بالأخرة هم كافرون. ومن منطلق هذا الإيمان والعلم الرباني وأداء للرسالة عبر لهما رؤياهما منتهزاً الفرصة للدعوة إلى التوحيد فقال: يا صاحبي السجن ءأرباب متفرقون خير أم الواحد القهار ثم قال يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمراً وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الأمر الذي فيه تستفتيان.

وقال الإمام القرطبي[2] في تفسيره للآيات ٣٦ حتى ٤٢ من سورة يوسف ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ودخل معه السجن فتيان﴾ فتيان: تثنية فتى. ﴿قال

(١) الإمام القاسمي، سورة يوسف، آية (٤، ٥) ص ١٨٧ حتى ١٨٩ م ١٠ بتصرف.
(٢) الإمام القرطبي، سورة يوسف، آية ٣٦ حتى ٤٢ ص ٣٤١٧ حتى ٣٤٢٧ م ٤

أحدهما إني أراني أعصر خمراً﴾ أي: عنباً، كأن يوسف قال لأهل السجن: إني أعبر الأحلام، فقال أحد الفتيين لصاحبه تعال حتى نجرب هذا العبد العبراني، فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئاً قاله ابن سعود. وحكى الطبري أنهما سألاه عن علمه فقال: إني أعبر الرؤيا، فسألاه عن رؤياهما. قال ابن عباس ومجاهد: كانت رؤيا صدق رأياها وسألاه عنها، ولذلك صدق تأويلها. وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً». وقيل: إنها كانت رؤيا كذب سألاه عنها تجريبياً، وهذا قول ابن مسعود والسدي: وقيل: إن المصلوب منهما كان كاذباً، والآخر صادقاً، قاله أبو مجاز. وروى الترمذي عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: من تحلم كاذباً كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعرتين ولن يعقد بينهما. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. قال ابن عباس: لما رأيا رؤياهما أصبحا مكروبين. فقال لهما يوسف: مالي أراكما مكروبين؟ قالا: يا سيدنا إنا رأينا ما كرهنا قال: فقصا عليّ ما قصصنا عليه، قالا: نبئنا بتأويل ما رأينا، وهذا يدل على أنهما كانت رؤيا منام. ﴿إنا نراك من المحسنين﴾ فإحسانه أنه كان يعود المرضى ويداويهم، ويعزي الحزانى، قال الضحاك كان إذا مرض الرجل من أهل السجن قام به، وإذا ضاق وسع له، وإذا احتاج جمع له وسأل له وقيل: (من المحسنين) أي: العالمين الذين أحسنوا العلم، قاله الفراء، وقال ابن إسحٰق (من المحسنين) لنا أن فسرته.

قال: فما رأيتما؟ قال الخباز: رأيت كأني اختبزت في ثلاثة تنانير وجعلته في ثلاث سلال، فوضعته على رأسي، فجاء الطير فأكل منه. وقال الآخر: رأيت كأني أخذت ثلاثة عناقيد من عنب أبيض، فعصرتهن في ثلاث أوان، ثم صفيته فسقيت الملك كعادتي فيما مضى فذلك قوله: ﴿إني أراني أعصر خمراً﴾ أي عنباً ﴿قال﴾ لهما يوسف: ﴿لا يأتيكما طعام ترزقانه﴾ يعني لا يجيئكما غداً طعام من منزلكما ﴿إلا نبأتكما بتأويله﴾ لتعلما أني أعلم تأويل رؤياكما فقالا: افعل فقال لهما: يجيئكما كذا وكذا، فكان على ما قال، وكان هذا من علم الغيب خص به يوسف. . . لأنه ترك ملة قوم لا يؤمنون بالله يعني دين الملك. ومعنى الكلام عندي: العلم بتأويل رؤياكما، والعلم بما

يأتيكما من طعامكما والعلم بدين الله، فاسمعوا أولاً ما يتعلق بالدين لتهتدوا، ولهذا لم يعبر لهما حتى دعاهما إلىٰ الإسلام فقال: ﴿يا صاحبي السجن ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾. ﴿ما تعبدون﴾ الآية كلها، على ما يأتي. وقيل: علم أن أحدهما مقتول فدعاهما إلى الإسلام ليسعدا به...

فالمعنى: لا يأتيكما طعام ترزقانه في اليقظة، فعلى هذا ﴿ترزقانه﴾ أي: يجري عليكما من جهة الملك أو غيره. ويحتمل يرزقكما الله.

قوله تعالى: ﴿واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحٰق ويعقوب﴾ لأنهم أنبياء على الحق ﴿ما كان﴾ أي ما ينبغي. ﴿لنا أن نشرك بالله من شيء﴾... ﴿وعلى الناس﴾ أي: على المؤمنين الذي عصمهم الله من الشرك. وقيل: ﴿ذلك من فضل الله علينا﴾ إذ جعلنا أنبياء، ﴿وعلى الناس﴾ إذ جعلنا الرسل إليهم. ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ على نعمة التوحيد والإيمان.

قوله تعالى: ﴿يا صاحبي السجن﴾ أي يا ساكني السجن، وذكر الصحبة لطول مقامهما فيه. ﴿ءأرباب متفرقون﴾ أي في الصغر والكبر والتوسط، أو متفرقون في العدد. ﴿خير أم الله الواحد القهار﴾ وقيل: الخطاب لهما ولأهل السجن، وكان بين أيديهم أصنام يعبدونها من دون الله تعالى، فقال ذلك الزاماً للحجة، أي آلهة شتى لا تضر ولا تنفع ﴿خير أم الله الواحد القهار﴾ الذي قهر كل شيء. نظيره ﴿ءآلله خير أمَّا يشركون﴾[1].

قوله تعالى: ﴿ما تعبدون من دونه إلا أسماء﴾ بين عجز الأصنام وضعفها فقال: ﴿ما تعبدون من دونه﴾ أي من دون الله إلا ذوات أسماء لا معاني لها. ﴿سميتموها﴾ من تلقاء أنفسكم، والمعنى: سميتموها آلهة من عند أنفسكم. ﴿ما أنزل الله﴾ ذلك في كتاب. قال سعيد ابن جبير: ﴿من سلطان﴾ أي من حجة. ﴿إن الحكم إلا لله﴾ الذي هو خالق الكل. ﴿أمر ألا تعبدوا إلا إياه﴾. ﴿ذلك الدين القيم﴾ أي القويم. ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾.

---

(١) الآية ٥٩ من سورة النمل.

قوله تعالى: ﴿أما أحدكما فيسقي ربه خمراً﴾ أي قال للساقي: إنك ترد على عملك الذي كنت عليه من سقي الملك بعد ثلاثة أيام، وقال للآخر: وأما أنت فتدعي إلى ثلاثة أيام فتصلب فتأكل الطير من رأسك، قال: والله ما رأيت شيئاً، قال: رأيت أو لم تر ﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾.

قوله تعالى: ﴿وقال للذي ظن أنه ناج منها اذكرني عند ربك...﴾ الآية ٤٢ من سورة يوسف فيه خمس مسائل:

الأولى - قوله تعالى: ﴿وقال للذي ظن﴾ (ظن) هنا بمعنى أيقن في قول أكثر المفسرين وفسره قتادة على الظن الذي هو خلاف اليقين، قال: ظن يوسف نجاته لأن العابر يظن ظناً وربك يخلق ما يشاء، والأول أصح وأشبه بحال الأنبياء، وأن ما قاله للفتيين في تعبير الرؤيا كان عن وحي وإنما يكون الظن في حكم الناس، وأما في حق الأنبياء فإن حكمهم حق كيفما وقع.

الثانية - قوله تعالى: ﴿اذكرني عند ربك﴾ أي سيدك، أي اذكر ما رأيته وما أنا عليه من عبارة الرؤيا للملك، وأخبره أني مظلوم محبوس بلا ذنب.

الثالثة - قوله تعالى: ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ الضمير في ﴿فأنساه﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه عائد إلى يوسف عليه السلام، أي أنساه الشيطان ذكر الله عز وجل، وذلك أنه لما قال يوسف لساقي الملك - حين علم أنه سينجو ويعود إلى حالته الأولى مع الملك ﴿اذكرني عند ربك﴾ نسي في ذلك الوقت أن يشكو إلى الله ويستغيث به، وجنح إلى الاعتصام بمخلوق، فعوقب باللبث.

ثانيهما: أنه عائد على الساقي... وأجاب أهل القول الأول بأن النسيان قد يكون بمعنى الترك، فلما ترك ذكر الله ودعاه الشيطان إلى ذلك عوقب، رد عليهم أهل القول الثاني بقوله تعالى: ﴿وقال الذي نجا منهما وادّكر بعد أمة﴾ فدل على أن الناسي الساقي لا يوسف، مع قوله تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك

عليهم سلطان﴾[1] فكيف يصح أن يضاف نسيانه إلى الشيطان، وليس له على الأنبياء سلطة؟ قيل: أما النسيان فلا عصمة للأنبياء عنه إلا في وجه واحد وهو الخبر عن الله تعالى فيما يبلغونه، فإنهم معصومون فيه، وإذا وقع منهم النسيان حيث يجوز وقوعه فإنه ينسب إلى الشيطان إطلاقاً، وذلك إنما يكون فيما أخبر الله عنهم، ولا يجوز لنا نحن ذلك فيهم، قال ﷺ: «نسي آدم فنسيت ذريته». وقال: «إنما أنا بشر أنسى كما تنسون».

الرابعة: قوله تعالى: ﴿فلبث في السجن بضع سنين﴾ قال الهروي العرب تستعمل البضع فيما بين الثلاث إلى التسع. والبضع والبضعة واحد. ومعناها القطعة من العدد.

الخامسة: في هذه الآية دليل على جواز التعلّق بالأسباب وإن كان اليقين حاصلاً فإن الأمور بيد مسببها، ولكنه جعلها سلسلة، وركب بعضها على بعض، فتحريكها سنة، والتعويل على المنتهى يقين. والذي يدل على جواز ذلك نسبة ما جرى من النسيان إلى الشيطان كما جرى لموسى في لقيا الخضر، وهذا بين فتأملوه.

تعليق: رأينا في قصة يوسف عليه السلام كيف تم إعداد يوسف عليه السلام للمرحلة التالية من الدرجات العلمية بعد أن تأهل لمعرفة تأويل الأحاديث ثم انتقل إلى مرحلة تفسير الرؤيا كما بينها الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين (٤) قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدوٌ مبين (٥)﴾.

وكقول الله تعالى:

﴿ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين﴾ آية (٣٦).

---

(١) الإسراء آية ٦٥.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا
مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾
وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن
شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾
يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا
تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ
خَمْرًا وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ
تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ
فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

الآيات (٣٦ - ٤٢) سورة يوسف.

من خلال ما سبق يتضح أن الإعداد والتدريب والتأهيل ليوسف عليه السلام إنما كان يهدف إلى تحقيق رؤيا يوسف الأولى وما ترتب عليها من الخطة التي وضعها يوسف لإنقاذ مصر دينياً واقتصادياً فيما بعد ولا ريب أن أول إنقاذ يقتضي تبرئة المنقذ أولاً مما ألصق به ومن ثم فقد جاءت العناية الإلهية برؤيا السجينين لتكون بداية لإنقاذ يوسف عليه السلام تمهيداً للإنقاذ العام وبالتالي فقد خطط يوسف للأمر. فيوسف ينتهز الفرصة ليبث بين السجناء عقيدته الصحيحة ولا جدال في أن العقيدة الصحيحة أساس النجاة والإنقاذ بدأ يوسف خطته مع صاحبي السجن من موضوعهما الذي يشغل بالهما فطمأنهما ابتداء إلى أنه سيؤول لهم الرؤى لأن ربه علمه علماً لدنيا

خاصاً ـ فاكتسب ثقتهما من اللحظة الأولى بقدرته على التأويل وتمكنه من هذا العلم كما حاز ثقتهما لدينه متنقلاً في خطته هذه من مرحلة إلى أخرى في رفق ولطف فهما صاحباه وبهذه الصفة المؤنسة استطاع يوسف عليه السلام عرض خطته لتحقيق هدفه عرضاً موضوعياً فتحقق له ما أراد.

رابعاً ـ الإنباء بالغيب:

اختص الله تعالى بعالم الغيب والشهادة ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو. . .﴾ ولكن قد يمنح الله أنبياءه ورسله فضلاً من عنده، فيطلعهم على بعض نواحي الغيب، فتتجلى أمامهم وتكون مؤيدة لهم، قال تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول. . .﴾[1] ومنهم يعقوب ويوسف. . . فمثلاً:

١ ـ نجد يعقوب نبي الله يقول لابنه يوسف حين قص عليه رؤياه:

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾.

الآية (٥) من سورة يوسف.

فقد عرف بإلهام من الله أن هذه الرؤيا ستحدث عند إخوته من الحقد عليه والحسد له الكثير، فنهاه عن أن يحدثهم بها، وقد صدق ما ألهم به.

٢ ـ وحين طلب يوسف إلى الملك ما طلب فيما حكاه القرآن الكريم عنه عليه السلام.

﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾.

الآية (٥٥) من سورة يوسف.

---

(١) الآيتان ٢٦، ٢٧ من سورة الجن.

إذ جاء هذا الطلب بناءاً على ما ألهمه الله به من خلال رؤيا الملك من كون مصر سوف تمر بأزمة وأنه سبحانه قد أعد يوسف للعمل على تخطي هذه الأزمة ويشهد لذلك ما تبدي بعد من مهارة إدارة شئون مصر وتجنيبها ويلات القحط وذلك بفضل الله عليه.

٣ ـ وحين قال يعقوب لبنيه:

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

الآية (٨٦) من سورة يوسف.

أي أنه سبحانه وتعالى قد

كشف لي أفعالكم السيئة بما تنطوي عليه نفوسكم الشريرة من الكيد لأخيكم يوسف، والكذب عليّ وأنه سيرده عليّ ويجمع بيني وبينه.

تفسير قوله تعالى:

﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ

﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ الآية (٩٣ حتى ٩٦، ١٠٢ حتى ١٠٦).

أقوال المفسرين في هذه الآيات الكريمة.

وجاء في تفسير الإمام ابن الجوزي(١) للآيات نفسها ما يلي:

﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً﴾ قال أبو عبيدة: يعود مبصراً.

قوله تعالى: ﴿وائتوني بأهلكم أجمعين﴾ قال الكلبي: كان أهله نحو سبعين إنساناً.

قوله تعالى: ﴿ولما فصلت العير﴾ أي خرجت من مصر متوجهة إلى كنعان، وكان الذي حمل القميص يهوذا. قال السدي: قال يهوذا ليوسف: أنا الذي حملت القميص إلى يعقوب بدم كذب فأحزنته، وأنا الآن أحمل قميصك لأسره فحمله.

قوله تعالى: ﴿قال لهم أبوهم﴾ يعني يعقوب لمن حضره من أهله وقرابته فإن قيل: كيف وجد يعقوب ريحه وهو بمصر، ولم يجد ريحه من الجب بعد خروجه منه والمسافة هناك أقرب.

فعنه جوابان:

أحدهما ـ أن الله تعالى أخفى أمر يوسف على يعقوب في بداية الأمر لتقع البلية التي يتكامل بها الأجر، وأوجد ريحه من المكان النازح عند تقضي البلاء ومجيء الفرج.

والثاني ـ قال مجاهد: هبت ريح فضربت القميص ففاحت روائح الجنة في الدنيا واتصلت يعقوب فوجد ريح الجنة، فعلم أنه ليس في الدنيا من ريح إلا ما كان من ذلك القميص فمن ثم قال: ﴿إني لأجد ريح﴾. قوله تعالى: ﴿لولا أن تفندون﴾ فيه خمسة أقوال:

---

(١) الإمام ابن الجوزي، سورة يوسف من آية ٩٣ إلى ٩٦ ص (٢٨٣ حتى ٢٨٦) م ٤.

أحدهما: تجهلون، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس وبه قال مقاتل.

والثاني: تسفهون، رواه عبدالله عن أبي الهديل عن ابن عباس، ربه قال عطاء، وقتادة ومجاهد، في رواية. وقال في رواية أخرى: لولا أن تقولـوا: ذهب عقله.

والثالث: تكذبون، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير والضحاك.

والرابع: تهرمون، قاله الحسن، ومجاهد في رواية. قال بن فـارس: الفند - إنكار العقل من هرم.

والخامس: تعجزون، قاله ابن قتيبة، وقال أبو هيدة: تسفهون وتعجزون وتلومون.

قوله تعالى: ﴿قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾ قال ابن عباس: بنو بنيه خاطبوه بهذا، وكذلك قال السدي: هـذا قول بني بنيـه لأن بنيه كـانوا بمصر.

وجاء في تفسير الإمام القرطبي[1]:

قال لهم يوسف: ﴿اذهبـوا بقميصي هذا فـألقوه على وجـه أبي يأت بصيراً﴾ قال: كان يوسف أعلم بالله - أي بقدرة الله - من أن يعلم أن قميصه يرد على يعقوب بصره.

قوله تعالى: ﴿ولما فصلت العير﴾ أي خرجت منطلقة من مصـر إلى الشام ﴿قال أبوهم﴾ أي قال لمن حضر من قرابته من لم يخرج إلى مصر وهم ولد ولده: ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾. قال ابن عباس: هاجت ريح فحملت ريح قميص يوسف إليه وبينهما مسيرة ثمان ليال.

﴿لـولا أن تفندون﴾ قـال ابن عباس ومجـاهد لـولا أن تسفهـون. وقـال ابن

---

(١) الإمام القرطبي، سورة يوسف آية ٩٣ إلى ٩٦ ص (٣٤٨٨ حتى ٣٤٩١) م ٤.

الأعرابي: ﴿لولا أن تفندون﴾ لولا أن تضعفوا رأيي وقاله ابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾ أي: لفي ذهاب عن طريق الصواب.

قوله تعالى: ﴿فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه﴾ أي على عينيه. ﴿فارتد بصيراً﴾. البشير قيل هو شمعون. وقيل يهوذا قال: أنا أذهب بالقميص اليوم كما ذهبت به ملطخاً بالدم. قاله ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ ذكرهم بقوله: ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾.

وجاء في تفسير الشيخ المراغي(1):

﴿اذهبوا بقميصي هذا﴾ الذي على بدني أو بيدي.

﴿فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً﴾ أي ألقوه على وجهه حين وصولكم إليه دون تأخير يصير بصيراً، وقد علم هذا ـ إما بوحي من الله، وإما لأنه علم أن أباه ما أصابه العمى إلا من كثرة البكاء وضيق النفس فإذا ألقى عليه قميصه شرح صدره وسر أعظم السرور، وقوي بصره وزالت منه هذه الغشاوة التي رانت عليه.

﴿وأتوني بأهلكم أجمعين﴾ من الرجال والنساء والذراري وغيرهم، وقد روي أن أهله كانوا سبعين رجلاً وامرأة وولداً.

﴿ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون﴾ أي ولما انفصلت عير بني يعقوب عن حدود مصر قافلة إلى أرض الشام، قال أبوهم لمن حضره من حفدته إني لأشم رائحة يوسف كما عرفتها في صغره، لولا أن تنسبوني إلى ضعف الرأي وفساد العقل وخرف الكبر، لصدقتموني في أني أجد رائحته حقيقة، وأنه حي قريب قد قرب موعد لقائه والتمتع برؤيته.

---

(1) الشيخ/ المراغي، سورة يوسف من آية ٩٣ ص ٣٧ حتى ٣٩ م ٥.

وروي عن ابن عباس أنه لما خرجت العير هاجت ريح فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف، قال: ﴿إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون﴾ فوجد ريحه من ثمانية أيام، وفي رواية ثمانين فرسخاً، والمراد من مسافات بعيدة جداً.

﴿قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾ أي قال حاضروا مجلسه: تالله إنك لفي خطئك الذي طال أمده باعتقادك أن يوسف حي يرجى لقاؤه وقد قرب.

﴿فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا﴾ أي فلما جاء البشير وهو ابنه يهوذا الذي يحمل القميص من يوسف ـ وهو الذي حمل إليه قميصه الملطخ بالدم الكذب ليمحو السيئة بالحسنة ـ ألقاه على وجه يعقوب فعاد من فوره بصيراً كما كان بل قد قيل إنه عادت إليه سائر قواه، وليس ذلك بعجيب ولا منكر. قال الدكتور عبد العزيز إسماعيل باشا: لا تتحسن أعراض مرض (الجلوكوما) أو شدة توتر العين أو تقف شدته إلا بالعلاج، ومنه العمليات الجراحية ولكن شفاء سيدنا يعقوب بوضع القميص على وجهه هو معجزة من المعجزات الخارجة عن قدرة الإنسان، وليس المهم هو القميص أو وضعه على وجهه، فقد كان ذلك لتسهيل وقع المعجزة على الحاضرين فحسب، ولكن المهم هو طريقة الشفاء وهي إرادة الله المنحصرة في ﴿كن فيكون﴾ وهي خارجة عن كل القوانين الطبيعية التي أمر الإنسان أن يتعلمها، فعظمة المعجزة ليست في النتيجة فحسب ولكن في طريق الشفاء ـ وما أعظم إعجاز القرآن الذي وصف حالة مرضية خاصة وبين سببها.

وقد أجاب يعقوب من لاموه بما كان عليه من علم قطعي من ربه بصدق ما يقول:

﴿قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله مالا تعلمون﴾؟ أي قال لهم ألم أقل لكم حين أرسلتكم إلى مصر وأمرتكم بالتحسس ونهيتكم عن اليأس من روح الله: إني أعلم بوحي الله لا من خطرات الأوهام ما لا تعلمون من حياة يوسف عليه السلام ـ وقد ذكرهم الآن إذ عاد بصيراً بما كان قد قاله لهم حين ابيضت عيناه من الحزن وهو كظيم.

نبذة في تعليل شم يعقوب رائحة يوسف

أثبت العلم حديثاً أن الريح تحمل الغبار وما فيه من قارة إلى أخرى فتحمله من أفريقيا مثلاً إلى أوروبا وهي مسافة أبعد مما بين مصر وأرض كنعان من بلاد الشام وهي بلا شك تحمل رائحة ماله منها رائحة، ولكن الغريب شم البشر لها من مسافات بعيدة.

وقد دلت الآية على أن يعقوب عليه السلام أخبر أنه وجد رائحة يوسف لما فصلت العير من أرض مصر، فعلينا أن نؤمن به لأنه معصوم من الكذب، وقد تبين صدقه بعد وليس بالواجب علينا أن نعرف كنهه أو نصل إلى معرفة سببه، ولكن إذا نحن قلنا إنه لشدة تفكره في أمر ولده وتذكّره لرائحته حين كان يضمه ويشمه ـ شعر بتلك الرائحة قد عادت له سيرتها الأولى ـ لم يكن ذلك مجانباً للصواب ولا معارضاً للعقل ولا ناقضاً لما يثبته العلم، فإذا قلنا إننا نتقبل هذا بدون تعليل ولا تصوير لكيفية ذلك ـ لم نبعد عن العقل ولا عن العلم إذ لا خلاف بين العلماء في أن ما يجهله الباحثون أضعاف ما يعرفونه.

وعلى الجملة فعلينا التسليم بما أخبر به دون حاجة للبحث في كنهه أو صفته ما دام ذلك داخلاً في حيز الإمكان.

ـ تفسير قوله تعالى: ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون (١٠٢) وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين (١٠٣) وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين (١٠٤) وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون (١٠٥) وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون (١٠٦)﴾.

* في الآيـات من ١٠٢ ـ ١٠٦ من سـورة يـوسف. . . تسليـة للرسـول محمد ﷺ، ودليل نبوته، وعلامة صدق رسالته، حيث يقص الله عليه قصص الأنبياء والمرسلين من قبله، ليعلم المنكرون أن ذلك وصل إليه عن طـريق الوحي الإلهي، فلا تذهب نفسـك عليهم حسرات يا محمد، «وذكر بالقرآن من يخاف وعيد».

لقد كانت قصة يوسف بحق أروع مثل للقصة، فيها عظة وعبرة لأولي الألباب، حيث اشتركت فيها عناصر متعددة، مختلفـة الألوان، فيـوسف مع إخوته وفي بيت العزيز وفي السجن وفي رياسة الحكم، ثم وهو يواجه كيد الإخوة وحسدهم، وكيد النساء ومكرهن ثم ما كان منه من الصبـر والحكمة والفداء والتضحية.

وبعد. . . فلنشر في هذا البحث إلى أقوال بعض المفسرين حول هذه الآيات الكريمة من (١٠٢ ـ ١٠٦).

جاء في تفسير الإمام الطبري[١]:

﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾ أي: هذا الخبر الذي أخبـرتك بـه من خبر يـوسف ووالده يعقوب وإخوته وسائر ما في هذه السورة من أنبـاء الغيب يقول: من أخبـار الغيب الذي لم تشاهده ولم تعانيه ولكنا نوحيه إليك ونعرفكه لتثبت به فؤادك وتشجع به قلبك وتصبر على ما نالك من قومك في ذات الله وتعلم أن من قبلك من رسل الله إذ صبروا على ما نالهم فيه وأخذوا بالعفو وأمروا بالمعروف وأعرضوا عن الجاهلين فازوا بالنصر ومكنوا في البلاد وغلبوا من قصدوا من أعدائهم وأعداء دين الله فتأس بهم وآثارهم فقص ﴿وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾ وما كنت حاضراً عند إخوة يوسف إذ أجمعوا أمرهم

(١) الإمام الطبري، سورة يوسف من آية ١٠٢: ١٠٦ ص (٤٩ و ٥٠) م ١٤.

واتفقت آراؤهم وصحت عزائمهم على أن يلقوا يوسف في غيابة الجب وذلك مكرهم الذي قال الله عز وجل عنه ﴿وهم يمكرون﴾.

في تأويل قوله تعالى: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾أي: ما أكثر مشركي قومك يا محمد ولو حرصت على أن يؤمنوا بك فيصدقوك ويتبعوا ما جئتهم به من عند ربك بمصدقيك ولا متبعيك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ أي: وما تسأل يا محمد هؤلاء الذين ينكرون نبوتك ويمتنعون عن تصديقك والإقرار بما جئتهم به من عند ربك على ما تدعوهم إليه من إخلاص العبادة لربك وهجر عبادة الأوثان وطاعة الرحمن من أجر يعني من ثواب وجزاء منهم بل إنما ثوابك وأجر عملك على الله يقول ما تسألهم على ذلك ثواباً فيقولوا لك: إنما تريد بدعائك إيانا إلى اتباعك لننزل لك عن أموالنا إذا سألتنا ذلك وإذا كنت لا تسألهم ذلك فقد كان حقاً عليهم أن يعلموا أنك إنما تدعوهم إلى ما تدعوهم إليه إتباعاً منك لأمر ربك ونصيحة منك لهم وقوله: ﴿إن هو إلا ذكرٌ للعالمين﴾ يعني: ما هذا الذي أرسلك به ربك يا محمد من النبوة والرسالة إلا ذكر يقول: إلا عظة وتذكير للعالمين ليتعظوا ويتذكروا به.
القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾ أي وكم من آية في السموات والأرض لله وعبرة وحجة وذلك كالشمس والقمر والنجوم ونحو ذلك من آيات السموات وكالجبال والبحار والنبات والأشجار وغير ذلك من آيات الأرض ﴿يمرون عليها﴾ يعاينونها فيمرون بها معرضين عنها لا يعتبرون بها ولا يفكرون فيها وفيما دلت عليه من توحيد ربها وإن الألوهية لا تنبغي إلا للواحد القهار الذي خلقها وخلق كل شيء فدبرها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ أي: وما يقر أكثر هؤلاء الذين وصف عز وجل صفتهم بقوله: ﴿وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾ بالله أنه خالقهم ورازقهم

وخالق كل شيء إلا وهم مشركون في عبادتهم الأوثان والأصنام واتخاذهم من دونه أرباباً وزعمهم أن له ولداً تعالى الله عما يقولون.

٥ ـ وقال الشيخ محمد محمود حجازي[1] :

المعنى: بعد أن قص الله قصة يوسف أحسن القصص شكلاً وموضوعاً وكانت أروع مثل للقصة ذكر الله تبارك وتعالى أن القصص دليل على نبوءة محمد وصدقه:

فيما يتعلق بيوسف من أنباء الغيب وأخباره التي لا يعلمها إلا الله عالم الغيب والشهادة، ذلك نوحيه إليك ونطلعك عليه، إذ ما كنت تعلم هذا أنت ولا أحد من قومك، وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون، ويمكر الله والله خير الماكرين.

نعم هذه أخبار كيف وصلت إليك؟ هل كنت حاضرها وشاهد أمرها؟ أم وصلت إليك عن طريق الرواية ممن حضرها؟ لا هذا ولا ذاك.

فلم يبق إلا أنها وصلت إليك عن طريق الوحي الإلهي، وهذا بلا شك من دلائل النبوة وعلامات الرسالة، وكان هذا يكفي في إيمان الناس بك وتصديقهم لرسالتك لو أن الله أراد ذلك.

ولكن أعلم أن أكثر الناس ولو حرصت وعملت المستحيل لا يؤمنون مهما ظهرت الآيات الناطقة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد.

أيكون السبب في عدم إيمانهم بك أنك تطلب مالاً أو أجراً أو جاهاً أو ملكاً حتى يكون لهم العذر في عدم الإيمان، لا، لا، إنك كبقية الرسل تلك لا تسأل الناس أجراً أياً كان، وما أجرك إلا على الله وحده، وما القرآن إلا ذكر وتدبر للعالمين جميعاً فمن شاء ذكره وآمن به ومن شاء غير ذلك فحسابه على ربه.

---

(١) الشيخ محمود حجازي، سورة يوسف من الآية ١٠٢: ١٠٦ ص (١٤ و٢٥) م ٢ ج ٢.

بعد هذا العرض لآراء المفسرين، نرى لزاماً علينا أن نبين إلى أي مدى تفيدنا هذه القصة في حياتنا... فلنأت إلى التحليل التالي:

أوضحت سورة يوسف علوماً شتى... وعظات ودروساً متعددة... ومنها على سبيل المثال:

أ - أن الغيب لله لايعلمه إلا هو سبحانه عالم الغيب والشهادة... ﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول**﴾(1) مثل محمد وعيسى وإبراهيم ولوط ويوسف ويعقوب.

ب - يأمر الله رسوله ويقول له قص يا محمد نبأ إخوة يوسف وكيف نصره الله عليهم وجعل له التوفيق والنجاح والملك والحكم رغم ما أرادوا به من السوء والهلاك والقتل ومثل هذا نوحيه إليك يا محمد ﷺ من أخبار الغيب ونُعْلِمُكَ به لما فيه من العبرة والعظة.

جـ - كذلك بين الله تعالى أن يعقوب عليه السلام أنبىء بالغيب فعرف ما لم يعرف ولده يوسف عليه السلام عندما قص عليه رؤياه... كما قال الله تعالى:

﴿**إذ قال يوسف لأبيه إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين (٤) قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدون لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدوٌ مبين (٥)**﴾.

د - كما أوضحت لنا قصة يوسف عليه السلام ما أعطاه الله إياه من علم تأويل الأحاديث والحكمة والعلم وكذلك ما أخبره به من نبأ الغيب بتفسيره رؤيا الملك وصاحبي السجن... كما ذكر الله تعالى في قوله جل ذكره:

قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا

---

(١) الآيتان ٢٦، ٢٧ من سورة الجن.

تأكلون ﴿٤٧﴾ ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما
تحصنون ﴿٤٨﴾

آية (٤٧ ـ ٤٨).

هـ ـ كذلك بين يوسف عليه السلام لملك مصر أنه بعد أن تنتهي السبع سنوات الرخاء والسبع سنوات العجاف... ذكر يوسف عليه السلام أن المرحلة الصعبة من القحط التي مرت بها مصر ستنتهي وستأتي السنون تلو السنين طبيعية ليس فيها أزمات اقتصادية... كما ذكر الله تعالى في قوله سبحانه:

﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ﴿٤٩﴾﴾ آية (٤٩).

كل ذلك علمه الله تبارك وتعالى يوسف عليه السلام من إنبائه له بالغيب لأنه مرسل هدى ورحمة ولتطبيق تعاليم ربه في الأرض.

و ـ عندما ذكر يوسف عليه السلام لملك مصر بعد تفسير الرؤيا:

﴿قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ﴿٥٥﴾ وكذلك مكنا
ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا
نضيع أجر المحسنين ﴿٥٦﴾﴾.

الآيتان (٥٥، ٥٦).

تبين لنا أن يوسف عليه السلام نبيء بغيب حيث فسر رؤيا الملك وأنه قادر على تحمل المسئولية وواثق من نفسه أشد الثقة لأنه نبي الله.

ز ـ كذلك بين الله تعالى في قصة يوسف عليه السلام فضله على يعقوب حين أعلمه بما لا يعلمه أهله وفيه دليل على النبوة قال الله تعالى:

﴿قال إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴿٨٦﴾

يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

الآيتان (٨٦، ٨٧).

كما قال تعالى:

ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾.

الآية (٩٣).

من هذا يتبين لنا أن يوسف عليه السلام النبي كان يعلم من أنباء الغيب ما علمه ربه وهو واثق من كلامه غندما ذكر لإخوته أن يلقوا بقميصه على وجه أبيهم فيرجع بصره... ففعلوا ما أمرهم به يوسف عليه السلام... قال تعالى:

﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًاۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾

الآية (٩٦).

وختاماً... لقد تم إعداد يوسف من خلال مراحل علمية حيث علمه ربه تأويل الأحاديث وهي الدرجة العلمية الأولى، ثم علمه علوم الرؤيا وتفسيرها وبيانها الصحيح... ثم انتقل إلى المرحلة الثالثة وأعلمه الحكم والعلم وتطبيق ما تعلمه لإنقاذ شعب مصر من القحط ليس بالتفسير والتأويل فقط بل بالعقل وتحمل المسئولية.

وهذا يتفق وقانون الحياة... وكما نرى الآن فعندما يعد إنسان لأن يصبح عالماً يدخل المدارس المرحلة تلو المرحلة وبعدها يتخصص في

الشهادات الجامعية ثم يرتفع بالعلوم من درجة إلى أخرى حتى يصل إلى أعلى الدرجات بتوفيق الله وهدايته. وشتان بين علم علمه الله واختص به الصفوة من عباده وعلم أخذه البشر عن البشر.

فهرس المبحث الرابع

علوم التخطيط للدولة

تفسير قوله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ
سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا
تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ الآية (٤٣).

سادساً: علوم التخطيط للدولة:

١ ـ الخطة المستقبلية البعيدة المدى للدولة.

٢ ـ الخطة السبعية الأولى للدولة.

٣ ـ الخطة السبعية الثانية للدولة.

٤ ـ الخطة السنوية العامة للدولة.

٥ ـ السمات التخطيطية في الإسلام لحياتنا الاقتصادية العملية.

٦ ـ التخطيط للعلاقات الإنسانية.

٧ ـ التخطيط الأمني لحماية الدولة.

سابعاً: علوم التخطيط والمسئولية:

١ ـ المسئولية في التخطيط تجاه الله تعالى.

٢ ـ مسئولية رئيس الجهاز التخطيطي.

٣ ـ مسئولية الجهاز التخطيطي.

٤ ـ مسئولية ولي الأمر.

٥ ـ مسئولية الشعب.

ثامناً: تحليل علوم التخطيط للدولة من آيات القرآن الكريم:

المبحث الرابع

علوم التخطيط للدولة

تفسير قوله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

الآية (٤٣).

أولاً ـ أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة:

يقول الإمام الطبري[1] في تفسير الآية:

يعني وقال ملك مصر إني أرى في المنام ﴿سبع بقرات سمان يأكلهن سبع﴾ من البقر ﴿عجاف وسبع سنبلات خضر﴾ يقول وأرى سبع سنبلات خضر في منامي ﴿وأخر﴾ يقول وسبعاً أخر من السنبل يابسات ﴿يا أيها الملأ﴾ يقول: يا أيها الأشراف من رجالي وأصحابي ﴿أفتوني في رؤياي﴾ فأعيروها ﴿إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾.

حدثنا ابن وكيع قال حدثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدي قال ان الله أرى الملك في منامه رؤيا هالته فرأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر يابسات فجمع السحرة والكهنة والحزاة والقافه

(١) الإمام الطبري، سورة يوسف من آية ٤٣ ص ١٣٣ حتى ١٣٧ ج ١٨ م ١٢.

فقصها عليهم فقالوا: أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين.

ويقول الإمام ابن الجوزي(1):

قوله تعالى: ﴿وقال الملك﴾ يعني ملك مصر الأكبر ﴿إني أرى﴾ يعني في المنام، قال وهب بن منبه: لما انقضت المدة التي وقتها الله تعالى ليوسف في حبسه دخل عليه جبريل إلى السجن، فبشره بالخروج وملك مصر ولقاء أبيه، فلما أمسى الملك من ليلة ئذ، رأى سبع بقرات سمان خرجن من البحر، في آثارهن سبع عجاف، فأقبلت العجاف على السمان، فأخذن بأذنابهن فأكلنهم إلى القرنين، ولم يترك في العجاف شيء ورأى سبع سنبلات خضر وقد أقبل عليهن سبع يابسات فأكلنهن حتى أتيت عليهن، ولم يزدد في اليابسات شيء، فدعا أشراف قومه فقصها عليهم...

ويقول الإمام القرطبي(2):

قوله تعالى: ﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان﴾ لما دنا فرج يوسف عليه السلام رأى الملك رؤياه، فنزل جبريل فسلم على يوسف وبشره بالفرج وقال: إن الله مخرجك من سجنك، وممكن لك في الأرض، يذل لك ملوكها، ويطيعك جبابرتها ومعطيك الكلمة العليا على إخوتك، وذلك بسبب رؤيا رآها الملك، وهي كيت وكيت، وتأويلها كذا وكذا، فما لبث في السجن أكثر مما رأى الملك الرؤيا حتى خرج، فجعل الله الرؤيا أولاً ليوسف بلاء وشدة، وجعلها آخراً بشرى ورحمة.

ويقول الإمام ابن كثير(3):

هذه الرؤيا من ملك مصر مما قدر الله تعالى أنها كانت سبباً لخروج يوسف عليه السلام من السجن معززاً مكرماً، وذلك أن الملك رأى هذه الرؤيا

---

(1) الإمام ابن الجوزي، سورة يوسف من آية (٤٣) ص ٢٢٦ حتى ٢٣٥.
(2) الإمام القرطبي، سورة يوسف من آية (٤٣) ص ٣٤٢٧ حتى ٣٤٣٣.
(3) الإمام ابن كثير، سورة يوسف من آية (٤٣) ص ٤٨٠ م ٢ ج ٣١ وانظر تفسير. =

فهالته وتعجب من أمرها وما يكون تفسيرها فجمع الكهنة والحادة وكبار دولته وأمراءه فقص عليهم ما رأى وسألهم عن تأويلها فلم يعرفوا ذلك واعتذروا إليه بأنها أضغاث أحلام...

ويقول الشيخ طنطاوي جوهري[1]:

رأى ملك مصر الأكبر رؤيا هالته فإنه رأى سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج عقبهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلع العجاف السمان ودخلن في بطونهن ولم ير منهن شيء ولم يتبين عمل العجاف منها شيء ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبع سنبلات أخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من نضرتها شيء فجمع السحرة والكهنة والمعبرين وقص عليهم رؤياه التي رآها فهذا قوله تعالى: **﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف﴾** بقرات هالكات من الهزال **﴿وسبع سنبلات خضر يابسات﴾** وذلك خطاب للأشراف والأعيان من العلماء والحكماء، ثم أخذ يستفتيهم فقال: **﴿يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي﴾** يا أيها الأشراف أخبروني بتأويل رؤياي **﴿إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾** أي: إن كنتم تحسنون عبارة الرؤيا فتنقلونها من الصور التي صورها الخيال إلى المعاني الحقيقية التي هي مثالها. يقال عبرت الرؤيا عبارة كما يقال عبرتها تعبيراً ومعبر الرؤيا ينتقل من ظاهرها إلى باطنها ليستخرج معناها.

وجاء في أحكام القرآن لابن العربي[2] قوله:

ـ فيها صحة رؤيا الكافر، ولا سيما إذا تعلقت بمؤمن، فكيف إذا كانت

= الإمام الشوكاني فتح القدير، سورة يوسف من آية (٤٣) ص ٣٠ حتى ٣٥ م ٣.
العلامة الألوسي، سورة يوسف (٤٣) ص ٢٤٨ حتى ٢٥٧ م ١٢ ج ٣٢.

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم ـ الشيخ طنطاوي ـ الجزء السابع، تفسير سورة يوسف آية (٤٣) ص ٣٥.

(٢) لابن بكر محمد عبد الله المعروف بابن العربي ـ المجلد الثالث ـ الآية ٤٣ ـ سورة يوسف ص ١٠٩٩ ـ تحقيق على محمد البجاوي.

آية لنبي، ومعجزة لرسول، وتصديقاً لمصطفى للتبليغ، وحجة للواسطة بين الله وبين العباد.

- قوله تعالى: ﴿لعلهم يعلمون﴾:

يحتمل أن يكون يعلمون بمكانك، فيظهر عندهم فضلك حتى يكون سبب خلاصك، فعلى هذا يكون العلم على بابه، ويحتمل أن يكون معناه لعلهم يعلمون تأويل الرؤيا، ويسمى علماً، وإن كان ظناً، لأن الأصل كل ظن شرعي يرجع إلى العلم بالدليل القطعي الذي أسند إليه، وقد بيناه في أصول الفقه.

ثانياً - الجانب الاقتصادي والتخطيطي لها:

من قصة يوسف عليه السلام يتبين لنا أن الله تبارك وتعالى أعده وعلمه من تأويل الأحاديث وتفسير الرؤيا وأعلمه بعضاً من أنباء الغيب حتى أصبح على علم تام بها، وذلك ليكون مهيئاً ومستعداً عقلياً وذهنياً وعملياً لتطبيق ما علمه وزوده الله تعالى به.

ثالثاً ـ تفسير الرؤيا والتخطيط

تمكن يوسف عليه السلام من تفسير رؤيا الفتيين عندما دخل السجن كما بينا ذلك سابقاً في تفسير الآيات (٣٦) وحتى الآية (٤٢) ومن ذلك يتضح أن يوسف عليه السلام بدأ أولى مراحل التطبيق التخطيطي العملي الذي أعلمه الله إياه وذلك على النحو التالي:

١ ـ بعد أن تزود يوسف عليه السلام بالعلم وتفسير رؤيا الفتيين اللذين كانا معه في السجن فتح بذلك باباً جديداً في معرفة تفسير الرؤيا وهذا إشارة إلى البداية العلمية لعلوم التخطيط.

٢ ـ أن يوسف عليه السلام قد أصبح أهلاً بتطبيق الرسالة التي أرسله تبارك وتعالى من أجلها إلى أرض مصر كما أشارت الآيات الكريمة التي تحدثت عن دعوته أهل السجن إلى التوحيد...

٣ ـ كذلك أشارت الآية الكريمة ﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات...﴾ الآية وتفسير يوسف عليه السلام لرؤيا الفتيين فيما حكاه القرآن الكريم:

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ۝٤١﴾.

آية (٤١).

وحسب تفسير يوسف عليه السلام للرؤيا في هذه الآية فقد مات الأول أما الآخر فقد نجا وعمل عند ملك مصر ـ أشارت الآية الكريمة

﴿وقال إني أرى سبع بقرات. . .﴾ الآية إلى رؤيا ملك مصر فاستنجد الملك بمن حوله ليفسروا له تلك الرؤيا لكنهم عجزوا. . .

وهنا تذكر خادم الملك أن هناك شخصاً وحيداً قادراً على مثل ذلك وهو يوسف عليه السلام الذي كان في السجن معه فعندما سمع كلام الملك عن رؤياه ورغبته الملحة في تفسيرها أشار عليه باستدعاء يوسف لسابق خبرته في تفسير الرؤى.

٤ ـ بين الله تعالى في قصة يوسف عليه السلام أن الملك بعد أن سمع عن يوسف عليه السلام وقدرته في تفسير الرؤيا طلب منه أن يفتيه في رؤياه، كما دلت الآية الكريمة ﴿يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات﴾ الآية (٤٦).

٥ ـ أوضحت قصة يوسف عليه السلام أن العلم الذي أعلمه به ربه جعله قادراً على تفسير الرؤيا مما مهد لتحمله مسئولية التخطيط بالعلم والعمل لا بالحدس والتخمين وساعد على أداء رسالة التوحيد.

٦ ـ أشارت قصة يوسف عليه السلام إلى أنه فسر رؤيا الملك كما ذكر الله تعالى:

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾

الآيتان (٤٧، ٤٨)

استطاع يوسف عليه السلام أن يفسر رؤيا الملك بعد أن عجز الجميع عن ذلك، وهذه هي بداية علم التخطيط، حيث أشار في تفسيره لرؤيا الملك إلى الخطة التي ينبغي القيام بها.

٧ ـ عندما عرف ملك مصر القدرة العلمية عند يوسف عليه السلام عينه مسئولاً ووزيراً على مصر. . . كما قال الله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾.

آية (٥٤).

استخلص ملك مصر يوسف عليه السلام وعينه وزيراً عليها بعد أن عرف عنه علمه وسمع تفسيره لتلك الرؤيا، وما سيحدث لمصر من سبع سنين رخاء بعدها سبع سنين عجاف وهذا بلا شك من فضل ربه عليه.

٨ ـ تأكد يوسف عليه السلام، وهو العالم في تفسير الرؤيا وعلوم التخطيط، من قدرته على تحمل المسئولية الكاملة لإنقاذ مصر من أزمتها في السنوات السبع العجاف بخطته الأربع عشرة سنة المستقبلية، لذلك طلب من ملك مصر أن يعينه مسئولاً عن حل الأزمة التي ستأتي على مصر بالتخطيط والتطبيق والتنفيذ، طلب ما طلب وهو واثق من نفسه ومن علومه وهذا درس وعلم علمنا إياه يوسف عليه السلام في مدى تحمله المسئولية.

٩ ـ أرشدنا يوسف عليه السلام إلى علوم التخطيط وعلم الإدارة وبالذت علم النفس الإداري لثقته بنفسه وبعلمه. وإيمانه وبفضل الله تعالى عليه وأنه مرسل لإنقاذ شعب مصر مما يهدده، ويؤكد هذه الثقة والإستعداد لتحمل المسئولية في صدق وأمانة ما حكاه القرآن الكريم في قوله سبحانه:

﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾

وهذا درس آخر تعلمناه في وجوب الثقة بالنفس المبنية على الأسس السليمة.

١٠ ـ عندما فسر يوسف عليه السلام رؤيا الملك علمنا الخطة العامة المستقبلية لدولة مصر حيث قسمها إلى مرحلتين الأولى مرحلة التخطيط والتصميم وشملت البناء والإدخار في فترة الرخاء وهي الخطة السبعية الأولى للدولة والأخرى وتتمثل في التطبيق والتنفيذ العملي في فترة

القحط وهي الخطة السبعية الثانية للدولة.

١١ ـ أرشدنا يوسف عليه السلام إلى أن علمه بالرؤيا وتفسير الأحاديث وعلوم التخطيط كله كان بفضل الله تعالى.

رابعاً- الطلب والحاجة إلى التخطيط

مرة أخرى يبين الله تعالى لنا في كتابه العزيز علماً آخر من علوم التخطيط كما يتضح ذلك من تفسير يوسف عليه السلام لرؤيا الملك. كما ذكر الله تعالى.

فحينما برزت حاجة الملك لمعرفة رؤياه طلب من يفسرها له وكان التفسير الذي قام به يوسف عليه السلام يعني التخطيط في أجلى صوره.. إذن فالحاجة والطلب يسبقان التخطيط. وذلك على النحو التالي:

١ - إن ملك مصر كان في حاجة ماسة إلى تفسير رؤياه ولهذا طلب من مستشاريه أن يفتوه فيها أو يحضروا أحد علماء مصر في ذلك الوقت ليقوم بذلك نظراً للقلق الذي كان يشعر به بسبب تلك الرؤيا.

٢ - لم يكن ذلك الشخص الذي يستطيع تفسير رؤيا الملك سوى يوسف عليه السلام الذي تكفل بذلك...

٣ - أوضحت لنا قصة يوسف عليه السلام أن الله تعالى قد من عليه وتفضل بإعطائه القدرة على تفسير الرؤيا وإيتائه من العلم ما جعله حكيماً وعالماً في علوم الاقتصاد والتخطيط ليتحمل المسئولية القادمة في دولة مصر.

٤ - أكد يوسف عليه السلام أنه ليس بالعالم والمخطط لعلم التخطيط وتفسير الرؤيا ووضع الخطة المستقبلية البعيدة المدى ونسب ذلك إلى فضل الله فاطر السموات والأرض فاتجه إليه في كل تصرف.

قال تعالى:

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾

الآية (١٠١) يوسف.

٥ ـ عرف الملك الصفات الممتازة والأخلاق الحميدة والأمانة التي يتحلى بها يوسف عليه السلام وهي صفات لازمة وضرورية لكل من يتحمل المسئولية.

٦ ـ ومن ثم... وافق على طلب يوسف لأمانته ورجاحة عقله وحكمته، ولأنه بحاجة إلى رجل مثله ليتولى مسئولية مصر في أزمتها القادمة حسب الرؤيا.

٧ ـ لما عرف الملك بالأزمة التي ستحل على أرض مصر والتي تتمثل في أنه سيأتي سبع سنين رخاء وبعدها سبع سنين عجاف، أيقن أنه يحتاج إلى وزير ذو كفاءه وعلم ومعرفة لينقذ بلاده من هذه الأزمة الاقتصادية التي ستحل عليها وسيتضرر منها شعبه لأنه هو المسئول وولي الأمر لهذا الشعب فآثر الملك أن يتحمل مسئوليته هو الآخر بتكليف يوسف بالأمر.

وافق الملك على تعيين يوسف وزيراً للخزانة والمالية حسب الحاجة والطلب إلى مسئول لإنقاذ مصر من أزمتها، وطلب إلى ذلك المسئول أن يتولى أمر الإنقاذ... ولم يكن ذلك المسئول غير النبي يوسف عليه السلام صاحب صفات الأمانة والصدق والعلم بتفسير الرؤيا والتي من أجلها وافق ملك مصر على تعيينه في تلك الوظيفة.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

الآية (٥٦)

٨ - بسبب حاجة أهل مصر وملكها وطلبهم مسئولاً يتولى زمام الأمور في هذه الفترة الصعبة جاء يوسف عليه السلام بعلوم الاقتصاد والتخطيط وذلك تحقيقاً لرسالة رب العالمين وإنقاذاً لشعب مصر من الجفاف والقحط وليعطي للمسلمين الدروس الكاملة في التخطيط وتحمل المسئولية الإدارية.

٩ - بين لنا يوسف عليه السلام علماً من علوم الاقتصاد... ألا وهو التخطيط للدولة في حياتنا الاقتصادية العامة التي نعيشها، ذلك أن الله جلت حكمته لم يجعل الحياة تسير على منهج اقتصادي واحد كما توضح قصة يوسف عليه السلام التي أكدت لنا أن مصر مرت بسبع سنين رخاء وبعدها سبع سنين عجاف، فلولا تفسير يوسف لرؤيا الملك ووضع التخطيطات اللازمة للخطة المستقبلية لمصر في الأربعة عشر عاماً لدمر اقتصاد مصر... ومن هنا تتجلى لنا الحكمة الإلّهية في إرسال يوسف عليه السلام ووضعه للخطة المستقبلية لدولة مصر.

١٠ - بين الله تعالى أن النعمة لا تدوم، فكما مرت بمصر سبع سنين رخاء وسبع سنين عجاف وسنون عادية، فإن الله تعالى أرشدنا إلى أن التخطيط ضروري لكل دولة من الدول في حياتها وسنيها المقبلة، فهو علام الغيوب، ولولا تخطيط يوسف وتفسيره الرؤيا لأنفقت مصر بدون حساب ولنفذ كل ما لديها من مخزون اقتصادي في سني الرخاء حتى إذا حلت عليها سبع السنين العجاف حلت بها الكارثة الاقتصادية.

لهذا بين الله تعالى أن الحاجة والطلب لشعب مصر اقتضيا أن يلهم الله عز وجل يوسف عليه السلام بالتخطيط السليم للوصول إلى بر الأمان.

١١ - بين الله تعالى لنا وأرشدنا في قصة يوسف عليه السلام أنه ينبغي على الإنسان أن يفكر فيما رزقه الله من خيرات ونعيم وموارد طبيعية وأن النعمة لا تدوم طول السنين، لذا كان لزاماً عليه أن يستعد ويخطط للغد حسب ما تتطلبه حاجته إلى التخطيط. اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا

واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا. فعن ابن عمرو فيما رواه البيهقي والديلمي (اعمل عمل آمرىء يظن أنه لن يموت أبداً واحذر حذر امرىء يخشى أن يموت غدا)[1].

١٢ - أرسل الله يوسف عليه السلام وأعطاه من علوم التخطيط ما أعطاه ليتصرف في الأرض حسب ما أعطاه الله من معلومات صادقة، فينبغي علينا أخذ العبرة من ذلك في حياتنا الاقتصادية العملية... ذلك أن الطلب والحاجة إلى التخطيط لازمة لكل أمة مسلمة مؤمنة بالله وكتابه ورسوله.

(١) انظر جمع الجوامع أو الجامع الكبير للسيوطي.

خامساً - سببية التخطيط وحكمتها:

بين الله تعالى في كتابه العزيز أنه أرسل يوسف عليه السلام ليهدي شعب مصر والشعوب والقبائل المجاورة وينقذهم جميعاً من الأزمة التي واجهت مصر من قحط وجفاف... وقد أوحى الله تبارك وتعالى إلى يوسف عليه السلام وزوده بعلوم الأحاديث وتفسير الرؤيا، وأطلعه على بعض الغيبيات.

وعندما نتطلع إلى سببية التخطيط وتحليلها نجد ما يلي:

١ - الرؤيا:

كان يوسف عليه السلام على علم تام بتفسير الرؤيا... عندما رأى الملك رؤياه وطلب من يفسرها... فعجز علماء مصر ومفسروها في ذلك الوقت عن تفسيرها... كما ذكر الله تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

الآيتان (٤٣، ٤٤).

وبهذا أرشدنا الله تعالى إلى أن تفسير يوسف عليه السلام عندما فسر الرؤيا كان أول الطريق الذي أتاه الله يوسف حكماً وعلماً... كما قال الله تعالى:

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾

الآيات (٤٧، ٤٨، ٤٩).

وبهذا أكد يوسف عليه السلام بالتمكين من تفسير الرؤيا ما وضع من أسس التخطيط أنه ليس فقط مفسراً، بل طلب من الملك أن يكون وزيراً ومسئولاً عن مصر في ذلك الوقت لقدرته على تنفيذ ما خطط له.

﴿قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ آية (٥٥).

وهكذا برهن يوسف عليه السلام على أنه رسول من عند ربه وقد طلب يوسف عليه السلام أن يكون المسئول ووزير مصر الأول ليس فقط في أزمة مصر الأربع عشرة سنة بل في السنين التي تليها... ومن ذلك يتضح لنا أن الله تعالى فتح له الطريق لينير وينقذ شعب مصر ليس فقط بالتفسير والتحليل، ولكن برسم الخطة العامة المستقبلية للدولة في الأربع عشرة سنة، ومن ثم قسمها إلى خطة سبعية أولى للتخطيط والإعداد كبناء صوامع الغلال وخزن الحبوب، وخطة سبعية ثانية لاستكمال وتنفيذ الخطط المعدة في السبع سنوات... وبحمد الله وتوفيقه تمكن يوسف عليه السلام بفضل الله أن يجتاز الأزمة التي مرت بها مصر.

وحول تفسير الآية (٤٤) من سورة يوسف، للإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص في كتابه أحكام القرآن[1] جاء ما يلي:

وقال مجاهد وقتادة إلى التسع وقال وهب لبث سبع سنين قوله تعالى:

---

(١) كتاب أحكام القرآن - للإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص - ٣٧٠ هـ. الجزء الثالث - الآية (٤٤) من سورة يوسف - ص ١٧٣ - دار الكتاب العربي - بيروت.

﴿قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين﴾ فإنا قد علمنا أن الرؤيا كانت صحيحة ولم تكن أضغاث أحلام لأن يوسف عليه السلام عبرها على سني الخصب والجدب وهو يبطل قول من يقول إن الرؤيا على أول ما تعبر لأن القوم قالوا هي أضغاث أحلام ولم تقع.

٢ ـ الأزمة:

تمكن يوسف عليه السلام بفضل الله تعالى من تفسير رؤيا الملك كقول الله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ۝٤٣﴾

الآية (٤٣).

تحدث يوسف عليه السلام عن الأزمة التي ستقع في مصر وهي سبع سنين رخاء يليها سبع عجاف... وبهذا علّمنا يوسف عليه السلام علماً جديداً من علوم التخطيط للدولة وهو الأخذ بالأسباب والمقدمات وصولاً إلى النتائج التي لا يعلمها إلا الله.

أ ـ الأزمة هي عبارة عن مشكلة تمر بها البلاد في أي وقت وأي زمن... فليس لها حدود ولا وقت معين والأزمة هنا القحط.

ب ـ كذلك علمنا أن يوسف عليه السلام بتفسيره لرؤيا الملك للأربع عشرة سنة قد حل أزمة مصر، وأن كل دولة تعمل ضمن مخططاتها تخطيطاً مستقبلياً، وذلك لتفادي الأزمات التي لا يعلمها إلا الله تعالى.

جـ ـ وعندما نعرف ما هي الأزمات التي تأتي على البلاد والأرض، فالأزمة إما أن تكون كوارث طبيعية من فيضانات وصواعق ورياح شديدة تهلك الزرع والبيوت والأنفس أو ندرة في الأمطار والمياه أو زلازل أو غير ذلك...

د ـ بين يوسف عليه السلام أن الله تعالى يرسل إلى كل شعب من الرخاء والقحط والمحن ليختبر قوة إيمانهم وكيف يواجهون تلك المحن وكيف يتصرفون نحوها كما حدث لأهل مصر وتصرف يوسف عليه السلام ليكون ذلك عظة وعبرة. . .

هـ ـ كذلك علمنا يوسف عليه السلام أن الأزمة عندما تصيب البلاد فإن جميع الموارد الطبيعية تتأثر بها وذلك ينعكس بالتالي على التجارة والصناعة وكل موارد الدولة التي يعتمد عليها البلد سواء كانت هذه البلاد زراعية أو تجارية أو صناعية أو تعدينية.

الأزمات الإقتصادية التي تصيب الأمم والشعوب . . .

يتضح لنا من خلال تفسير يوسف عليه السلام لرؤيا الملك. . . وما ذكر في الآيات من (٤٧ ـ ٤٩) من سورة يوسف. . . أن هناك أزمات اقتصادية ستحدث بمصر، وقد شرح يوسف عليه السلام هذه الأزمة الاقتصادية التي ستحل على مصر بحلول سبع سنين عجاف بعد سبع سمان كما جاء في قوله تعالى:

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾

الآيات (٤٧، ٤٨، ٤٩).

بين يوسف عليه السلام أنه بعد أن تجتاز مصر الأزمة الاقتصادية بالأخذ من فترة الرخاء لفترة القحط في الأربع عشرة سنة يأتي العام الخامس عشر طبيعياً فتنفك الأزمة الاقتصادية الكبرى وتأتي الأمطار وتكثر مياه النيل. . . وعندما نحلل الأزمات الاقتصادية وغير ذلك من الأزمات كما بينها يوسف عليه السلام، فإننا نتوصل إلى ما يلي:

أ ـ الأزمة الاقتصادية:

أوضح يوسف عليه السلام أن مصر ستمر بأزمة اقتصادية وإن هذه الأزمة الاقتصادية عبارة عن كارثة عامة تصيب البلاد في مواردها الاقتصادية الإنتاجية التي تعتمد عليها البلاد من زراعة وتجارة أو صناعة، وكذلك تتأثر كل المقومات الاقتصادية بالبلاد من الجوانب المالية والمدخلات العامة وحركة بيع الإنتاج المحلي، وبالتالي يتأثر دخل الفرد وينعكس ذلك على المدخلات والموارد المالية للأفراد. . . كل ذلك ينعكس على الأمة التي تصيبها مثل هذه الأزمات.

ب ـ الأزمة الزراعية:

ومن الأزمات التي حلت بمصر والتي تنبأ بها يوسف عليه السلام من خلال تفسيره لرؤيا الملك. . . الأزمة الزراعية الاقتصادية التي هي بمثابة شريان الحركة الاقتصادية في مصر آنذاك. . . وقد أوضح يوسف عليه السلام أن مصر ستواجه سبع سنوات رخاء وذلك لوفرة مياه النيل. وبالتالي ينعكس ذلك على الزراعة وعلى الاقتصاد المصري وبعدها ستأتي السبع سنوات العجاف وتقل الأمطار وتندر منابع النيل، وهذا ينعكس على الزراعة في السبع سنوات القحط التي أتت بعد ذلك وفسرها يوسف عليه السلام.

ومثل هذه الأزمة تصيب البلاد في مواردها الزراعية الأساسية التي تعتمد على مدخلاتها ومواردها الاقتصادية من الناحية الزراعية ويعيش عليها كافة الشعب سواء بطريق مباشر كأصحاب المزارع والعاملين في الزراعة أو بطريق غير مباشر وهم التجار وذوو العلاقة مع بعضهم البعض في الحركة الاقتصادية العامة.

جـ ـ الأزمة التجارية:

وتعتبر الأزمة التجارية ملازمة للأزمات الاقتصادية والزراعية التي حلت بمصر. . . فإن الأزمة التجارية هي جزء من الحركة الاقتصادية العامة في البلاد، حيث أوضح لنا يوسف عليه السلام أنه عندما عم بالبلاد السبع سنين

السمان ازدادت ونشطت الحركة الزراعية، وبالتالي انعكس ذلك على الحركة التجارية برخائها وزيادتها نتيجة الرخاء الذي عم بالبلاد في السبع سنوات.

عندما عم بالبلاد السبع سنوات العجاف تأثر الاقتصاد المصري في ذلك الوقت ككل وانعكس ذلك على الحركة الاقتصادية والتجارية ولا نستطيع القول بأنها انعدمت بل إن يوسف عليه السلام خطط وطبق النظم الاقتصادية - التي ألهمها - لنشاطها وبقائها، ولكن الحركة التجارية تأثرت وساد الكساد التجاري في الأسواق نتيجة الأزمة الزراعية التي تعتمد عليها واردات مصر، وبذلك أوضح يوسف عليه السلام أن الأزمة التجارية هي عبارة عن أزمة عامة تصيب البلاد نتيجة الموارد الأساسية التي تعتمد على المدخلات والموارد الاقتصادية العامة وينعكس ذلك على الحركة التجارية في الأسواق عرضاً وطلباً. . .

د - الأزمة المالية:

وكما أن مصر تعرضت لأزمة اقتصادية وزراعية وتجارية. . إلا أن الأزمة المالية التي أصابت خزانة مصر. . . كانت ظاهرة. . . فإن المدخلات والموارد العامة للدولة والتي تجنيها أو تجبيها الدولة من مواردها الاقتصادية في البلاد التي تعتمد على الزراعة قد نضبت عندما حل القحط والجفاف في السبع سنين، وأثر ذلك على الموارد والمدخلات العامة لمصر، كما انعكس على الموارد والمدخلات المالية على الخزانة العامة لمصر، واستطاع يوسف عليه السلام أن يخطط لحل الأزمة الاقتصادية والتي منها المالية ببناء المستودعات للغلال والقمح وبيعها أو المقايضة في السنين العجاف. . . وبهذا اجتاز الأزمة الاقتصادية والمالية في هذه الفترة.

من ذلك نعلم أن الأزمة المالية هي عبارة عن أزمة عامة تصيب البلاد في مواردها الأساسية التي تعتمد على مدخلاتها ومواردها الاقتصادية كمصر من الناحية الزراعية، حيث تقاس بها كافة الجوانب الإنتاجية وبالتالي ينعكس ذلك على مدخولاتهم المالية والتي تعتمد على الموارد الأساسية للبلاد من الزراعة وما حدث لها من كساد.

هـ ـ أزمة الكوارث والموارد الطبيعية:

تنبأ يوسف عليه السلام على ضوء ما أعلمه الله عز وجل بالأزمات التي ستتعرض لها مصر... وذلك عقب تفسيره لرؤيا الملك... ومصر كانت تعتمد على الزراعة اعتماداً كلياً في مواردها الاقتصادية حيث يمر بها النيل الذي هو هبة الله تبارك وتعالى لها...

وعندما قلت أو ندرت مياه الأمطار في منابع النيل انعكس ذلك على المورد الرئيسي للزراعة وهو مياه النيل... وبالتالي تعرضت مصر لأسوأ كارثة طبيعية حلت بها.

وتعتبر الموارد الطبيعية مثل المياه والتعدين (البترول) من الثروات الطبيعية التي يمنحها الله للبشر... فهي رزق وفضل ونعمة من الله عز وجل لكل أمة وشعب... ويعتبر هذا مورداً أساسياً من الموارد الطبيعية... فإذا اختلت هذه الموارد أو أصابتها كارثة... فإن ذلك ينعكس بلا شك على جميع أفراد الأمة... ولكن بفضل الله تعالى أرسل يوسف عليه السلام لكي يعد الخطة وينفذها وينقذ مصر وشعبها من سنوات القحط والجفاف.

و ـ أزمة القوى العاملة:

اتضح لنا من خلال قصة يوسف عليه السلام وما حدث لمصر في أزمتها الاقتصادية عقب تفسيره لرؤيا ملك مصر ووضعه الخطة المستقبلية للدولة في الأربع عشرة سنة من الرخاء إلى القحط. إن أي أزمة اقتصادية تحل بالبلاد ستنعكس على كافة الموارد العامة وعلى الشعب كافة...

فعندما تندر الموارد الطبيعية تتأثر مدخولاتها للشعب... وبالتالي ستحدث بطالة عامة تعم كافة البلاد وينتشر الكساد في موارد البلاد مثل الزراعة وغيرها... ولكن يوسف عليه السلام عالج هذه الأزمة أي أزمة القوى العاملة التي كانت تعتمد على الزراعة .. ومن الطبيعي عندما حدث قحط في السبع سنوات فإن العمالة يصيبها الركود ولكن بفضل الله تعالى تمكن يوسف عليه السلام من معالجة هذه الأزمة بإيجاد سبل أخرى لأعمالهم كما سنورد

ذلك لاحقاً. . . وبهذا أكد يوسف عليه السلام على أن أزمة القوى العاملة تصيب البلاد حسب أحوالها الاقتصادية. . . فإن أصابها الرخاء زاد الطلب على العمالة وارتفع سعرها ودخلها وإذا حدث كساد في البلاد قلّ وندر الطلب على العمالة وحدثت أزمة في البلاد من البطالة وغير ذلك.

ز ـ أزمة العلاقات الإنسانية:

عندما كانت مصر في ظروف طبيعية كانت علاقاتها طبيعية مع جيرانها من الشعوب والقبائل والدول. . . كما ذكر الله تعالى: ﴿وجاءت سيارة﴾، وعندما أصبح يوسف عليه السلام وزيراً ومتصرفاً على مصر وضع خطة للتعامل مع كافة الأمم والشعوب المجاورة لمصر لتقوية العلاقات التجارية سواء في السبع سنين الرخاء أو في الأزمة الاقتصادية بتزويد القبائل والشعوب بالحبوب والغلال وبالذات في هذه الفترة العصيبة التي تمر بها مصر وكافة بلاد المنطقة. . . قال سبحانه وتعالى مشيراً إلى فضل مصر على جيرانها ومراعاتها للعلاقات الإنسانية:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾

آية (٨٨).

برهن يوسف عليه السلام على ضرورة العلاقات الإنسانية في التعامل وبخاصة وقت الأزمات. . . أي أنه عندما تصاب منطقة ما بالقحط أو تحل بها كارثة أن يكون للعلاقات الإنسانية دورها، لم يبخل أو يقفل يوسف عليه السلام أبواب مصر على نفسها فقط، ألم يرسله للخير؟ فلنتعلم كيف نواجه الأزمات التي قد تمر على الدول. . . فإن أي دولة معرضة لنقص في مواردها الطبيعية وقد تندر تلك الموارد فيجب أن نساعد هؤلاء على حل أزمتهم.

٣ ـ الرخاء:

يعتبر الرخاء من التعبيرات أو المدلولات الاقتصادية الهامة التي وردت في قصة يوسف عليه السلام، فقد ذكرت الآية (٤٣) من سورة يوسف رؤيا الملك...

﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلاتٍ خضر وأخر يابسات يأيها الملأ افتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾ آية (٤٣).

وقد فسر يوسف عليه السلام رؤيا الملك... كما قال الله تعالى: **﴿قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون﴾** آية (٤٧).

وبهذا تنبأ يوسف عليه السلام بوقت الرخاء حيث أشار وفسر لملك مصر أنه سيأتي سبع سنين رخاء على مصر... وبهذا أشار يوسف عليه السلام إلى جانب مهم من تخطيطه للسبع سنوات الرخاء فاتضح ما يلي:

أ ـ الرخاء هو مدلول اقتصادي ينبىء عن رواج في البلاد بزيادة مواردها الاقتصادية التي تعتمد عليها ويعم ذلك أرجاء الحركة الاقتصادية والبلاد عامة حيث تنشط الأسواق والحركة الاقتصادية.

ب ـ وعندما حدث رخاء في السبع سنين السمان في مصر أثناء تولي يوسف عليه السلام زمام الأمور وتحمله المسئولية زادت الموارد العامة من الزراعة وبالتالي انعكس ذلك على زيادة الموارد المالية والحركة الاقتصادية على الناس بنشاط التسويق.

جـ ـ أكد يوسف عليه السلام أنه عندما يحل الرخاء بأمة بفضل الله تعالى يجب على هذه الأمة أن تضع ذلك في الحسبان، كما تضع خطة مستقبلية لأن هذا الرخاء قد لا يدوم كما بينه الله تعالى لنا... إذ تمر السنون وتنقلب الأحوال فدوام الحال من المحال فلربما تحدث كوارث طبيعية فينعكس

ذلك على الموارد الأساسية للدولة... وفي هذا المجال نُذَكِّرُ بقول القائل: إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم.

د ـ فالرخاء عندما يعطيه الله شعباً من الشعوب يجب أن يتذكر هذا الشعب فضل الله عليه وما أعطاه من الخيرات في موارده الطبيعية وأن يضع تخطيطاً مستقبلياً متخذاً من غناه لفقره ومن يومه لغده.

هـ ـ والرخاء هو أحد الموارد التي يعطيها الله عباده، وذلك بوفرة الخيرات للبشر وللأمم فيزداد دخلهم سواء رخاء في الزراعة أو التجارة أو المال أو الموارد الطبيعية أو الصحة.

٤ ـ القحط:

هو كارثة من الكوارث الاقتصادية أشارت إليها قصة يوسف عليه السلام عندما فسر يوسف عليه اسلام رؤيا الملك عن سنوات القحط في قوله تعالى:

﴿ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون﴾ آية (٤٨).

وبهذا نوه يوسف عليه السلام في تفسيره على أن القحط قد يصيب الأمم والشعوب، وعندما نحلل ذلك اقتصادياً نجد ما يلي:

أ ـ القحط هو مدلول اقتصادي يصيب البلاد فيؤثر على مواردها الاقتصادية بالكساد كإصابة مصر بالقحط في السبع سنوات الثانية (من ندرة المياه) فتأثرت الزراعة إذ عم الجفاف.

ب ـ أوضح يوسف عليه السلام عندما فسر لملك مصر رؤياه أنه وضع خطة لأربعة عشر عاماً تبدأ بسبع سنين سمان (رخاء) وسبع سنين أخرى قحط... وعالج يوسف عليه السلام ذلك لاحقاً بالتخطيط السليم في الخطة المستقبلية لدولة مصر.

جـ ـ تعلمنا من قصة يوسف عليه السلام أنه عندما تحل أزمة بأي بلد من البلدان ويمن الله عليها بالرزق والرخاء... يجب أن يوضع ذلك في

الحسبان، وتوضع خطة سليمة وعلاج ناجح للإستفادة من هذا الرخاء مستقبلاً. . . كما فعل يوسف عليه السلام بمصر حين أنقذ شعبها من القحط والأزمات التي حلت به. . . فيجب أن تخطط للمستقبل كي تواجه أي ظروف طارئة من كوارث أو أزمات طبيعية.

ولبيان مدى ما أصاب مصر وما جاورها من القحط نورد بعضاً من آراء المفسرين تصويراً لهذه الأزمة وتفاقمها.

قال الإمام القرطبي[1]:

قال بعض أهل الحكمة: للجوع والقحط علامتان:

إحداهما: أن النفس تحب الطعام أكثر من العادة، ويسرع إليها الجوع خلاف ما كانت عليه قبل ذلك، وتأخذ من الطعام فوق الكفاية.

والثانية: أن يفقد الطعام فلا يوجد رأساً ويعز إلى الغاية، فاجتمعت هاتان العلامتان في عهد يوسف، فانتبه الرجال والنساء والصبيان ينادون الجوع الجوع!!! ويأكلون ولا يشبعون، وانتبه الملك ينادي الجوع الجوع!!! قال: فدعا له يوسف فأبرأه الله من ذلك، فأصبح فنادى يوسف في مصر كلها، معاشر الناس لا يزرع أحد زرعاً فيضيع البذر ولا يطلع شيء، وجاءت تلك السنون بهول عظيم لا يوصف، قال ابن عباس: لما كان ابتداء القحط بينا الملك في جوف الليل أصابه الجوع في نصف الليل، فهتف الملك يا يوسف الجوع الجوع!! فقال يوسف: هذا أوان القحط.

وقال الأستاذ سيد قطب[2]:

أما فعل الجدب فقد أبرزه السياق في مشهد إخوة يوسف، يجيئون من البدو من أرض كنعان البعيدة يبحثون عن الطعام في مصر. ومن ذلك ندرك اتساع دائرة المجاعة، كما ندرك كيف وقفت مصر ـ بتدبير يوسف ـ منها،

---

(١) الإمام القرطبي، سورة يوسف، من آية (٥٢: ٥٧) ص ٣٤٣٨ حتى ٣٤٤٩.
(٢) الأستاذ/ سيد قطب، سورة يوسف، من آية (٥٨: ٦٥) ص ٢٠١٤ ـ ٢٠١٥، ج ١٣.

وكيف صارت محط أنظار جيرانها ومخزن الطعام في المنطقة كلها.

وقال الإمام النسفي[1]:

وباع أهل مصر في سني القحط الطعام بالدراهم والدنانير في السنة الأولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر في الثانية ثم بالدواب في الثالثة ثم بالعبيد والإماء في الرابعة ثم بالدور والعقار في الخامسة ثم بأولادهم في السادسة ثم برقابهم في السابعة حتى استرقهم جميعاً ثم اعتق أهل مصر عن آخرهم ورد عليهم أملاكهم.

وقال العلامة الألوسي[2] في ذلك ما يلي:

وباع أهل مصر في سني القحط الطعام في السنة الأولى بالدراهم والدنانير حتى لم يبق منها شيء، وفي الثانية بالحلى والجواهر، وفي الثالثة بالدواب والمواشي، وفي الرابعة بالعبيد والجواري، وفي الخامسة بالضياع والعقار، وفي السادسة بالأولاد، وفي السابعة بالرقاب حتى استرقهم جميعاً وكان ذلك مما يصح في شرعهم. فقالوا: ما رأينا كاليوم ملكاً أجل وأعظم منه. فقال للملك: كيف رأيت صنع الله تعالى فيما خوّلني كما ترى في هؤلاء؟ فقال الملك: الرأي رأيك ونحن لك تبع.

فقال: إني أشهد الله تعالى واشهدك إني قد اعتقتهم ورددت إليهم أملاكهم.

وجاء في تفسير المنتخب للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية[3]:

واشتد القحط بما حول مصر، ونزل بآل يعقوب ما نزل بغيرهم من الشدة، وقصد الناس مصر من كل مكان. بعد ما علموا من تدبير يوسف للمؤن واستعداده لسنوات الجدب.

---

(١) الإمام النسفي سورة يوسف من آية (٥٢ حتى ٥٧) ص ٢٢٦ حتى ٢٢٨.
(٢) العلامة الألوسي، سورة يوسف، من آية، ٥٢ حتى ٥٧ ص ٢٦٦ حتى ٢٦٧ م ٢.
(٣) المجلس «المنتخب»، سورة يوسف، من آية (٥٨: ٦٥) ص ٣٤١ ـ ٣٤٢.

٥ ـ مياه النيل:

أصاب مصر القحط في عهد يوسف عليه السلام. . . ولما كانت مصر بلدا زراعياً تعتمد على النيل، فقد أثر عدم هطول الأمطار في منابع النيل على جريان مياه النيل، وأصبح الماء لا يكفي أرض مصر الزراعية وربما قل إلى العشر أو أقل بكثير عما كان عليه في الحالات الطبيعية.

في عصر يوسف عليه السلام أصبح ماء النيل نادراً وقليلاً جداً وفروع النيل جفت وأصبح فرع النيل الرئيسي يسير فيه الماء قليلاً جداً عما كان يسير عليه في الأوقات العادية. . . وكان ذلك في فترة السبع سنين العجاف. . . وعالج يوسف عليه السلام هذه الفترة ببناء مستودعات الغلال فيما قبلها من سنوات النماء حتى يدخر لسنوات القحط.

قال تعالى: ﴿قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون﴾ آية (٤٧).

ومن ثم فإن نقص مياه النيل كان السبب الرئيسي في التخطيط لدى يوسف عليه السلام. حقاً إن ماء النيل هو الحياة التي وهبها الله لشعب مصر ومن أجل ذلك برع قدماء المصريين في علوم الري والهندسة وبناء السدود على النيل. . . كل ذلك لحفظ شريان الحياة لمصر ولمستقبلها.

٦ ـ الحياة والهلاك وحكمة الله تعالى في التخطيط:

قال تعالى في سورة الروم(١):

﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾. ولا شك أن الله تبارك وتعالى خلق البشر لكي يعمروا الأرض ويبدءوا فيها حياتهم بكل جوانبها بما فيها الحياة الاقتصادية، ومن ثم أمدنا الله بالوسائل والأسباب وأغدق علينا النعم وما علينا إلا أن نجد ونعمل وفق مخطط علمي. قال الله

(١) الآية ٢٠

تعالى: ﴿ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيهـا معايش...﴾[1]. وفي سورة الحجر يقول سبحانه: ﴿وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين﴾ آية (٢٠).

نعم لقد جلت قدرة الله الخالق البارىء المصـور وكثرت نعمـه ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها...﴾ وأراد الحياة كما أراد الهلاك ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ أمدنا سبحانه وتعالى بوسائل الحياة وأسبابها. إيمـان بالله لا يتزعزع ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله﴾ ﴿إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع﴾ نعم إيمان بالله وعمل من أجل الحياة ﴿إذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ إن نعم الله كثيرة ووسائل الحياة معلومة والعمل من أجل الحياة مطلوب ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ أما الهلاك فمصير المتخاذل الكسول الجاحد الخئون الذي لا يعمل... ألم يؤمن يوسف ومن شايعه من شعب مصر بالله واستغلوا الإمكانات المتاحة للتخطيط من أجل المستقبل فكانت الحياة والحياة الحرة الكريمة؟!!!.

---

(١) الآية ١٠ من سورة الأعراف.

سادسا: علوم التخطيط للدولة

أرشدنا الله تعالى إلى سببية إرسال يوسف عليه السلام إلى الأرض وحكمته في ذلك، حيث علمنا الله تعالى في كتابه العزيز أنه أسكن البشر في الأرض ليتخذوا معايش فيها وأن يشكروه كما ذكر الله تعالى في قوله:

﴿لقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون﴾.
الآية (١٠) من سورة الأعراف.

أرسل الله يوسف عليه السلام إلى مصر وأعطاه النبوة والعلم والحكم، وكذلك مكنه في الأرض حتى أصبح وزيراً ومسئولاً عن مصر وخزائنها...

قال تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾

الايات (٥٤، ٥٥، ٥٦).

١ ـ الخطة المستقبلية البعيدة المدى للدولة:

ألمحت قصة يوسف عليه السلام إلى علوم اقتصادية وتخطيطية أعطاها الله ليوسف عليه السلام، حيث استطاع يوسف عليه السلام تفسير رؤيا

ملك مصر... كما ذكر الله تعالى في قوله:

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾

الآيات (٤٦، ٤٧، ٤٨).

وبعدها بين الله تعالى:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾.

آية (٥٤).

وبعدها بين لنا يوسف عليه السلام أنه النبي والعالم بعلوم الدين والاقتصاد والتخطيط وغير ذلك من العلوم التي أعطاها الله إياه.

ومن هذا المنطلق، طلب يوسف عليه السلام بأن يصير وزيراً لمصر ومخططها للفترة المستقبلية القادمة... كما ذكر في قوله تعالى:

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾.

آية (٥٥).

وكذلك فإن الله تعالى أعطى له من العلم والقوة بأن يرسم الخطة المستقبلية لدولة مصر لإنقاذها من فترة السنين القادمة للأربع عشرة سنة... كما ذكر الله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

آية (٥٦).

وبهذا بدأ يوسف عليه السلام بوضع الخطة العامة المستقبلية للدولة حيث حدد معالمها وهيكلها وهي أربع عشرة سنة الفترة الزمنية حسب تفسير الرؤيا وما علمه ربه من علوم التخطيط حيث قسم خطته العامة المستقبلية إلى قسمين. . .

القسم الأول: الخطة السبعية الأولى للدولة وهي خطة الرخاء والإدخار.

القسم الثاني: وضع الخطة السبعية الثانية وهي وقت القحط والجفاف والحاجة إلى عدالة التوزيع. . .

وبهذا أرشدنا يوسف عليه السلام إلى أنه وضع الخطة العامة المستقبلية للأربع عشرة سنة وهي من علوم التخطيط للدولة في سنين أزماتها ومشاكلها الاقتصادية لحلها بالتخطيط السليم، كما بينه يوسف عليه السلام.

٢ ـ الخطة السبعية الأولى للدولة:

بين يوسف عليه السلام أنه وضع الخطة العامة المستقبلية للدولة بأربع عشرة سنة وهي الهيكل والمدة الزمنية التخطيطية لكل دولة مصر في فترة أزمتها القادمة. . . حيث بدأ بأول مرحلة في التخطيط وهي وضع الخطة السبعية الأولى للدولة. . . كما جاء في قوله تعالى:

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾ آية (٤٧)

ومن هذا أكد يوسف عليه السلام أنه وضع الخطوط العريضة لعلوم التخطيط للدولة وذلك بوضع وتنفيذ الخطة العامة الأولية للسبع سنين لدولة مصر، ووضع الهيكل العام بالتخطيط السليم كما علمه الله تعالى وهي في سني الرخاء السبع بناء مستودعات للقمح والغلال وحشد كل الطاقات الإدارية والبشرية والفنية وخزن المحاصيل الزائدة لكل عام. . . كل ذلك وضعه يوسف عليه السلام في علوم التخطيط لدولة مصر في خطته السبعية الأولى.

٣ ـ الخطة السبعية الثانية للدولة:

أوضح لنا يوسف عليه السلام أنه بعد أن انتهى من التخطيط المستقبلي للدولة لأربع عشرة سنة وانتهت المرحلة الأولى من سني الرخاء والرغد ووفرة المحاصيل الزراعية كما بينها الله تعالى في رؤيا الملك وطبقها يوسف عليه السلام بالتخطيط للخطة السبعية الأولى. . . بعدها بين الله تعالى أنه أتت على مصر السبع سنين العجاف وأن يوسف عليه السلام الذي فسر رؤيا ملك مصر عن الخطة الثانية للسبع سنين القادمة وهي من الخطة العامة المستقبلية للأربع عشرة سنة لدولة مصر. . قال الله تعالى:

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ آية (٤٨).

بعدها بدأ يوسف عليه السلام تطبيق وتنفيذ الخطة العامة الثانية للدولة في الخطة السبعية الثانية وهي سنوات القحط والجفاف، بحيث استفاد يوسف عليه السلام بما زوده الله تعالى، بعلومه الكثيرة التي بينها في علوم التخطيط وبالذات في هذه الفترة العصيبة من القحط وندرة المحاصيل أو عدمها مما يحدث إرباكاً في أي دولة مًا في هذا العالم . . . ولكن يوسف الذي أرسله الله تعالى بالرحمة وعلمه تخطيط الدولة استطاع أن يجتاز المحنة بخطته السبعية الثانية لدولة مصر وذلك بفضل من الله تعالى. . .

٤ ـ الخطة السنوية العامة للدولة:

أكدت لنا قصة يوسف عليه السلام أن التخطيط علم أساسي من علوم الاقتصاد. . . استفاد منه يوسف عليه السلام في وضع الخطة المستقبلية لدولة مصر وانتهاء الخطة السبعية الأولى في سني الرخاء وبعدها أتت الخطة السبعية الثانية زمن القحط والجفاف ونجح يوسف عليه السلام بما آتاه الله من صبر حتى أنقذ مصر. . . فعادت الأمور إلى ما كانت عليه، قال تعالى:

﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾ آية (٤٩).

وعلى ضوء ذلك كله أصبح يوسف العالم الخبير في التخطيط يعلم

ويعطي الخبرة للعاملين الذين اشتغلوا وعملوا في السنين السابقة للأربع عشرة سنة فأصبحوا خبراء في علوم التخطيط للمستقبل حيث تعلموا من يوسف عليه السلام عمل الخطة السنوية للدولة سنة بعد سنة.

٥ ـ السمات التخطيطية في الإسلام لحياتنا الاقتصادية العملية:

أوضحت لنا قصة يوسف عليه السلام أنه استطاع بفضل الله تبارك وتعالى أن يضع الخطة السنوية العامة للدولة وأن يقنن المفاهيم التخطيطية التي طبقها خلال حكمه فينبغي علينا أن نأخذ منها العبرة التي تهدف إليها حكمة الله تعالى مستمسكين بقيم الإسلام ومبادئه وتلك أهم السمات التخطيطية في الإسلام. فقد أصبح يوسف عليه السلام يملك القاعدة الأساسية وهم الرجال المدربون على المنهج العلمي التخطيطي حيث مروا بتجارب خمس عشرة سنة من التنفيذ والتطبيق التخطيطي وأصبح لديهم الخبرة العملية في التخطيط وعلوم اقتصادية جديدة كعلوم التخزين والمستودعات والري وإقامة السدود وحفظ وخزن الحبوب لسنين طويلة إضافة إلى الإيمان بالواحد الأحد والتوكل عليه فينبغي علينا الاستفادة من ذلك في حياتنا الاقتصادية العملية التي نعيشها الآن. فأمة الإسلام بدويلاتها وممالكها يجب أن تتخذ هذا قدوة لها لأنها كانت أولى الأمم التي طبق فيها التخطيط حيث عرفوا كيف يواجهون الأزمات، كل ذلك بفضل من الله عز وجل.

٦ ـ التخطيط للعلاقات الإنسانية:

أوضح لنا يوسف عليه السلام في خطته المستقبلية للدولة في الأربع عشرة سنة التي خطط لها بأنه خطط وطبق العلاقات مع الشعوب والقبائل المجاورة. فقد كانت لمصر علاقات في التجارة الدولية مع الشعوب والأمم في الأوقات العادية التي مرت بمصر.

وخلال الفترة العصيبة التي مرت بها مصر كانت علاقاتها مع الأمم والشعوب والقبائل المجاورة من أهم الأمور التي عني بها يوسف عليه السلام ووضعها في الحسبان وضمنها خطته المستقبلية للأربع عشرة سنة. وبهذا

علمنا يوسف عليه السلام أن أفضل الأسس الوطيدة التي تقوي الروابط بين الأمم تتمثل في التبادل التجاري على أساس إنساني. لقد وطد يوسف عليه السلام خطط العلاقات الإنسانية بتأمين طرق التجارة الدولية.

٧ ـ التخطيط الأمني لحماية الدولة:

علمنا يوسف عليه السلام من علوم التخطيط في خطته المستقبلية للدولة في الأربع عشرة سنة واجتياز المرحلة الأولى في خطة الدولة في السبع سنين الأولى وبعدها قام يوسف عليه السلام بتنفيذ الخطة السبعية الثانية إبان الجفاف والقحط حيث قلت الموارد الاقتصادية وندرت وعم القحط والجفاف كافة المناطق في ذلك الوقت... وبالتالي فإن النفوس حسب حاجتها تضعف وتكثر السرقة واللصوص وقطاع الطرق والغش في الأسواق وينتشر الفساد في الأرض ولكن يوسف عليه السلام تفادياً لذلك وضع ضمن الخطة العامة المستقبلية لدولة مصر التخطيط الأمني في الحسبان لحماية مصر داخلياً وخارجياً.

قال تعالى:

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ آية (٦٧) يوسف.

عندما نتطلع إلى عصرنا الحالي نلاحظ أنه عندما يحدث جفاف في منطقة ما. أو تحدث حروب بين دولتين أو يعم الفقر ويستولي الشيطان الوسواس الخناس على ضعاف النفوس فإنه حسب التعريف الأمني لتلك الفترة من الشعوب التي تمر بها هذه الأزمة تكثر السرقة وينتشر السطو على جميع الموارد الاقتصادية سواء الحكومية منها أو الخاصة.

ومن هذا نتعلم أن أي بلد يصيبها الجفاف أو النقص في المواد الغذائية لا بد أن تتعرض لكثرة السرقات وانتشار اللصوص.

وقد أعلمنا الله تعالى في كتابه العزيز أن سني الجفاف قد عمت المنطقة

وأن يوسف عليه السلام خطط لمخزون القمح للسبع سنوات القادمة... وبهذا فإن عليه الحماية الأمنية لذلك المخزون وإلا ذهب مخططه نتيجة الإهمال في الحماية الأمنية عبثاً.

ومن هنا وضع يوسف عليه السلام المفاهيم التخطيطية العامة الأمنية للدولة لحماية مستودعات القمح التي تعبر شريان الحياة، وحماية الشعب للوصول بمخططه إلى بر الأمان من سني القحط... بفضل الله تعالى القدير وبتخطيط يوسف عليه السلام.

سابعاً: علوم التخطيط والمسئولية

أوضحت لنا قصة يوسف عليه السلام مدى مسئولية الفرد مسئولية شخصية ومدى تحمله لأعباء هذه المسئولية إذ أن ذلك يعتبر من الركائز الهامة التي يهتم بها الاقتصاد.

فقد تحمل يوسف عليه السلام المسئولية الكاملة لإنقاذ شعب مصر من أزمته الاقتصادية... إلا أنه طالب بالسلطات التي تقابل هذه المسئولية وتعينه على تحملها وأداء واجبات الوظيفة مبيناً مؤهلاته التي تؤهله لهذا العمل من علم وخبرة وأمانة.

كما ذكر الله تعالى في قوله:
﴿قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ آية (٥٥) في سورة يوسف.

وبهذا علمنا يوسف عليه السلام أن تحمل المسئولية بأنواعها المختلفة يعتبر من المهام الاقتصادية التي ينبغي على الإنسان المسلم المؤمن أن يتصف بها كما علمنا عليه السلام بعض الأصول في علم الإدارة العامة فيما يتصل بتوصيف الوظائف وشروط شغلها وواجباتها ومسئولياتها.

١ ـ المسئولية في التخطيط تجاه الله تعالى:

استطاع يوسف عليه السلام أن ينجح في إنقاذ شعب مصر لأنه كان باراً بقومه أميناً في عمله متعبداً لربه مخلصاً لله تعالى وحده يدعو إلى دين التوحيد فهو النبي المؤمن الذي تحلى بالصبر منذ ابتلى فأنقذه الله وأصبح مسئولاً

ووزيراً على مصر بما أعطاه الله من علم وحكمة جعلاه أهلًا للمسئولية في نشر دين التوحيد والتخطيط للإنقاذ كما أنقذه الله من قبل. لقد كان الإنقاذ لمصر على يد يوسف بفضل الله لأن يوسف لم يتخل عن مسئوليته تجاه الله وخاصة يوم أن رأى برهان ربه... عاش يوسف عليه السلام حياته يعدل في كل شيء لا يميل إلى الهوى ولا ينزع إلى مطلب شخصي يضر بالمصلحة العامة إنها المسئولية في أسمى صورها تاجها العدل وأساسها الصدق ورائدها الإخلاص والأمانة.

قال الإمام ابن الجوزي عن عدل يوسف عليه السلام[1]:

روى الضحاك عن ابن عباس قال: لما فوض الملك إلى يوسف أمر مصر، تلطف يوسف للناس، ولم يزل يدعوهم إلى الإسلام فآمنوا به وأحبوه، فلما أصاب الناس القحط، نزل ذلك بأرض كنعان، فأرسل يعقوب ولده للميرة، وذاع أمر يوسف في الآفاق، وانتشر عدله ورحمته ورأفته.

وقال الإمام الفخر الرازي[2]:

وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء، وأسلم على يده الملك وكثير من الناس.

وجاء في تفسير الإمام أبي السعود[3]:

وفوض إليه الملك أمره فأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء.

وقال العلامة الألوسي في تفسيره[4]:

فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض إليه الملك أمره وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء.

---

(١) الإمام الجوزي، سورة يوسف من الآية ٥٨: ٦٥ ص ٢٤٦ حتى ٢٥٣.
(٢) الإمام الفخر الرازي، سورة يوسف من الآية ٥٢: ٥٧ ص ١٥٦: ١٦٤.
(٣) الإمام أبي السعود، سورة يوسف من الآية ٥٢: ٥٧ ص ١٨٥: ١٩٧.
(٤) العلامة الألوسي، سورة يوسف من الآية ٥٢: ٥٧ ص ٢٦١: ٢٦٧ م ٢.

٢ ـ مسئولية رئيس الجهاز التخطيطي:

يتضح مما سبق أن يوسف عليه السلام وهو المسئول والوزير الأول للدولة في مصر قد أصبح مسئولاً أمام الله ثم الملك والشعب مسئولية كاملة لإنقاذ مصر من أزمتها الاقتصادية في خطته المستقبلية للدولة... فكان يوسف عليه السلام قدوة لكل رئيس في تحمل المسئولية الكاملة في المرحلة العصيبة التي مرت بمصر أو التي قد تمر بها غيرها في أي وقت من الأوقات.

هذه القدوة تتجلى في وجوب حفاظ رئيس الجهاز على واجباته. فقد جاء في تفسير الطبري لقوله تعالى: ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ معنى ذلك: إني حافظ لما استودعتني عالم بما أوليتني...[1].

وقال الإمام الشوكاني: إني ﴿حفيظ﴾ لما جعلته إلي من حفظ الأموال لا أخرجها من غير مخارجها ولا أصرفها في غير مصارفها، ﴿عليم﴾ بوجوه جمعها وتفريقها ومدخلها ومخرجها[2].

وقال أبو السعود: ﴿إني حفيظ﴾ لها لمن يستحقها ﴿عليم﴾ بوجوه التصرف فيها. وقال الشيخ محمود محمد حجازي: إني حفيظ شديد المحافظة خبير عليم بإدارة السياسة المالية والاقتصادية[3]...

مسئولية الجهاز التخطيطي:

وضع يوسف عليه السلام التخطيط السليم في الأربع عشرة سنة لخطة مصر المستقبلية وكون جهازه الإداري الذي يقوم بتنفيذ الخطة العامة المستقبلية هذه والتي تلتها، وعمل جهاز التخطيط مع يوسف عليه السلام ومن خلال

---

(١) الإمام الطبري في تفسيره لسورة يوسف الآية (٥٥).

(٢) انظر فتح القدير سورة يوسف آية (٥٥).

(٣) انظر تفسير الشيخ/ محمود حجازي للآية (٥٥) من سورة يوسف. وانظر تفسير ابن الجوزي والإمام القرطبي، والنسفى، والإمام ابن كثير، والعلامة الألوسي، وأحكام القرآن لابن العربي والإمام القاسمي، والشيخ/ طنطاوي جوهري في تفسير الآية (٥٥) من سورة يوسف.

الممارسة الفعلية لهذا الجهاز والقدوة الحسنة في يوسف وقدرته على تحمل المسئولية الكاملة أمام الله ثم الملك والشعب. . . أعطى يوسف عليه السلام درساً في علم التخطيط والإدارة لجهازه الإداري عن مدى تحمل الموظف الإداري في عمله للمسئولية الكاملة تجاه الله تعالى ثم رئيسه طبقاً للتسلسل الإداري ووفقاً للبناء التنظيمي ـ ويتجلى هذا الدرس العملي فيما ذكره الإمام ابن الجوزي في تفسيره من قوله: وكان يوسف لا يشبع في تلك الأيام ويقول إني أخاف أن أنسى الجائع[1]. . .

وقال الإمام الفخر الرازي[2]:

وكان لا يبيع لأحد ممن يطلب الطعام أكثر من حمل البعير لئلا يضيق الطعام على الباقين، هكذا رواه صاحب الكتاب والله أعلم.

٤ ـ مسئولية ولي الأمر:

البادي من قصة يوسف عليه السلام أن ملك مصر عندما رأى رؤياه احتار فيها وطلب أن يعاونه كل ذي علم على تفسيرها. . . كما جاء في قول الله تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

آية (٤٣).

ومن هذا يتضح لنا أن الملك وهو ولي الأمر في أرض مصر احتار في رؤياه. . . شعر بأنها تحمل نذير سوء فليتحرك وليتحمل مسئوليته وليبحث عمن يفسرها له. . . فسر يوسف عليه السلام رؤيا الملك موضحاً المشكلة مقدماً

(١) انظر الإمام ابن الجوزي في تفسيره للآيات من ٥٢: ٥٧ من سورة يوسف.
(٢) الإمام الفخر الرازي، سورة يوسف، آية ٥٢: ٥٧، ص ١٥٦: ١٦٤ م ١٨.

الحل من خلال معلومات الرؤيا وبياناتها. . . كما يتضح أن ولي الأمر قد وافق على تعيين يوسف كمسئول أول ووزير لمصر أمام الله ثم أمام ولي الأمر. . . وبالتالي أعطى ولي الأمر كل الإمكانات والموارد المصرية وخزانتها وحرية التصرف الكامل ليوسف عليه السلام في أمور الدولة وفي مقابل هذه السلطات حمله المسئولية الإدارية بجميع متطلباتها وما ذلك إلا لأن يوسف النبي الأمين الصدوق بوسعه أن يتحمل الأمانة. . . قال الله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤﴾.

آية (٥٤)

١ - وجاء في تفسير الطبري(١):

لقوله تعالى: ﴿وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾ أي: قال الملك يعني ملك مصر الأكبر وهو فيها ذكر ابن إسحاق: الوليد بن الريان. حدثنا بذلك ابن حميد قال حدثنا سلمة عنه حين تبين عذر يوسف وعرف أمانته وعلمه قال لأصحابه ائتوني به أستخلصه لنفسي يقول اجعله من خلصائي دون غيري وقوله فلما كلمه يقول فلما كلم الملك يوسف وعرف براءته وعظم أمانته قال له: إنك يا يوسف لدينا مكين أمين أي متمكن مما أردت وعرف لك من حاجة قبلنا لرفعة مكانك ومنزلتك لدينا أمين على ما اؤتمنت عليه من شيء.

٢ - كما جاء في تفسير الإمام الزمخشري(٢):

يقال استخلصه واستخاصه إذا جعله خالصاً لنفسه وخاصاً به ﴿فلما كلمه﴾ وشاهد منه ما لم يحتسب ﴿قال﴾ أيها الصديق ﴿إنك اليوم لدينا مكين﴾ ذو مكانة ومنزلة ﴿أمين﴾ مؤتمن على كل شيء.

---

(١) الإمام الطبري، سورة يوسف، الآية (٥٤ ص ١٢٠ ج ١٢.

(٢) الإمام الزمخشري في الكشاف، سورة يوسف الآية (٥٤) ص ٣٧٦: ٣٧٩.

٣ ـ وجاء في تفسير الإمام القرطبي[1]:

قوله تعالى: ﴿وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي﴾ لما ثبت للملك براءته مما نسب إليه، وتحقق في القصة أمانته، وفهم أيضاً صبره وجلده عظمت منزلته عنده، وتيقن حسن جلاله قال: ﴿ائتوني به أستخلصه لنفسي﴾ فانظر إلى قول الملك أولاً ـ حين تحقق علمه ؛ ﴿ائتوني به﴾ فقط، فلما فعل يوسف ما فعل ثانياً قال: ﴿ائتوني به أستخلصه لنفسي﴾ ﴿إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾.

٤ ـ وجاء في تفسير الإمام النسفي[2]:

﴿وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي﴾ أجعله خالصاً لنفسي ﴿فلما كلمه﴾ وشاهد منه ما لم يحتسب ﴿قال﴾ الملك ليوسف ﴿إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾ ذو مكانة ومنزلة، أمين مؤتمن على كل شيء.

٥ ـ وورد في تفسير الإمام ابن كثير[3]:

يقول تعالى إخباراً عن الملك حين تحقق براءة يوسف عليه السلام ونزاهة عرضه مما نسب إليه قال: ﴿ائتوني به أستخلصه﴾ أي أجعله من خاصتي وأهل مشورتي ﴿فلما كلمه﴾ أي خاطبه الملك وعرفه ورأى فضله وبراعته وعلم ما هو عليه من خلق وخلق وكمال قال له الملك ﴿إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾ أي أنك عندنا قد بقيت ذا مكانة.

٦ ـ وورد في تفسير الإمام أبي السعود[4]:

﴿وقال الملك ائتوني به أستخلصه﴾ أجعله خالصاً ﴿لنفسي﴾ وخاصاً بي ﴿فلما كلمه﴾ أي: فأتوا به، أي: فلما كلمه يوسف إثر ما أتاه فاستنطقه

---

(١) الإمام القرطبي، سورة يوسف، من آية (٥٤) ص ٤٣٨: ٤٤٩.
(٢) الإمام النسفي، سورة يوسف، آية (٥٤) ص ٢٢٦: ٢٢٨.
(٣) الإمام بن كثير، سورة يوسف، آية (٥٤) ص ٤٨١: ٤٨٢.
(٤) الإمام أبي السعود، سورة يوسف، آية (٥٤) ص ٢٨٥: ٢٩٧.

وشاهد منه ما شاهد ﴿قال إنك اليوم لدينا مكين﴾ ذو مكانة ومنزلة رفيعة ﴿أمين﴾ مؤتمن على كل شيء واليوم ليس بمعيار لمدة المكانة والأمانة بل هو آن التكلم والمراد تحديد مبدئهما احترازاً على احتمال كونهما بعد حين.

٧ - وورد في تفسير الإمام الشوكاني(١):

قوله: ﴿وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي﴾ الملك هو الريان بن الوليد لا العزيز كما تقدم، ومعنى ﴿أستخلصه لنفسي﴾: أجعله خالصاً لي دون غيري، وقد كان قبل ذلك خالصاً للعزيز. ﴿قال إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾ ذو مكانة وأمانة بحيث يتمكن مما يريده منه الملك ويأمنه الملك على ما يطلع عليه من أمره، أو على ما يكله إليه من ذلك.

٨ - وورد في تفسير العلامة الألوسي(٢) في تفسيره:

﴿وقال الملك ائتوني به أستخلصه﴾ أجعله خالصاً ﴿لنفسي﴾ وخاصاً بي ﴿فلما كلمه﴾ في الكلام إيجاز أي فأتوا به فلما... إلخ، أي فلما كلم يوسف عليه السلام الملك أثر ما أتاه فاستنطقه ورأى حسن منطقه بما صدق الخبر الخبر ﴿قال إنك اليوم لدينا مكين﴾ ذو مكانة ومنزلة رفيعة ﴿أمين﴾ مؤتمن على كل شيء.

٩ - وقال الشيخ أحمد مصطفى المراغي(٣) في تفسيره:

﴿وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي﴾ أي: وقال الملك أحضروه من السجن إلى بعد أن وفيت له بما طلب: أجعله خالصاً لي وموضع ثقتي فلا يشاركه أحد في إدارة ملكي ولا تكون وساطة بينه وبيني.

﴿فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾ أي: فأتوه فلما كلمه وسمع ما أجاب به، قال له إنك لدينا ذو مكانة سامية، ومنزلة رفيعة، وأمانة تامة، فأنت غير منازع في تصرفك، ولا متهم في أمانتك.

---

(١) الإمام الشوكاني،.. فتح القدير، سورة يوسف، آية (٥٤) ص ٣٣: ٣٦.
(٢) العلامة الألوسي، سورة يوسف، آية (٥٤) ص ٢٦١: ٢٦٧ م ٢.
(٣) الشيخ/ أحمد مصطفى المراغي، سورة يوسف، الآية (٥٤) ص ٣: ٩.

١٠ ـ وقال الشيخ محمد محمود حجازي[1]:

وقال الملك حينما وقف على أمر يوسف بالتفصيل: ائتوني به أجعله خالصاً لي، وموضع ثقتي ومشورتي. فلما حضر يوسف وكلمه الملك، وناقشه ووقف على عقله وحنكته، وأمانته وحسن تصرفه قال له: إنك اليوم عندنا ذو مكانة سامية ومنزلة عالية، وأمانة تامة فأنت من الآن صاحب التصريف بغير منازع في أمر المملكة.

وانظر إلى الملك وعقله حينما علم به قال: ائتوني به، وحينما أجرى التحقيق وظهرت براءته وطول صبره وقوة جلده وكمال عقله قال: ائتوني به أستخلصه لنفسي، فلما ناقشه وكلمه قال: إنك اليوم لدينا مكين أمين.

١١ ـ وقد ذكر الشيخ طنطاوي جوهري[2]:

هذه الأخلاق من عفة وصبر وأمانة وعلم غزير وأناة حملت الملك أن يستخلصه لنفسه أي: يجعله خالصاً له لا يشاركه فيه سواه، وهذا قوله تعالى: ﴿وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي﴾ فلما جاء الرسول إلى يوسف وقال له أجب الملك أجابه وتنظف ولبس ثياباً حسنة ثم قصد باب الملك ودخل عليه وتحدث معه ﴿فلما كلمه﴾ وشاهد منه الرشد والدهاء ﴿قال إنك اليوم لدينا مكين﴾ ذو مكانة ومنزلة ﴿أمين﴾ مؤتمن على كل شيء.

وجاء في كتاب أحكام القرآن للإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص[3]:

قوله: ﴿وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك

(١) الشيخ/ محمد محمود حجازي، سورة يوسف، آية (٥٤) ص ٨٥ ج ١٢.
(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، الشيخ/ طنطاوي، الجزء السابع، الآية (٥٤) ص ٤٨.
(٣) كتاب أحكام القرآن، للإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، ٣٧٠ هـ، الجزء الثالث، الآيات من ٥٢ : ٥٥ من سورة يوسف، دار الكتاب العربي، بيروت. ص ١٧٣، ١٧٤.

اليوم لدينا مكين أمين﴾ هذا الملك لما كان من أهل العقل والدراية لم يرعه من يوسف منظره الرائع البهيج كما راع النساء لقلة عقولهن وضعف أحلامهن وأنهن إنما نظرن إلى ظاهر حسنه وجماله دون علمه وعقله وأن الملك لم يعبأ بذلك ولكنه لما كلمه ووقف على كماله ببيانه وعلمه قال: ﴿إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾ فقال يوسف: ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ فوصف نفسه بالعلم والحفظ وفي هذا دلالة على أنه جائز للإنسان أن يصف نفسه بالفضل عند من لا يعرفه وأنه ليس من المحظور من تزكية النفس.

من كل ما تقدم نستنتج أن واجب ولي الأمر أن يستوثق من علم وخبرة من يقلده أمراً ما من الأمور أو يحمله مسئولية من المسئوليات وأن يراعي الله في اختيار موظفيه وأن يضع الأمانة والعلم والخبرة والصدق وحسن السيرة والسلوك وبراءة الذمة من كل ما يشين الإنسان... على ولي الأمر أن يضع ذلك نصب عينيه عند اختيار من يقلده المسئولية كما يستنتج منه أيضاً أن لولي الأمر الحق في اختبار المرشحين للعمل قبل تعيينهم وأن تكون استعانته بأهل العلم والخبرة لا بأهل الثقة الجوفاء...

٥ - مسئولية الشعب:

خلال الخطة العامة المستقبلية للدولة للأربع عشرة سنة وبجزءيها في الخطة السبعية الأولى للدولة في سني الرخاء وفي الخطة السبعية الثانية للدولة أثناء سنوات القحط والجفاف، وانعكاس ذلك على الاقتصاد المصري بموارده الزراعية وتأثيره بالتالي على جميع الأجهزة والأنشطة الاقتصادية في مصر... في هذه الفترة أرشد يوسف عليه السلام الشعب بنشر الوعي التخطيطي مطالباً إياه بتحمل المسئولية من أجل الحياة.

ومن هذا المنطلق نجح يوسف في خطته، وأعطى الشعب المصري مثلاً حقيقياً لتعاونه المثمر في إنجاز الخطة وتخطي الأزمة، والصبر على الشدائد حتى كتب النجاح لمصر بصبر شعبها ومثابرته وجده واجتهاده.

تحليل علوم التخطيط للدولة على ضوء آيات القرآن الكريم

الرقم	الآية الكريمة	الجانب التخطيطي	الجانب الإداري	الجانب الاقتصادي	الجانب الفني	السورة
٤٣	وقال الملك	ولي أمر مصر وحاكمها والمتصرف الوحيد لها.	المسئولية الإدارية الأولى لولي الأمر أمام الله والأمة والشعب.	الجانب الاقتصادي من المسئوليات الجسيمة لولى الأمر.	بداية البحث عن مفهوم الجوانب الفنية للمشكلة.	يوسف
٤٣	إني أرى	الحلم والرؤيافي تحديد الطلب والحاجة للمشكلة التي رآها (البيانات والمعلومات).	بداية تكوين المسئولية الإدارية والنفسية لتحديد السلوك الإداري لها.	بداية تحديد المشكلة الاقتصادية التي ستحل بالبلاد.	معرفة الجوانب الفنية لبداية المشكلة.	يوسف
٤٣	سبع بقرات	تحديد الخطة السبعية الأولى للدولة بسبع سنوات.	رسم التخطيط الإداري للخطة السبعية.	معرفة مضمون المشكلة الاقتصادية التي ستحل بالبلاد في السبع سنين الأولى.	الصفة الفنية للمشكلة التي ستحل بالبلاد للسبع سنوات الأولى للرخاء لتحديد جوانبها الفنية.	يوسف
٤٣	سمان	لسني الرخاء للدولة في السبع سنوات.	حددت منهج الخطة الإدارية في عصر الرخاء.	معرفة خواص الخطة بالرخاء الاقتصادي للسبع سنوات الأولى.	تحديد هيكل الأهداف الفنية العامة لخطة الرخاء التي ستعم البلاد في السبع سنوات الأولى.	يوسف

٤٣	يأكلهن	الأزمة الاقتصادية الزراعية.	مفهوم الوضع الإداري لتحديد المسئولية الإدارية في تلك الفترة.	تحديد احتياجات الخطة الاقتصادية الزراعية للرخاء الاقتصادي لوضع الهيكل التنظيمي والتخطيطي له.	معرفة الخواص الفنية للرخاء الذي يعم البلاد ونوعية التخطيط له.	يوسف
٤٣	سبع	تحديد الخطة السبعية الثانية للدولة بسبع سنوات.	مفهوم التخطيط في الإدارة لتلك الفترة لوضع منهج إداري تخطيطي لها.	معرفة تحديد خواص الخطة الثانية الاقتصادية بسبع سنين أخرى.	معرفة أهداف ومضمون الجانب الفني للخطة السبعية الثانية لتحديد احتياجاتها.	يوسف
٤٣	عجاف	القحط.	رسم الهيكل العام للخطة الإدارية في زمن القحط.	تعريف الخطة الثانية للصفة والنوع للجانب الاقتصادي لها.	معرفة الهيكل العام الفني للخطة السبعية الثانية لرسم الهيكل العام لها.	يوسف
	وسبع	حددت بسبع سنين لخطة الدولة.	وضع وتحديد الزمن الإدار لتلك الفترة.	معرفة الخطة السبعية الثانية لسبع سنين للأزمة الاقتصادية للقحط لوضع الهيكل التنظيمي الاقتصادي المرسوم لها.	التطبيق الميداني الفني للخطة السبغية الثانية.	يوسف

تحليل علوم التخطيط للدولة على ضوء آيات القرآن الكريم

الرقم	الآية الكريمة	الجانب التخطيطي	الجانب الإداري	الجانب الاقتصادي	الجانب الفني	السورة
٤٣	خضر	الرخاء والانتعاش الاقتصادي	الخطة الإدارية في زمن الرخاء.	تحديد معنى الرخاء لوضع خطة اقتصادية زراعية معينة.	معرفة الجانب التخطيطي الفني للخطة السبعية الأولى بالرخاء لوضع التنظيمات الفنية والتقنية لها.	يوسف
٤٣	وأخر	أي سبع سنين أخرى تليها، وبهذا فإن التخطيط حددت مدته في زمن الرخاء والقحط بخطة مستقبلية مجموعها أربعة عشر سنة.	حددت الخطة الثانية الإدارية بسبع سنين أخرى.	معرفة الخطة الاقتصادية متى تبدأ ومتى تنتهي بأربعة عشرة سنة مقسمة إلى خطة سبعية أولى ومثلها ثانية.	معرفة الجانب التخطيطي الفني للخطة السبعية الثانية بالقحط والكساد لرسم الهيكل الفني التخطيطي	
٤٣	يابسات	قحط وكساد اقتصادي في الزراعة في عدم وفرة مياه النيل الذي يعتبر شريان الحياة الاقتصادية.	الخطة الإدارية في زمن القحط بوضع منهج وأسلوب إداري معين في تلك الفترة.	تعريف الجانب الاقتصادي للسبع سنين الثانية لوضع الهيكل الاقتصادي التنظيمي له.	تحديد خواص الصفة الفنية للسبع سنين الثانية وتحديد احتياجاتها.	يوسف

٤٣	يا أيها الملأ	طلب ولي الأمر وحاكمها من وزرائه وأتباعه الطلب والحاجة إلى توضيح ما رآه	مسئولية ولي الأمر الإدارية في تفسير الجوانب الخاصة بالمشكلة.	معرفة الخطة المستقبلية للأربعة عشر سنين من الرخاء والكساد الاقتصادية.	رسم الخطة العامة للدولة الفنية والمستقبلية للسبع سنين الأولى والثانية وتحديد جوانبها.	يوسف
٤٣	افتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون.	تفسير الرؤيا والتخطيط لأنها مسئولية ولي الأمر تجاه الله لبلده والشعب.	التجاء ولي الأمر لمستشاريه ومقربيه لابداء المشورة في ذلك.	المشورة الاقتصادية لولي الأمر لمعرفة سببية تلك المشكلة وتحديد جوانبها الاقتصادية.	تحديد الجوانب الفنية للخطتين الأولى والثانية لوضع منهج تخطيطي فني.	يوسف

وبالرجوع إلى ما جاء في الاصحاح الحادي والأربعين من باب التكوين عند أهل الكتاب يمكن القول بما يلي:

الرقم	باب التكوين	الجانب التخطيطي	الجانب الاداري	الجانب الاقتصادي	الجانب الفني
١	وحدث من بعد سنتين من الزمان أن فرعون رأى حلماً وإذا هو واقف عند النهر.	بداية معرفة المشكلة التي سيراها في الحلم.	المسئول الأول والمتصرف الوحيد بالبلاد.	المشاكل الاقتصادية من المسائل الهامة التي تحتاج إلى العلاج.	من المواضيع المكملة للجوانب الأخرى.
٢	وهوذا سبع بقرات طالعة من النهر حسنة المنظر وسمينة اللحم. فارتعت في روضة.	تحديد ومعرفة مدة خطة الدولة بسبع سنين.	معرفة مضمون الخطة السبعية الأولى لرسم التخطيط الإداري لها.	معرفة صفة الخطة السبعية الأولى بالرخاء الاقتصادي الذي سيعم على البلاد.	تحديد الجوانب الفنية لرسم الخطة الفنية واحتياجاتها.
٣	ثم هو ذا سبع بقرات أخرى طالعة وراءها من النهر قبيحة المنظر ورقيقة اللحم. فوقفت بجانب البقرات الأولى على شاطىء النهر.	معرفة مدة الخطة السبعية الثانية بسبع سنين أخرى.	مضمون الخطة الإدارية الثانية واختلاف التطبيق الإداري العملي للخطة.	تحديد الأهداف البعيدة الاقتصادية لخطة الدولة السبعية الثانية.	رسم الأهداف الفنية حسب صفة خطة الدولة للسبع سنين الثانية.

٤	فأكلت البقرات القبيحة المنظر والرقيقة اللحم البقرات السبع الحسنة المنظر والسمينة واستيقظ فرعون.	تعريف صفة الخطة السبعية الثانية وحدودها بالقحط والجفاف لتلك الفترة.	رسم الجوانب الإدارية للخطة العامة للدولة حسب جدول زمني مرسوم لها.	رسم الهيكل الاقتصادي لسياسة البلاد في مرحلة الجفاف للسبع سنين القادمة.	رسم الهيكل العام الفني للخطة الثانية للدولة باحتساب المخزون وتقنين واضح لصرف القمح للسبع سنين العجاف.
٥	ثم نام فحلم ثانية. وهو ذا سبع سنابل طالعة في ساق واحد سمينة وحسنة.	معرفة صفة وتحديد خطة السبع سنين الأولى بالرخاء الاقتصادي الزراعي الذي سيعم البلاد.	تحديد رسم التخطيط الإداري للرخاء الاقتصادي الزراعي للسبع سنين الرخاء.	وضع الهيكل الاقتصادي لتحديد سنين الخطة الاقتصادية ورسم حدودها وأبعادها القادمة.	تحديد مضمون الجانب الفني لتلك الفترة.
٦	ثم هوذا سبع سنابل رقيقة وملفوحة بالريح الشرقية نابتة وراءها.	حددت مدة السبع سنين الثانية ومعرفة عدد السنين لتلك الفترة.	رسم التخطيط الإداري لتلك الفترة والأهداف العامة لها.	تحديد الجوانب الاقتصادية للسبع سنين الثانية لرسم الاحتياجات الاقتصادية.	التعاون الجماعي الفني لخطة البلاد للمرحلة الثانية.

وبالرجوع إلى ما جاء في الاصحاح الحادي والأربعين من باب التكوين عند أهل الكتاب يمكن القول بما يلي:

الرقم	باب التكوين	الجانب التخطيطي	الجانب الاداري	الجانب الاقتصادي	الجانب الفني
٧	فابتلعت السنابل الرقيقة السنابل السبع السمينة الممتلئة. واستيقظ فرعون وإذا هو حلم.	معرفة مضمون السبع سنين الثانية لرسم الجانب التخطيطي لها ومدى احتياجات تلك الفترة.	تحديد صفة الخطة الإدارية للسبع سنين الثانية لخطة الدولة ورسم معالمها الإدارية.	رسم الهيكل الاقتصادي التنفيذي العملي للسبع سنين الثانية العجاف بالتنظيم وتطبيق الخطة الاقتصادية لها.	تحديد معالم الخطة الفنية للسبع سنين العجاف وتحديد صفة الجوانب الفنية والأخرى لتلك المرحلة.

فهرس المبحث الخامس

منهج يوسف عليه السلام في التخطيط للدولة

أولاً: الخطة المستقبلية البعيدة المدى للدولة:

تفسير قوله تعالى:

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

الآية (٤٦).

١ ـ أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة.

٢ ـ الجانب الاقتصادي والتخطيطي لها.

ثانياً: الخطة المستقبلية البعيدة المدى للدولة:

١ ـ السمات الإسلامية للتخطيط البعيد المدى للدولة.

٢ ـ الخطوات العلمية للتخطيط المستقبلي للدولة:

أ ـ تعريف الخطة.

ب ـ معرفة المشكلة وتحديد الخطة.

جـ ـ خواص الخطة.

د ـ صفة ونوع الخطة.

هـ - أهداف ومضمون الخطة.

و - وضع الهيكل العام للخطة.

ز - تحديد احتياجات الخطة.

حـ - وعي الشعوب بالتخطيط.

٣ - الأنشطة الاقتصادية للخطة المستقبلية للدولة.

٤ - السمات الإسلامية للخطة المستقبلية للدولة:

الرزق - التوكل على الله - العمل الصالح - المسئولية - التعاون - الصدق - الحماية - الوفاء.

٥ - تحليل الخطة المستقبلية من آيات القرآن الكريم:

٦ - نتيجة الخطة المستقبلية للدولة في قصة يوسف عليه السلام:

الملامح الإسلامية في علوم التخطيطات الاقتصادية:

أ - علوم التقسم الإداري لمصر.

ب - علوم المستودعات والتخزين.

جـ - العلوم المالية والمحاسبية.

د - علم التقسيم للخطة والتقنين.

هـ - علم الأمن والحماية.

و - العلوم الزراعية.

ز - التجارة بين الشعوب.

ح - العلوم الإدارية.

ط - علم الري ومقاييس النيل.

ي - مراقبة الدولة للأسواق.

ك - المراقبة الأمنية للدولة.

٧ - النتائج الاقتصادية العائدة من نجاح الخطة العامة للدولة:

أ - فضل الله.

ب - تجاه الفرد.

جـ ـ تجاه الدولة.
د ـ الثروة القومية.
هـ ـ الإنتاج الوطني.
و ـ القوى البشرية.
ز ـ العلاقات الإنسانية.

المبحث الخامس

منهج يوسف عليه السلام في التخطيط للدولة

أولاً ـ الخطة المستقبلية البعيدة المدى للدولة:

تفسير قوله تعالى:

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

الآية (٤٦).

١ ـ أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة.

جاء في تفسير الإمام الطبري[1]:

حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال: حدثنا محمد بن نور عن معمر عن قتادة ﴿افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف﴾ قال أما السمان فسنون منها مخصبة وأما السبع العجاف فسنون مجدبة لا تنبت شيئاً.

وقوله: ﴿لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون﴾ يقول كي أرجع إلى الناس فأخبرهم لعلهم يعلمون يقول ليعلموا ما سألتك عنه من الرؤيا.

(١) الإمام الطبري، سورة يوسف من آية (٤٦) ص ١٣٣: ١٣٧ م ١ ج١٢.

وقد جاء في تفسير الإمام الزمخشري[1]:

. . . فقال: ﴿يوسف أيها الصديق﴾ أيها البليغ في الصدق، وإنما قال له ذلك لأنه ذاق أحواله وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما أول ولذلك كلمه كلام محترز فقال: ﴿لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون﴾ لأنه ليس على يقين من الرجوع، فربما احترم دونه، ولا من علمهم فربما لم يعلموا، أو معنى ﴿لعلهم يعلمون﴾ لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك.

وجاء في تفسير الإمام الجوزي[2]:

فقال يوسف للساقي: قل للملك: هـذه سبع سنين مخصبات، ومن بعدهن سبع سنين شداد، إلا أن يحتال لهن.

وقد جاء في تفسير الإمام الفخر الرازي[3]:

أما قوله تعالى: ﴿لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون﴾ فالمراد لعلي أرجع إلى الناس بفتواك لعلهم يعلمون فضلك وعلمك.

وقد ورد في تفسير الإمام النسفي[4]:

فقال: ﴿يوسف أيها الصديق﴾ أيها البليغ في الصدق وإنما قال له ذلك لأنه ذاق وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما أول ﴿أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس﴾ إلى الملك وأتباعه ﴿لعلهم يعلمون﴾ فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك.

---

(١) الكشاف، سورة يوسف من آية (٤٦) ص ٣٢٢: ٣٢٤.

(٢) الإمام بن الجوزي، سورة يوسف من آية (٤٦) ص ٢٢٦: ٢٣٥.

(٣) الإمام الفخر الرازي، سورة يوسف من آية (٤٦) ص ١٤٧: ١٥٠ انظر تفسير: الإمام القرطبي، سورة يوسف من آية (٤٦) ص ٣٤٢٧: ٣٤٣٣.

(٤) الإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، سورة يوسف من آية (٤٦) ص ٢٢٣: ٢٢٤. انظر تفسير:

وقد جاء في تفسير الإمام أبي السعود[1]:

﴿يوسف أيها الصديق﴾ أي: أرسل إليه فأتاه فقال: يا يوسف ووصفه بالمبالغة في الصدق حسبما شاهده وذاق أحواله وجربها لكونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس أنواره فهو من باب براعة الاستهلال ﴿افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾ أي في رؤيا ذلك وإنما لم يصرح به لوضوح مرامه بقرينة ما سبق من معاملتها ولدلالة مضمون الحادثة عليه حيث لا إمكان لوقوعه في عالم الشهادة أي بين لنا مآلها وحيث عاين علو رتبته عليه السلام في الفضل عبر عن ذلك بالإفتاء.

قال: ﴿لعلي أرجع إلى الناس﴾ أي: إلى الملك ومن عنده أو إلى أهل البلد، كان السجن في الخارج كما قيل فأنبئهم بذلك ﴿لعلهم يعلمون﴾ ذلك ويعملون بمقتضاه أو يعلمون فضلك ومكانك مع ما أنت فيه.

وقد قال الإمام القاسمي[2]:

﴿يوسف أيها الصديق﴾ أي: أرسل إليه، فأتاه فقال: يا يوسف، ووصفه بالمبالغة في الصدق، حسبما ذاق أحواله، وتعرف صدقه في تأويل رؤياه، ورؤيا صاحبه، حيث جاء كما أول، لكونه بصدد اغتنام معارفه، فهو من باب براعة الاستهلال ﴿أفتنا في سبع بقرات يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾ أي: في تأويل رؤيا ذلك.

وفي قوله: ﴿أفتنا﴾ مع أنه المستفتي وحده إشعار بأن الرؤيا ليست له، بل لغيره ممن له ملابسة بأمور العامة، وأنه في ذلك معبر وسفير، كما آذن بذلك قوله: ﴿لعلي أرجع إلى الناس﴾ أي: إلى الملك ومن عنده ﴿لعلهم

= الإمام بن كثير، سورة يوسف، من آية (٤٦) ص ٤٨٠ م ٢ ج ٣١.

(١) الإمام أبي السعود، سورة يوسف من آية (٤٦) ص ٢٨٠: ٢٨٣ ج ٤

(٢) الإمام القاسمي، سورة يوسف من آية (٤٦) ص ٢٢٩: ٢٣٤. انظر تفسير: الإمام الشوكاني فتح القدير، سورة يوسف من آية (٤٦) ص٣٠: ٣٥ م ٢. والعلامة الألوسي، سورة يوسف (٤٦) ص ٢٤٨: ٢٥٧ م ١٢ ج ٣.

يعلمون﴾ أي ذلك: فيعملون بمقتضاه، أو يعلمون فضلك ومكانك من العلم، فيطلبوك ويخلصوك من محنتك.

وقد جاء في تفسير الشيخ محمد محمود حجازي[1]:

يوسف أيها الصديق الكريم أفتنا في رؤيا رآها الملك تتلخص في سبع بقرات سمان أكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات، أخبرني فإنك بتأويل الرؤيا من العالمين.

أفتنا في رؤية الملك فإني أرجو أن يحقق لك الخروج من السجن وانتفاع الملك بحسن رأيك لعلي أرجع إلى الناس أهل الحل والعقد بتأويلك الدقيق وخبرك الوثيق لعلهم يعلمون مكانتك، وما أنت عليه من ذكاء وعقل، وحكمة وإلهام.

قال يوسف مؤولاً الرؤيا: ومبيناً لهم ما يجب عمله لتلافي الخطر الذي تشير له الرؤيا بالرمز مع اعتزازه برأيه وأن له صفة الآمر الناصح.

وقد ورد في تفسير الأستاذ سيد قطب[2]:

أفتنا في سبع بقرات سمان... ونقل ألفاظ الملك التي قالها كاملة، لأنه يطلب تأويلها، فكان دقيقاً في نقلها، وأثبتها السياق مرة أخرى ليبين هذه الدقة أولاً، وليجيء تأويلها ملاصقاً في السياق لذكرها.

ولكن كلام يوسف هنا ليس هو التأويل المباشر المجرد، إنما هو التأويل والنصح بمواجهة عواقبه. وهذا أكمل.

---

(١) الشيخ / محمد محمود حجازي، سورة يوسف، الآية (٤٦) ص ٨٢ : ٨٤ج ١٢ انظر تفسير: الشيخ / أحمد مصطفى المراغي، سورة يوسف، الآية (٤٦) ص ١٥٢ : ١٥٦ ج ١٢.

(٢) الأستاذ/ سيد قطب، سورة يوسف، الآية (٤٦) ص ١٩٩٢ : ١٩٩٤. انظر تفسير: المنتخب، سورة يوسف، الآية (٤٦) ص ٣٣٨ : ٣٣٩.
الجواهر في تفسير القرآن الكريم، الشيخ/ طنطاوي جوهري، الجزء السابع، تفسير سورة يوسف آية (٤٦) ص .

٢ ـ الجانب الاقتصادي والتخطيطي:

من خلال أقوال المفسرين في هذه الآية نجد أن الساقي وقد لمس الخبرة في يوسف في مجال تفسير الرؤى استعان به في تفسير رؤيا الملك أي أن الاستعانة إنما تكون بأهل الخبرة إضافة إلى أن ثقة الساقى في يوسف دفعته إلى أن يستشف أهم صفاته وهي الصدق ومن ثم كان الساقي أميناً في نقل المعلومات والبيانات عن رؤيا الملك ليوسف، ولا ريب أن المعلومات والبيانات هي الدعامة الأولى لكل تخطيط أو خطة حتى تسلم النتائج وتتحقق الأهداف.

ثانياً: الخطة المستقبلية البعيدة المدى للدولة

تضمنت قصة يوسف عليه السلام علماً من العلوم الاقتصادية التي أنارت لنا طريق حياتنا ألا وهو علم التخطيط...

ومن ذلك نرى أن يوسف عليه السلام طبق علم التخطيط بأقسامه وفروعه حيث أوضح يوسف عليه السلام أنه ليس مفسراً ومخططاً فحسب بل أيضاً مطبقاً ومنفذاً لما قاله ووضع خطته، فهو النبي العالم بعلوم الرؤيا والتخطيط على أساس مما آتاه الله وزوده به من تلك العلوم...

حدد يوسف خطته المستقبلية لمصر بأربع عشرة سنة وعندما تضم السنة الأخيرة تعتبر الخطة المستقبلية خمس عشرة سنة، ولكنا نفسر خطته بأربع عشرة سنة في الخطة المستقبلية للدولة البعيدة المدى وليست خمس عشرة سنة حيث أن السنة الأخيرة اعتبرت خطة سنوية عادية للدولة.

وعندما نحلل الخطة المستقبلية للدولة للأربع عشرة سنة البعيدة المدى تحليلاً اقتصادياً يتبين لنا: أن التخطيط له فروع كما أسلفنا في بحثنا هذا حيث أن يوسف عليه السلام أوضح من خلال التخطيط النظري والتطبيق العملي أن علوم التخطيط لها فروع كما وصفها في الخطة السبعية الأولى للدولة، وكذلك الخطة السبعية الثانية، إلى أن اجتازت مصر مرحلة الجفاف بفضل الله العلي القدير، كما خطط يوسف عليه السلام للعلاقات الدولية بين الشعوب المجاورة وكذلك وضع تخطيطاً فنياً لحماية الدولة، كل هذه العلوم أوضحها لنا يوسف عليه السلام نظرياً وعملياً... كما أوضح أن للدولة تخطيطاً سنوياً، وكذلك تخطيطاً بعيد المدى... كما يبين لنا أن يوسف عليه السلام قد ألمح إلى أن

للتخطيط مفهومه وتعريفاته وحدوده، وأن على الدولة أن تضع الخطة السنوية لها وأن تضع خططاً بعيدة المدى.

١ ـ السمات العامة للتخطيط البعيد المدى للدولة:

أوضح يوسف عليه السلام أن الدولة تضع ضمن خطتها تخطيطاً بعيد المدى وذلك من خلال تفسيره في الخطة لرؤيا الملك التي ذكرت في هذه الآية:

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

الآية (٤٣).

فقد استطاع يوسف عليه السلام بفضل الله تعالى أن يفسر رؤيا الملك وأن يضع الخطة للسبع سنين الرخاء وللسبع سنين العجاف أي وضع الخطة المستقبلية للدولة البعيدة المدى بأربع عشرة سنة... كما قال الله تعالى:

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

الآيتين (٤٧، ٤٨).

بين لنا يوسف عليه السلام شرح خطته للأربع عشرة سنة البعيدة المدى وتفصيلها أنه بعد انتهاء سني الجفاف وإنقاذ مصر وشعبها والشعوب المجاورة لها من الهلاك والموت أنه بعد انفكاك أزمة القحط وضع التخطيط للخطة السنوية للدولة...

قال الله تعالى:

﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

الآية (٤٩).

وبذلك أوضح يوسف عليه السلام أنه في وقت الأزمات والمشكلات العامة التي تواجه الدولة ينبغي أن توضع خطة بعيدة المدى وفقاً للهيكل والمخطط العام للخطة الذي سبق تحديدها بأربع عشرة سنة وهي كما يلي:

أ - تبين من سياق قصة يوسف عليه السلام أن الدولة تضع الميزانية السنوية العامة وهي ميزانية تخطيطية توضح فيها مدى احتياجات الدولة حسب إمكاناتها وموازناتها. . . .

كما أن خاصية هذه الموازنة للدولة أنها توضع في الأوقات غير الطبيعية أي تواجه أزمات اقتصادية كما وضح ذلك في رؤيا الملك من سني رخاء إلى سني عجاف. . . هذه الميزانية توضح الموارد والمصروفات ولا تشكل أي عقبات للدولة غير متوقعة، وبهذا توضع الميزانية السنوية العامة للدولة على هذه الأسس والنظم.

ب - بين لنا يوسف عليه السلام من علوم التخطيط أنه وضع التخطيط لدولة مصر في الخطة السبعية الأولى والثانية وهي خطة بعيدة المدى توضع حسب برنامج معين كل سنة لها جدولها الخاص بها، وذلك لحل الأزمة الاقتصادية. . . وقد بين لنا يوسف عليه السلام أنه بعد انتهاء خطته السبعية الأولى والثانية وضع الخطة السنوية للدولة.

جـ - وبهذا أكد يوسف عليه السلام أن علم التخطيط البعيد المدى للدولة ضروري ومكمل للخطة السنوية العامة للدولة حيث أشار يوسف عليه السلام أن مصر البلد الزراعي الذي يعتمد على النيل والذي بدوره يحدث الرخاء بكثرة مياهه وغزارتها وينعكس ذلك على المحاصيل الزراعية. . . ينبغي أن يحدد لمصر تخطيط بعيد المدى لمواجهة ما قد يحدث من جفاف ونقص مياه النيل لئلا تقع كارثة قد تؤدي إلى الهلاك والموت. . . ولهذا بين لنا يوسف عليه السلام أهمية التخطيط البعيد المدى في جميع الأوقات للدولة التي تعيش في رخاء أو قد تصاب بالجفاف وتتعرض لظروف غير عادية فينبغي أن توضع لها خطة بعيدة

المدى حسب إمكاناتها ومواردها من أجل حياة أفضل وذلك بفضل الله وما أعطاه الله من موارد طبيعية.

د - كذلك أوضح يوسف عليه السلام أهمية التخطيط البعيد المدى فيما يختص بالعلاقات الدولية مع الدول المجاورة لمصر من شعوب وقبائل خاصة في وقت الجفاف. كان يوسف عليه السلام يتعامل مع الشعوب بالتبادل الدولي التجاري بإعطائهم الغلال والحبوب من مستودعات مصر في وقت الجفاف... وذلك مما علمه الله من علوم التخطيط البعيدة المدى في وقت الأزمات بأن يكون رؤوفاً رحيماً وعوناً للبشر في أزماتهم لا أن يكون أنانياً قاسياً بل يكون عطوفاً ويعطي الآخرين مما رزقه الله، وذلك من خلال خطته البعيدة المدى للدولة.

هـ - أوضح يوسف عليه السلام بأنه يوجد تعاون دولي بين الشعوب بعضها البعض سواء في وقت الرخاء أو الكساد والأزمات الاقتصادية وذلك حسب مخططه للخطة السبعية البعيدة المدى للدولة.

٢ ـ الخطوات العلمية والعملية للتخطيط المستقبلي للدولة

تعريف الخطة:

كل خطة لها تعريفها الخاص بها، أما علم التخطيط البعيد المدى أو المستقبلي للدولة فهو تخطيط علمي على أسس مدروسة حسب موارد وإمكانيات كل دولة.. وتستطيع أي دولة أن تضع سياستها التخطيطية، وتحدد مشاكلها ومواردها الإنتاجية في كافة المجالات لتطبيق خطة معينة لها جوانبها وهيكلها الخاص... وعلى سبيل المثال الخطة الزراعية التي وضعها يوسف عليه السلام احتاجت إلى بناء مستودعات لتخزين الحبوب لمواجهة سني القحط خلال الأزمة واعتمدت على البيانات الخاصة بالموارد والإمكانات المادية والبشرية التي يمكن استغلالها وتوظيفها توظيفاً علمياً للإستفادة بها في أمر مستقبلي.

ومن هذا المنطلق تعلمنا من يوسف عليه السلام أن الخطة المستقبلية البعيدة المدى للدولة يمكن أن تنطبق على المجال الزراعي أو الصناعي أو التعديني أو أية مشاريع كبرى قد تحتاج إلى تخطيط لسنوات في المستقبل يتم تنفيذها على ضوء الإمكانيات المتاحة لمصلحة الدولة... ومن ثم لمصلحة الشعب. على أن كل خطة ذات خطوات. أولى هذه الخطوات: توفر البيانات من مصادرها الأساسية وضرورة صدقها ثم يلي جمع هذه البيانات تبويبها وتحليلها والإستفادة بها في وضع الخطة رجاء أن يتحقق الأمل المنشود منها بمشيئة الله في المستقبل الذي يخطط له... ولكل خطة زمنها ومراحلها وخواصها وصفاتها وأهدافها... إلخ حسب نوعها والحاجة إليها ونوع المشكلة أو الأزمة المتوقعة.

فالخطة المستقبلية للدولة التي وضعها يوسف عليه السلام وحددها بمدة زمنية بلغت أربع عشرة سنة، وتمثلت في الخطة السبعية الأولى والتي شملت التخطيط والبناء والتجهيز... أما الخطة السبعية الثانية فتضمنت توزيع الغلال

والحبوب في سنوات القحط التي واجهت مصر... ومن ذلك نستطيع تحليل الخطوات العلمية والعملية التي وضعها يوسف عليه السلام لتنفيذ الخطة بعيدة المدى والتي أشارت إليها الآيتان (٤٧، ٤٨) من سورة يوسف:

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾

ومن ذلك:

أ ـ معرفة المشكلة وتحديد الخطة:

يتطلب الأمر تحديد المشكلة التي تواجه البلد أولاً لعمل الدراسات اللازمة لهذه المشكلة ومن ثم توضع الخطة المستقبلية وتحدد المدة التي تحتاجها للتنفيذ والتطبيق واختيار الوقت المناسب لإعداد وتنفيذ المشروعات التي لها أولوية من حيث الأهمية... وفق جدول زمني مستقبلي كخطة يوسف عليه السلام الزراعية المستقبلية للأربعة عشر عاماً.

ب ـ خواص الخطة:

لكل خطة خواص معينة... ويتوقف ذلك على مؤشرات الأحداث الهامة التي قد تتعرض لها الدولة... وكون الخطة المطلوبة تتعلق بالمجال الزراعي أو الصناعي أو التعديني أو الصحي... إلخ، ومن ثم ينبغي الإهتمام بخواص الخطة التي سيتم على أساسها إعداد المشروعات المقترحة وصولاً إلى النتائج المستهدفة.

جـ ـ صفة ونوع الخطة:

يتوقف نجاح كل خطة مستقبلية على تحديد صفتها ونوعها لتنفيذها سواء دينية أو صناعية أو ثقافية أو تعليمية أو إدارية بوضع الأسس اللازمة والكفيلة لتنفيذها بطريقة صحيحة سليمة... وعليه فإن أية خطة مهما كان نوعها أو

صفتها تتطلب خطة إدارية بمعنى: وضوح الاختصاصات وسلامة الجهاز ونقائه واستعداد كل لتحمل مسئولياته على نحو ما سلف. ولا يتأتى ذلك إلا بالإيمان بالله والعمل... فعلى سبيل المثال كانت الخطة التي وضعها يوسف عليه السلام زراعية احتاجت منه إلى بناء مستودعات لتخزين الغلال والحبوب وتجنيد كافة القوى البشرية لتنفيذ المشروعات المطلوبة في المدة المحددة لها...

د ـ أهداف ومضمون الخطة:

أكد لنا يوسف عليه السلام عندما وضع الخطة المستقبلية للدولة البعيدة المدى لمصر أن كلمة خطة لها أهداف ومضمون، وعلى ضوء ذلك يتحدد مصير هذه الخطة... وقد كان هدف يوسف عليه السلام إنقاذ شعب مصر والدول المجاورة من المجاعة والهلاك نتيجة لسنوات القحط التي تعرضت لها الدولة... ومن ثم اهتم يوسف عليه السلام بمضمون خطته فأقام المستودعات اللازمة لحفظ الحبوب والغلال واحتفظ بجميع موارد الدولة وإمكاناتها وطاقاتها سواء كانت بشرية أم طبيعية واستخدامها استخداماً أمثل وبذلك استطاع تحقيق هدفه بفضل الله تبارك وتعالى ثم بخطته الناجحة...

هـ ـ وضع الهيكل العام للخطة:

بعد أن أكمل يوسف عليه السلام الخطوات السابقة وحدد خطته... وعرف طريقه الصحيح لتنفيذها... قام بوضع الهيكل العام للخطة ومن ثم قسمها إلى خطة سبعية أولى وخطة سبعية ثانية... كما وضع برنامجاً محدداً يقوم بتنفيذه كل سنة... حتى يكتمل التطبيق النهائي لخطته وفقاً للهيكل العام الذي التزم بتنفيذه. ومن هنا جاء دور المتابعة الميدانية للتنفيذ المرحلي للوقوف على ما تحقق من المستهدف ومعرفة المشاكل التي قد تعترض التنفيذ للعمل على تلافيها أولاً بأول.

و ـ تحديد احتياجات الخطة:

كل خطة تحتاج إلى إمكانيات مادية وبشرية لتطبيقها ولتنفيذها، عرف

يوسف عليه السلام ذلك فعمل على تجنيد كافة القوى البشرية والقوى العاملة فنياً وإدارياً مع الاستعانة بجميع الإمكانات والموارد الطبيعية، كما اهتم يوسف عليه السلام بتوفير الأمن والحماية اللازمة لتنفيذ خطته على الوجه الأكمل.

ز ـ وعي الشعوب بالتخطيط:

بعد الانتهاء من الخطوات العلمية والعملية السابقة تحتاج كل خطة مستقبلية إلى وعي الشعب بها... لأن هذا الوعي أو هذا الإدارك والفهم لحقيقة الأمور وإلقاء الضوء على المشكلات التي تواجه الدولة أي دولة... ثم إيضاح كافة الجهود التي تبذلها الدولة من أجل رفع مستوى الشعب وإنقاذه من أي مشكلة تواجهه... وتفادي الأزمات الاقتصادية أو الزراعية أو الصناعية... كل ذلك يحتاج إلى شعب واعٍ يساهم بإمكاناته وقدراته في إنجاح أي خطة مستقبلية بعيدة المدى تضعها الدولة... لخير ورفاهية الشعب... كل خطة تحتاج إلى إعلام صادق لا إعلان أجوف هذا الإعلام الصادق من شأنه تبصير الشعب بواجبه حتى يعرف كل دوره فيمضي فيه دون لف أو دوران، فالإعلام مرآة وهل تنقل المرآة إلا صورة الواقع هي كما هي عليه اللهم إلا إذا طمست.

٣ ـ الأنشطة الاقتصادية للخطة المستقبلية للدولة:

أوضحت لنا قصة يوسف عليه السلام أنه من خلال هذه الخطة التي وضعها في مصر ازدادت الأنشطة الاقتصادية، وكذلك العلوم الاقتصادية والفنية والخبرات العملية من خطته... ومن هنا فإننا نستطيع التوصل إلى التحليل الاقتصادي عن مدى الحركة الاقتصادية في تنفيذ أي خطة مستقبلية للدولة البعيدة المدى.

أ ـ عند تطبيق الخطة السبعية الأولى والثانية استدعى ذلك تجنيد كثير من القوى البشرية للتنفيذ كما نوهنا لذلك فيما سبق.

ب ـ استخدم يوسف القوى البشرية في بناء المستودعات للغلال لحفظها للسنوات القادمة واستلزم ذلك التخطيط علوماً جديدة أو التوسع فيها كالعلوم الزراعية ونشاطاتها أو التجارية، كما كانت هناك حاجة إلى العلوم المالية والمحاسبية، وذلك لضبط المخزون من القمح سنوياً والمنصرف منه حسب الخطة الموضوعة وفقاً للجدول الزمني الخاص بالخطة العامة للدولة، كما نشطت الجوانب الإدارية في مسئولية الإدارة أثناء فترة القحط، وسيظهر هذا واضحاً في مجال علم التقسيم والتقنين.

جـ ـ لقد برع المصريون في علوم المستودعات والتخزين وعلوم الري ومقاييس النيل... كل هذه العلوم الفنية ذات العلاقة الوثيقة بالإقتصاد قدمها لنا يوسف عليه السلام من خلال خطته الاقتصادية التي انبثقت من الخطة العامة للدولة فأثرت الحركة الاقتصادية والعلمية في البلاد. وكان لذلك كله أثره الفعال في تشغيل القوى البشرية وتنشيط الحركة الاقتصادية والجهاز الإداري والتخطيطي في الدولة.

د ـ ومن خلال ذلك أرشدنا يوسف عليه السلام إلى أنه عند تطبيق الخطة المستقبلية للدولة البعيدة المدى...

عند تنفيذ المخطط العام لأي مشروع تزداد الحركة الاقتصادية والوعي الاقتصادي بين الناس وذلك للمصلحة العلمية لهم، وأنه من

الممكن أن تبرز علوم جديدة كما سنبين ذلك لاحقا. . . إذ يستدعي ذلك توفر خبرات معينة في جميع المجالات التي تنفذ الخطة. . . كل هذه الأنشطة الاقتصادية منها أو التخطيطية أو غير ذلك تكتسب من خلال العمل الجدي في تطبيق الخطة المستقبلية للدولة البعيدة المدى.

٤ ـ السمات الإسلامية للخطة المستقبلية للدولة:

وإذا كنا قد سبق أن تحدثنا في مبحث سابق عن السمات والأخلاقيات الإسلامية في التخطيط الفردي وهو تخطيط قد يهدف صالح الفرد أو مجموعة مصغرة فإنه لمن باب أولي أن يقسم التخطيط العام للدولة بتلك السمات والأخلاقيات التي أشرنا إليها فيما سبق إضافة إلى ما يلي من سمات.

بين الله تعالى في سورة يوسف عليه السلام علوماً إسلامية لتكون نظاماً أساسياً لنا ولحياتنا اليومية بكل جوانبها ولنتخذها عبرة وعظة لتخطيطنا في الحياة اليومية والمدى البعيد. فمن الخطة المستقبلية للدولة البعيدة المدى التي وضعها وطبقها يوسف عليه السلام في إطار الخطة ذات الأربع عشرة سنة المستقبلية لمصر من أجل تفادي الأزمة التي تمر بها مصر من القحط. وقفنا على بعض المفاهيم والمدلولات الاقتصادية ذات السمات الربانية التي ساعدت يوسف عليه السلام في تنفيذ خطة بعيدة المدى... ومنها:

الـرزق:

هو من النعم التي يمنحها الله عز وجل عباده... فالله سبحانه هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء... ففي سورة العنكبوت وغيرها من السور...

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾.
الآية (٦٢)

وفي سورة الذاريات:

﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ الآية (٢٢).

وقد وعد الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم مغفرة ورزقاً كريما... ففي سورة الحج:

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾.
الآية (٥٠).

أما فيما يختص بقصة يوسف عليه السلام... فقد رزقه الله عز وجل مكانة

كبيرة ومنصباً ذا شأن رفيع بمصر... وذلك لأمانته وإيمانه وصبره... كما جاء في قوله تعالى:

﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

الآيتان ٥٥، ٦٥ من سورة يوسف.

وقوله تعالى:

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

الآية ١٠١ من سورة يوسف.

من هذا تعلمنا أن الله تبارك وتعالى يعطي الرزق بغير حساب فهو رازق كل الناس...

فالرزق في الدنيا هبة ونعمة من الله عز وجل يمنحه من يشاء من عباده بغير حدود، ولا يكون الرزق إلا بالعمل **﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾** فالسعي مطلوب والإدخار للمستقبل ضروري.

ولهذا خطط يوسف عليه السلام لتخزين الحبوب والغلال في المستودعات تحسباً لما سيواجه مصر من سنين عجاف...

وقد نجح يوسف عليه السلام بفضل الله تبارك وتعالى من الاستفادة من رزق الله تعالى وتوزيع الحبوب بالعدل والقسطاس فانتعشت بذلك التجارة.

التوكل على الله:

التوكل على الله تبارك وتعالى كلمات قليلة لها مدلول كبير وهام في حياة كل

مسلم مؤمن... وهذه الكلمات ذكرت في القرآن الكريم على لسان بعض الرسل والأنبياء... وقد وعد الله تبارك وتعالى المتوكلين عليه بالجزاء الحسن وأنه سبحانه يحبهم... ومن أحبه الله فقد سعد بالدارين...

ففي سورة آل عمران:

﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾.

الآية (١٥٩).

كما ذكرت سورة الطلاق:

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾.

الآية (٣).

والمتوكل على الله لا يقربه الشيطان... فقد ذكر في سورة النحل:

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ ﴾.

الآيتين (٩٨ ـ ٩٩).

وقد أمر الله عز وجل نبيه ورسوله محمداً ﷺ بالتوكل على الله... وقد ذكر ذلك في أكثر من سورة في القرآن الكريم... ومنها على سبيل المثال لا الحصر... الآيتان الكريمتان (٣، ٤٨) من سورة الأحزاب:

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣ ﴾.

﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٤٨ ﴾.

وفي قصة يوسف عليه السلام مواقف جليلة... تختص بنبي الله يعقوب أو يوسف عليهما السلام...

وقد نجح يوسف عليه السلام في جميع الخطط التي وضعها سواء أكانت مستقبلية بعيدة المدى أم سبعية أولى أم ثانية.. كما وفّق في تحمل المسئولية الكبيرة التي ألقيت عليه كوزير للخزانة في مصر... وغير ذلك من المواقف لأنه متوكل على الله عز وجل... أما نبي الله يعقوب... فلم يتطرق اليأس إلى قلبه، بعد أن كذب عليه أبناؤه ولفقوا له قصة أكل الذئب يوسف عليه السلام... وطلب من أبنائه عدم اليأس من روح الله، وشكا حزنه إلى الله عز وجل... الذي علمه ما لم يعلم به أبناؤه... ومن ثم أخذ بالأسباب وتوكل على الله قال تعالى:

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾. الآية (٦٧) سورة يوسف.

وهكذا فإن الإنسان قد يتعرض في حياته اليومية لمشاكل اقتصادية في الأسواق... أو فيما يختص بالبيع أو الشراء... أو ما يتعلق بالأمور المالية أو الصناعية أو الزراعية... فيجب عليه أن يعمل كل ما يرضي ربه سبحانه وتعالى... وبعدها يتوكل عليه... فهو القادر الوهاب الرزاق العزيز الحكيم...

العمل الصالح:

اقترن العمل الصالح بالإيمان... فالمؤمن الذي يرجو لقاء ربه... يرجو رحمته ويخاف عذابه... ويطمع في المغفرة والجزاء الحسن... ويتوب إلى ربه... وينيب إليه... ويسعى جاهداً إلى أن ينال رضاه... هذا المؤمن بلا شك من المؤمنين المفلحين.. فالعمل الصالح طريق الخير.. والتقوى والعمل الصالح يؤديان إلى الفوز بالجنة... والنجاة من

النار في الآخرة... والفوز بحياة طيبة في الدنيا... فقد قال جل شأنه:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

الآية (٩٧) سورة النحل

وهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم توضح الجزاء والمثوبة على العمل الصالح.

<u>ففي سورة غافر الآية (٤٠)</u>

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

ولقد تمكن يوسف عليه السلام بإيمانه وعمله الصالح وتوفيق الله عز وجل من وضع خططه...

فأرشدنا عليه السلام أن نجاح التخطيط لا يتأتى إلا بالعمل الصالح من كل أفراد الشعب سواء من المخطط نفسه أو من جهازه الإداري والأمني والفني وتعاون الشعب...

ومن ثم فإن العمل الصالح والإيمان الصادق شرطان أساسيان لتولي المسئولية فعندما علم ملك مصر بأمانة يوسف عليه السلام وأنه يحرص على أداء العمل الصالح اختاره لتولي المسئولية الكبرى وأصبح وزيراً للمالية... قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾.

الآية (٥٤) سورة يوسف.

فما أحوج الإنسان المسلم المؤمن إلى التمسك بالعمل الصالح... فالعمل الصالح طريق الخير والنجاح والفلاح، فبالعمل الصالح يستطيع التاجر

أن يشق طريقه وسط الصعاب والعقبات ويحقق ما يصبو إليه من ربح حلال. . .

أما العمل السيء، فإنه يؤدي بصاحبه إلى الحاجة والهلاك وقد أحس يعقوب عليه السلام بما ارتكبه أبناؤه نحو أخيهم من عمل سيء كما ذكرت الآية

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾. الآية (١٨) سورة يوسف.

وهكذا تؤكد لنا آيات القرآن الكريم في قصة يوسف وغيرها. . . أن العمل الصالح والإيمان بالله وحده هما الطريق الموصل إلى الجنة والفوز في الدارين.

ومن نافلة القول أن ننوه إلى ما كتبه بعض المفسرين حول صلاح يوسف عليه السلام. . . قال الإمام ابن الجوزي[1] ما يلي:

فقال يعقوب: يا بني، إنه قد بلغني أن بمصر ملكاً صالحاً، فانطلقوا إليه وأقرئوه مني السلام، وانتسبوا له لعله يعرفكم.

وقال العلامة الألوسي[2]:

فقال لهم: يا بني بلغني أن بمصر ملكاً صالحاً يبيع الطام فتجهزوا إليه واقصدوه تشتروا منه ما تحتاجون إليه فخرجوا حتى قدموا مصر.

وقال الشيخ المراغي[3]:

وكان قد حل بآل يعقوب ما حل بأهلها فدعا أبناءه ما عدا بنيامين فقال لهم يا بني قد بلغني أن بمصر ملكاً صالحاً يبيع الطعام فتجهزوا إليه واقصدوه واشتروا منه ما تحتاجون إليه فخرجوا حتى قدموا مصر.

المسئولية:

تحمل يوسف عليه السلام المسئولية الكاملة للخطة المستقبلية لدولة

(١) الإمام الجوزي، سورة يوسف، ص (٥٨ حتى ٦٥) ص ٢٤٦ حتى ص ٢٥٣.

(٢) العلامة الألوسي، سورة يوسف، من الآية (٥٨ حتى ٦٥) ص ٧ حتى ص. ١٢ م ٢ ج ١٣.

(٣) الشيخ/ المراغي، سورة يوسف، من الآية (٥٨ حتى ٦٥) ص ٩ حتى ١٥ م ٥ ج ١٣.

مصر خلال الأربع عشرة سنة في تخطيطها البعيد المدى حيث أخذ على عاتقه كل المسئولية الكاملة في هذه الفترة العصيبة من الرخاء والقحط وطلب من الملك أن يكون منفذاً لما قاله في رؤيا الملك لا مجرد مفسر ومخطط فقط.

قال تعالى:

﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝٥٥﴾.

الآية (٥٥) سورة يوسف.

وبهذا قدم لنا يوسف عليه السلام درساً إسلامياً عن تحمل المسئولية حيث تحمل يوسف عليه السلام المسئولية الكاملة عن هذه الفترة وما بعدها أعطانا درساً إدارياً في كيفية نجاح الخطة من خلال إدارته الحكيمة.

وبين لنا السمات الإسلامية من الصبر والأمانة والصدق والثقة بالنفس بتطبيقه لكلام الله وتحمل المسئولية.

وقد ورد في باب التكوين بشأن قصة يوسف عليه السلام في تحمله مسئولية إدارة دولة مصر في خطته المستقبلية ما يلي[1]:

ثم قال فرعون ليوسف بعدما أعلمك الله كل هذا ليس بصير وحكيم مثلك. أنت تكون على بيني وعلى فمك يقبل جميع شعبي. إلا أن الكرسي أكون فيه أعظم منك. ثم قال فرعون ليوسف انظر قد جعلتك على كل أرض مصر. وخلع فرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف. وألبسه ثياب بوص ووضع طوق ذهب في عنقه. وأركبه في مركبته الثانية.

التعـاون:

يعتبر التعاون على جميع المستويات الإدارية جزءاً لا يتجزأ من العناصر التطبيقية للخطة المستقبلية للدولة إذ أنه بتعاون ملك مصر مع يوسف عندما

(١) الأصحاح الحادي والأربعون، باب التكوين من رقم ٣٩ حتى ٤٣ ص ٧٠.

أعطاه المسئولية الكاملة والحرية في التصرف... كما جاء في قول الله تعالى:

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾. الآية (٥٤) سورة يوسف.

وكما ذكر في قوله سبحانه:

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾.
الآية (٥٦) سورة يوسف.

تمكن يوسف عليه السلام من اختيار الإداريين والفنيين ليطبقوا خطته المستقبلية مع موظفيه في جو من التعاون المستمر...

كان هذا التعاون جزءاً لا يتجزأ من الخطة البعيدة المدى وتوقف عليه نجاحها...

وبتعاون الشعب أمكن يوسف تقسيم الغلال عليه في خطته المستقبلية... وبالذات في هذه الفترة العصيبة.

وهكذا فإن مبدأ التعاون الذي أرساه يوسف يعتبر نموذجاً طيباً للسمات الإسلامية الاقتصادية تجسد في تعاون الشعب مع يوسف عليه السلام وولي الأمر.

الصدق:

هو أحد الصفات الإسلامية الحميدة التي ينبغي أن يتحلى بها كل مسلم مؤمن... ويرتبط الصدق بالإخلاص والأمانة... والصبر، وقد وعد الله سبحانه وتعالى الصادقين بأن لهم الجزاء والمغفرة والرحمة...

ففي سورة الأحزاب الآية (٢٤):

﴿ ... اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾.

الآية (٢٤) سورة الأحزاب.

وقد ذكرت كلمة الصادقين وكلمة الصديق في الآيات الكريمة من سورة يوسف:

﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

الآية (٢٧) سورة يوسف.

﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

الآية (٤٦) سورة يوسف.

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾.

الآية (٥١) سورة يوسف.

من كل ذلك يتضح أن يوسف عليه السلام كان صادقاً فلم يجرفه تيار الدنيا بمباهجها أو ملذاتها... بل قاوم وصبر... واستعان بالله عز وجل...

والصدق عامل أساسي في النجاح للخطة المستقبلية للدولة البعيدة المدى...

كما قرر يوسف عليه السلام عن نفسه أنه كان صادقاً في معاملاته وخطته وتطبيقها فيما حكاه القرآن الكريم إذ يقول سبحانه:

﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

الآية (٥٩) من سورة يوسف.

كان يوسف عليه السلام يتعامل مع إدارييه وفنييه بالصدق والأمانة فهو القدوة الحسنة أمام جميع هؤلاء...

وفي مجال العلاقات بين الرئيس ومرءوسيه أكد يوسف عليه السلام أن الصدق هو أحد دعائم هذه العلاقات وهو الأساس في الخطة بعيدة المدى.

فالإنسان أياً كان موقعه من المسئولية... سواء فيما يتعلق بوضع الخطة أو بتنفيذها... أو المعاملات الأخرى لدى التاجر والصانع والزارع... إلخ يحتاج إلى الصدق... فينبغي على الإنسان المسلم أن يكون صادقاً مع ربه عز وجل... وبذلك يصبح صادقاً مع عملائه... وينجو بنفسه من عذاب الضمير... فالصدق هو الملاذ... وهو النجاة... وهو الخير والفلاح...

الحماية:

عندما كان يوسف عليه السلام ينفذ خطته المستقبلية البعيدة المدى... استطاع بفضل الله وتوفيقه أن يخطط أيضاً لوضع أسس حماية الدولة من الأخطار التي تهددها سواء الاعتداء على حدودها الخارجية أو من عبث اللصوص وقطاع الطرق خاصة وأن مصر والمنطقة بأكملها قد اجتاحتها فترة حرجة...

لقد أكد لنا يوسف عليه السلام أن الحماية الاقتصادية ضرورية وهامة خاصة إذا كانت تتعلق بقوت الشعب إذ أن الدولة إذا لم تهتم بحماية ذلك فإن الخطة الموضوعة ستصبح بلا فائدة... بل مجرد حبر على ورق...

الوفاء:

يعتبر الوفاء من السمات ذات المدلولات الاقتصادية التي ساعدت يوسف عليه السلام في تنفيذه الخطة المستقبلية للدولة، فيوسف عليه السلام

كان وفياً لله تعالى حيث لم يخن رسالة ربه ولم ينسها... بل ظل وفياً مخلصاً لها، كيف لا؟ وقد قال عنه ربه سبحانه:

﴿... إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

الآية (٢٤) من سورة يوسف.

على أن تصرفات الملك أثبتت أنه عليه السلام وفيٌّ أمين ومن ثم جعله المسئول عن مصر لأنه وفيٌّ وأمين وصدوق... كما ذكر الله تعالى:

﴿...قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾.

الآية (٥٤) من سورية يوسف.

فالوفاء أحد السمات الإسلامية الأساسية التي يجب أن تتوافر في الشخص المسئول عن الدولة أو الإداريين والفنيين الذين يتعاونون معه بأن يتحلوا بصفة الوفاء من ناحية الأمانة التي ألقيت على عاتقهم بشخصيتهم الاعتبارية في الدولة لأن كل فرد عامل في كيان الدولة يعتبر مسئولاً أمام الله ثم ولي الأمر وأمام الشعب.

٥ ـ تحليل الخطة المستقبلية البعيدة المدى للدولة على ضوء المعلومات والبيانات وعلى ضوء ما تقدم وما نوه عنه القرآن الكريم

الرقم الآية	الآية الكريمة	الجانب التخطيطي	الجانب الإداري	الجانب الاقتصادي	الجانب الفني	السورة
٤٦	يوسف أيها الصديق.	الخبير العارف بعلوم الرؤيا والتخطيط المستوفى لاشتراطات التأهيل للعمل.	العارف والمتعلم للخطة العامة للدولة وتحمله المسئولية الإدارية الكاملة.	المعرفة للخطة المستقبلية البعيدة المدى للسبع سنين الأولى للرخاء الاقتصادي والسبع السنين الثانية للكساد الاقتصادي الذي سيعم البلاد.	المخطط للتطبيق الميداني الفني للسبع سنين الأولى والثانية.	يوسف
	افتنا في	حكمة الله في تعليم يوسف حتى أصبح يفسر ويخطط حسبما علمه الله.	العارف بالتطبيق الإداري لخطة الدولة للأربع عشرة سنة.	العارف بتطبيق الجوانب الاقتصادية لخطة الدولة ووضع الهيكل العام للخطة.	الملم بالتفاصيل لمضمون الخطة الفنية للدولة.	يوسف
	سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات.	مقدمات الخطة المستقبلية البعيدة المدى للدولة وبياناتها.	معرفة الخطة العامة للدولة لتحديد مضمون وصفة الجانب الإداري لها.	معرفة المشكلة الاقتصادية للبلاد لرسم ونوع وصفة الهيكل الاقتصادي التنظيمي لها.	التنويه بالأهداف الفنية للخطة العامة للدولة المستقبلية.	يوسف

رقم الآية	الآية الكريمة	الجانب التخطيطي	الجانب الإداري	الجانب الاقتصادي	الجانب الفني	السورة
		حددت الخطة السبعية الأولى الرخاء بسبع سنين من معرفة ونوع الخطة وخواصها.	معرفة المضمون الإداري للخطة السبعية الأولى لرسم الهيكل العام.	معرفة المضمون الاقتصادي للخطة السبعية الأولى لتحديد احتياجات الخطة الاقتصادية.	تحديد الصفة الفنية للخطة السبعية الأولى.	يوسف
	يأكلهن سبع عجاف.	حددت الخطة السبعية الثانية القحط بسبع سنين أخرى في خواصها وصفتها وأهداف مضمونها.	معرفة المشكلة وتحديد الخطة الإدارية المراد تطبيقها.	رسم الجوانب الاقتصادية لتلك السنين السبع العجاف بنظام محاسبي تقنيني لمخزون القمح.	رفع التقارير الفنية عن مخزون القمح حسب الخطة المرسومة لها.	يوسف
	وسبع سنبلات خضر.	حددت السنوات السبع الأولى بالرخاء الاقتصادي للزراعة من تحديد الهيكل العام بصفة ونوعية تلك الخطة.	معرفة وضبط الجوانب الإدارية لتطبيق الاستعداد الزمني الإداري لتلك المرحلة.	تطبيق النظام الاقتصادي التقنيني السنوي للسبع سنوات الرخاء لتوفيره في مستودعات القمح سنوياً حسب الخطة المرسومة.	معاملة المخزون من القمح سنوياً بمستودعات القمح فنياً حسب الخطة الفنية الموضوعة لتلك المرحلة.	يوسف

	وأخر يابسات	حددت السنوات السبع الثانية بالجفاف والقحط الاقتصادي للزراعة بندرة مياه النيل وبهذا حددت الهيكل العام لتحديد احتياجات الخطة.	مراعاة صرف القمح في خطة إدارية سنوية ضمن الخطة العامة وبنظام محاسبي إداري دقيق.	وضع الهيكل الاقتصادي للخطة السبعية الثانية بنظام محاسبي تقنيني سنوي حسب الخطة العامة.	دراسة فنية حسابية سنوية لمخزون القمح حسب الاحتياجات المرسومة لها.	يوسف
	لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون.	مسئولية ولي الأمر تجاه الشعب والدولة في وضع الحلول حسب المسئولية الكاملة التي أعطاها الله له في الأرض في ملك بلده.	معرفة وتحديد الجانب الإداري.	معرفة التعاريف الاقتصادية عن السنوات السبع الأولى والثانية.	معرفة الجوانب الفنية وتحديد المشكلة العامة لها.	

واستكمالاً لتحليلنا السابق حول رؤيا الملك كما وردت عند أهل الكتاب نقول:

الرقم	باب التكوين	الجانب التخطيطي	الجانب الإداري	الجانب الاقتصادي	الجانب الفني
١٧	فقال فرعون ليوسف إني كنت في حلمي واقفاً على شاطىء النهر.	بداية تعريف الأزمة التي ستحل على دولة مصر في الحلم.	بداية القلق لولي الأمر على تفسير الحلم.	محاولة ولي الأمر معرفة حلمه للأزمة الاقتصادية.	الحلم الذي رآه ولي أمر أقلقه وأزعجه.
١٨	وهو ذا سبع بقرات طالعة من النهر سمينة اللحم وحسنة الصورة فارتعت في روضة.	معرفة المشكلة وتحديدها بسبع سنوات رخاء.	تحديد الجانب الإداري للسبع سنين الرخاء بوضع الإشراف والتطبيق العملي الإداري.	معرفة السبع سنين الرخاء التي ستمر على أرض مصر لوضع مضمون وأهداف الخطة الاقتصادية.	السبع سنين الرخاء لها جوانب فنية تطبيقة من ضمن الخطة العامة للدولة.
١٩	ثم هو ذا سبع بقرات أخرى طالعة وراءها مهزولة وقبيحة الصورة جداً ورقيقة اللحم. لم انظر في كل أرض مصر مثلها في القباحة.	ومن ثم تأتي سبع سنوات أخرى قحط وكساد في الأرض.	المراقبة والملاحظة الإدارية التنظيمية الدقيقة للخطة الإدارية الثانية.	تحديد أهداف الخطة الاقتصادية للسبع سنين الثانية بوضع الهيكل الاقتصادي العام للخطة لتطبيقها.	السبع سنين القحط لها جوانب فنية دقيقة تطبيقية في إطار الهيكل العام لخطة الدولة.

٢٠	فأكلت البقرات الرقيقة والقبيحة البقرات السبع الأولى السمينة.	تمر على مصر سبع سنين رخاء أخرى قحط أي أربعة عشر سنة تحتاج إلى وضع هيكل تخطيطي لكل منها.	مسئولية يوسف عليه السلام والجهاز الإداري بتطبيق الجانب الإداري للسنين السبع الأولى والثانية.	معرفة صفة ونوع الخطة للأربع عشرة سنة الأولى والثانية لوضع الأهداف ومضمون الجانب الاقتصادي لكل منهما.	المسئولية الكبرى بتطبيق جوانب الخطة الفنية والمتابعة لها في السنوات السبع الرخاء والقحط.
٢١	فدخلت أحوامها ولم يعلم أنها دخلت في أجوافها. فكان منظرها قبيحاً كما في الأولى. واستيقظت.	معرفة السنين السبع القحط وأبعادها بعمل التخطيط العام للدولة.	الجانب الإداري لسنين القحط يحتاج إلى التطبيق العملي بالإشراف والمراقبة.	سنين القحط السبع من الجوانب الاقتصادية التي تحتاج إلى تحديد الاحتياجات الاقتصادية لتمر البلاد من الأزمة الاقتصادية.	وضع الحدود الفنية لسني القحط بالتطبيق العملي.
٢٢	ثم رأيت في حلمي وهوذا سبع سنابل طالعة في ساق واحدة ممتلئة وحسنة.	تمر على مصر سبع سنين رخاء في اقتصادها الزراعي لتحديد مضمون التخطيط للدولة.	الجانب الإداري لسنين الرخاء يحتاج إلى سلوك إداري إشرافي معين.	معرفة سنين الرخاء بوضع هيكل اقتصادي فيه صفة ونوع الخطة.	تحديد مفهوم الجانب الفني لسني الرخاء.
٢٣	ثم هوذا سبع سنابل يابسة رقيقة ملفوحة بالريح الشرقية نابتة وراءها.	وبعدها تمر سبع سنين قحط وقد حددت صفة الخطة الثانية.	أما سنين القحط فإن الجانب الإداري يحتاج إلى تطبيق عملي دقيق بنظام معين.	الجانب الاقتصادي في السبع سنين القحط يحتاج إلى رسم الاحتياجات الاقتصادية للبلاد.	تحديد احتياجات الجانب الفني لسني القحط السبع.

الرقم	باب التكوين	الجانب التخطيطي	الجانب الإداري	الجانب الاقتصادي	الجانب الفني
٢٤	فابتلعلت السنابل الرقيقة السنابل السبع الحسنة. فقلت للسحرة ولم يكن من يخبرني.	معرفة السنين السبع الأولى والثانية للأربع عشرة سنة بتحديد احتياجات التخطيط لكل منهما.	اختلاف التطبيق الإداري لسنين الرخاء والقحط فكل يحتاج إلى أسلوب إداري معين.	تحديد الهيكل العام لمضمون الخطة الاقتصادية للسنين السبع الرخاء والقحط.	اختلاف التطبيق العملي للجانب الفني للسنين السبع الرخاء والقحط.
٣٣	فالآن لينظر فرعون رجلا بصيراً وحكيماً ويجعله على أرض مصر.	معرفة المشكلة وتحديد جوانبها بأسلوب علمي تخطيطي.	بالعلم والخبرة والمعرفة الإدارية وضح الأسلوب السليم.	المعرفة والخبرة الاقتصادية من تفسير ووضع المنهج الاقتصادي للبلاد في تلك الأزمة الاقتصادية.	بالتعليم والخبرة وفضل من الله على يوسف عليه السلام تم تحديد جميع الجوانب الفنية والتخطيطية الاقتصادية.
٣٤	يفعل فرعون فيوكل نظاراً على الأرض ويأخذ خمس غلة أرض مصر في سبع سني الشبع.	التطبيق العملي لسني الرخاء التخطيطي بتحديد صفة ونوع الخطة في تلك الفترة.	تطبيق علم النظام الإداري بتقسيم مصر إدارياً بالتنفيذ الخطة الإدارية العامة.	تحديد ومعرفة الجانب الاقتصادي الإحصائي الحسابي الاقتصادي بوضع نسبة المخزون سنوياً.	تحديد كمية المخزون ونسبيته بحساب دقيق على قواعد وأسس فنية سليمة.

٣٥	فيجمعون جميع طعام هذه السنين الجيدة القادمة ويخزنون قمحاً تحت يد فرعون طعاماً في المدن ويحفظونه.	تحديد الثروة القومية للمخزون العام المأخوذ من سني الرخاء لصرفها في سني القحط بتخطيط سياسة تخطيطية بتقسيم زمني للخطة العامة	تطبيق النظام الإداري الحسابي الإحصائي بالتقنين حسب الخطة العامة.	وضع الجانب التخطيطي الاقتصادي برسم الهيكل العام للخطة في نظام المستودعات والتخزين والعلوم المالية والمحاسبية الدقيقة.	الوعي العام للتخطيط الفني ومسئولية الشعب والجهاز الفني المخطط.
٣٦	فيكون الطعام ذخيرة للأرض لسبع سني الجوع التي تكون في أرض مصر فلا تنقرض الأرض بالجوع.	وضع التخطيطات الأمنية والحماية الاقتصادية للبلاد وبالذات لسني القحط.	المراقبة والإشراف الإداري للدولة وأسواقها والحماية العامة للدولة لمداخل مصر وموانئها لحماية مستودعات القمح لسني القحط.	تحديد الجانب الاقتصادي لتوزيع مخزون القمح على مصر والشعوب المجاورة لها بوضع الأهداف العامة الاقتصاديه لها.	نتيجة التعاون الجماعي من ولي الأمر ورئيس الجهاز التخطيطي والشعب وتطبيق الجوانب الفنية ونجاح الخطة.
٣٧	فحسن الكلام في عيني فرعون وفي عيون جميع عبيده.	التخطيط الحكيم وفضل الله على يوسف وتفسيره للخطة العامة للدولة للأربع عشرة سنة الأولى والثانية.	تحديد الهدف العام الإداري من رسم الهيكل الإداري العام للخطة المرسومة لها.	تحديد الخطتين الاقتصادية السبعية الأولى بالرخاء بتخزين القمح والثانية بالتقنين السنوي لصرف المخزون بخطة اقتصادية حكيمة.	الوعي العام للدولة لتطبيق الجوانب الفنية المساعدة للخطة العامة للدولة.

الرقم	باب التكوين	الجانب التخطيطي	الجانب الإداري	الجانب الاقتصادي	الجانب الفني
٣٨	فقال فرعون لعبيده هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله.	معرفة وإيمان ولي أمر مصر بقدرة يوسف عليه السلام في التخطيط.	إعطاء التخويل والأمر الإداري بأن مكن يوسف عليه السلام الرجل الإداري والمسئول الأول بمصر.	شعور ولي الأمر أن الله أمر يوسف عليه السلام بالقدرة على التخطيط والاقتصاد.	معرفة ولي الأمر أهمية يوسف عليه السلام ومعرفته ودرايته للتفسير والجوانب الفنية الأخرى.
٣٩	ثم قال فرعون ليوسف بعدما أعلمك الله كل هذا ليس بصير وحكيم مثلك.	اعتراف ولي الأمر بقدرة يوسف عليه السلام بأمور تخطيط الدولة.	تفسير وحل المشكلة رؤيا الملك واعتراف ولي أمر مصر بحكمة وقدرة يوسف عليه السلام في إدارة أمور الدولة.	تلقيب ولي الأمر ليوسف عليه السلام بالحكمة فهو الذي عالج وخطط وعالج الجانب الاقتصادي لأزمة مصر.	الإنسان الحكيم ملم بجميع الأمور ويعطي قراراته بحكمة وتعقل، وبهذا فإن يوسف عليه السلام أثبت ذلك.
٤٠	أنت تكون على بيتي وعلى فمك يقبل جميع شعبي. إلا أن الكرسي أكون فيه أعظم منك.	تخويل يوسف عليه السلام الأمور التخطيطية للبلاد لإنقاذها من الأزمة.	أصبح يوسف عليه السلام المسئول الإداري الأول بمصر بسلم إداري هرمي وملك مصر رئيسه.	تخويل ولي الأمر ليوسف عليه السلام برسم وتحديد الخطة الاقتصادية للبلاد.	الاستعداد للجوانب الفنية لتطبيق الخطة العامة المستقبلية للدولة.

٤١	ثم قال فرعون ليوسف انظر. قد جعلتك على كل أرض مصر.	أصبح يوسف المخطط والمسئول الأول أمام الله وولي أمر مصر والشعب.	إن ولي أمر مصر والإداري الوحيد والأول فيها يعطي يوسف عليه السلام المسئولية الكاملة الإدارية.	تطبيق الخطة الاقتصادية السبعية الأولى والثانية لإنقاذ مصر.	تحديد الخطة الفنية من أهداف الخطة العامة للدولة.
٤٢	وخلع فرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف.	إعطاء يوسف عليه السلام السلطة التخطيطية والمسئولية لمصر.	ولي أمر مصر ذو السلطة الإدارية الأولى يخول يوسف عليه السلام المسئولية الإدارية الكاملة.	أصبح يوسف عليه السلام مسئولاً أمام الله ومن ثم ولي الأمر والشعب لإنقاذ البلاد من محنتها الاقتصادية.	المسئولية الفنية التابعة للخطة العامة للدولة أصبح يوسف عليه السلام المسئول الأول عنها.
٤٧	وأثمرت الأرض في سبع سني الشبع بحزم.	تطبيق تخطيط الدولة للسبع سنين الرخاء بالوفر والاقتصاد في مستودعات القمح في المدن.	بدأت المرحلة الإدارية الأولى لتنفيذ الخطة العامة للدولة.	بدأت بتطبيق الخطة الاقتصادية الأولى السبعية في سني الرخاء.	وبدأ الجهاز الفني بتطبيق الجانب الفني للخطة.
٤٨	فجمع كل طعام السبع سنين التي كانت في أرض مصر وجعل طعاماً في المدن. طعام حقل المدينة الذي حواليها جعله فيها	التخطيط للتقسيم لمخازن القمح في المدن حسب التقسيم العام لمصر إلى عدة مخازن.	التطبيق الإداري العملي للمحاسبة والإحصاء لجمع محصول القمح.	في نهاية السبع سنوات تم إكمال الخطة الاقتصادية في سنين الرخاء وذلك فضل من الله وبركاته.	تحقيق الأهداف العامة للخطة بتطبيق الجهاز الفني للخطة المرسومة لها.

الرقم	باب التكوين	الجانب التخطيطي	الجانب الإداري	الجانب الاقتصادي	الجانب الفني
٤٩	وخزن يوسف قمحاً كرمل البحر كثيراً جداً حتى ترك العدد إذ لم يكن له عدد.	نتيجة التقسيم الإداري لمصر توفر القمح بالبلاد لسد حاجة البلاد للمرحلة الثانية.	بالحساب والإحصاء جمع ما جمع في مخازن القمح بمدن مصر حسب الخطة الإدارية التنفيذية.	انتهاء مدة الخطة الاقتصادية بتطبيق البنود والأهداف العامة لها.	تتابع تنفيذ الخطة الفنية ونجاح أهدافها العامة.
٥٣	ثم كملت سبع سني الشبع الذي كان في أرض مصر.	تتابع تخزين القمح سنوياً حسب الخطة المرسومة وفق منهج تخطيطي سليم.	وسنة بعد أخرى حتى أكملت السنين السبع ثم خزن جميع القمح بمستودعاتها وفق الخطة الإدارية المخططة لها.	انتهاء الخطة الاقتصادية العامة الأولى للدولة وفق المنهج التخطيطي المرسوم لها.	أكملت الخطة الفنية التابعة للخطة العامة للدولة بتحقيق أهدافها العامة.
٥٤	وابتدأت سبع سني الجوع تأتي كما قال يوسف. فكان جوع في جميع البلدان. وأما جميع أرض مصر فكان فيها خبز.	تنفيذ الخطة السبعية الثانية بتحقيق أهداف خطة الدولة المستقبلية.	بدأت الحماية العامة للدولة لحماية مستودعات القمح في سني المجاعة.	تطبيق الخطة الاقتصادية بتقسيم مصر إلى مستودعات حسابية تقنية.	بدء تنفيذ الجانب الفني من الخطة العامة للدولة لجهازها الإداري للخطة السبعية الثانية.

٥٥	ولما جاءت جميع أرض مصر وصرخ الشعب إلى فرعون لأجل الخبز قال فرعون لكل المصريين اذهبوا إلى يوسف. والذي يقول لكم افعلوا	تحقيق الجانب التخطيطي الهادف توفير القمح للشعب وإعطاء ولي الأمر أمره ليوسف عليه السلام المنفذ والمسئول الأول بمصر.	الحماية العامة الإدارية لمداخل مصر وموانئها وكذلك تطبيق الحماية العامة الإدارية للأسواق والجهاز الإداري.	تطبيق الخطة الاقتصادية لتوزيع القمح على الشعب وبنظام دقيق يحقق العدالة الإنسانية بين الشعب.	وعي الشعب لتفهم تخطيط يوسف عليه السلام في المرحلة الثانية من أهم المراحل التطبيقية الفنية لصرف القمح بقدر.
٥٦	وكان الجوع على كل وجه الأرض. وفتح يوسف جميع ما فيه طعام وباع للمصريين واشتد الجوع في أرض مصر.	يوسف النبي الإنساني حقق بفضل الله خطته المستقبلية الأولى للدولة والثانية بتوزيع القمح على الشعب حسب تخطيط زمني تقنيني.	بتطبيق الخطة الإدارية لحماية مخازن قمح مصر من السرقة واللصوص والعابثين حسب سياسة الخطة الإدارية واحتياجاتها.	تتابع تنفيذ الخطة الاقتصادية للثروة القومية من القمح بتوزيعها بقدر وبحصص معينة وبطاقات على الشعب.	تطبيق الجانب الفني بالإشراف على الأسواق مصرف القمح والحماية الأمنية الاقتصادية ومراقبة الأسواق ومستودعات القمح.
٥٧	وجاءت كل الأرض إلى يوسف لتشتري قمحاً. لأن الجوع كان شديداً في كل الأرض.	التخطيط للعلاقات الإنسانية في التجارة للشعوب المجاورة بإعطائهم القمح وفق جدول تخطيطي إحصائي إنساني.	وضع وتحديد العلاقات بين الشعوب المجاورة لمصر في خواص ذلك التعاون وحماية طرق قوافل التجارة.	تطبيق الخطة الاقتصادية الإنسانية بالتعاون مع الشعوب المجاورة بتوزيع القمح لهم بالتبادل التجاري.	تطبيق سياسة أمنية على حدود ومداخل المدن والبلاد وموانئها مع تأمين الحماية لطرق قوافل التجارة أدى إلى التعاون الإنساني بين الشعوب في تلك المرحلة الصعبة.

ثالثاً - الخطة السبعية الأولى للدولة

وضع وتنفيذ الخطة العامة للدولة:

تفسير قوله تعالى:

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

الآية (٤٧).

١ - **أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة.**

٢ - **الجانب الاقتصادي والتخطيطي لها.**

٣ - **المراحل العلمية الأولى للخطة العامة للدولة:**

أ - تعريف علم التخطيط العام.

ب - معرفة وتحديد المشكلة.

جـ - تحديد مضمون الخطة.

د - خواص الخطة.

هـ - صفة ونوع الخطة.

و - الأهداف العامة وتقسيم الخطة.

ز - رسم السياسة التخطيطية للخطة واحتياجاتها.

ح ـ التقسيم الزمني للخطة العامة.

ط ـ الوعي العام للتخطيط.

ي ـ التخطيط بقدر.

٤ ـ الصفات والأخلاف الإسلامية للتخطيط العام:

الإخلاص ـ القناعة ـ الشكر ـ العيشة الراضية ـ الكد ـ المصير ـ الأمانة.

٥ ـ المحظورات والمنهيات الإسلامية في التخطيط العام:

الظلم ـ التسلط ـ ما حرمه الله ـ الخداع.

٦ ـ الأنشطة الاقتصادية للتخطيط العام:

٧ ـ تحليل الخطة السبعية الأولى للدولة من آيات القرآن الكريم:

ثالثاً: الخطة السبعية الأولى للدولة
وضع وتنفيذ الخطة العامة للدولة

١ - تفسير قوله تعالى:

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

الآية (٤٧).

أ - أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة.

جاء في تفسير الإمام الطبري[١]:

قال يوسف لسائله عن رؤيا الملك تزرعون سبع سنين دأباً يقول: تزرعون هذه السبع السنين كما كنتم تزرعون سائر السنين قبلها على عادتكم فيما مضى. والدأب العادة.

وقوله: ﴿فما حصدتم فذروه في سنبلة إلا قليلاً مما تأكلون﴾ وهذه مشورة أشار بها نبي الله ﷺ على القوم ورأى رآه لهم صلاحاً بأمرهم باستبقاء طعامهم.

وجاء في تفسير الإمام الجوزي[٢]:

فانطلق الرسول إلى الملك فأخبره، فقال له الملك: ارجع إليه فقل له: كيف يصنع؟ فقال: ﴿تزرعون سبع سنين دأباً﴾ والمعنى: تزرعون دائبين.

---

(١) الإمام الطبري، سورة يوسف من آية (٤٧) ص ١٣٣ : ١٣٧ م ١٨ ج ١٢.
(٢) الإمام بن الجوزي، سورة يوسف من آية (٤٧) ص ٢٢٦ : ٢٣٥.

فإن قيل: كيف حكم بعلم الغيب، فقال: «تزرعون» ولم يقل: إن شاء الله؟ فعنه أربعة أجوبة:

أحدها: أنه كان بوحي من الله عز وجل.

والثاني: أنه نبي على علم بما علمه الله من التأويل الحق، فلم يشك.

والثالث: أنه أضمر إن شاء الله كما أضمر إخوته في قولهم ﴿ونمير أهلنا ونحفظ أخانا﴾[1]... فأضمروا الاستثناء في نياتهم لأنهم على غير ثقة مما وعدوا، ذكره ابن الأنباري.

والرابع: أنه كالآمر لهم، فكأنه قال: ازرعوا.

قوله تعالى: ﴿فذروه في سنبله﴾ فإنه أبقى له، وأبعد من الفساد والشداد: المجدبات التي تشتد على الناس.

وورد في تفسير الإمام القرطبي[2]:

قوله تعالى: ﴿قال تزرعون﴾ لما أعلمه بالرؤيا جعل يفسرها له فقال: السبع من البقرات السمان والسنبلات الخضر سبع مخصبات، وأما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجدبات، فذلك قوله: ﴿تزرعون سبع سنين دأبا﴾ أي: متوالية متتابعة، لأن معنى: ﴿تزرعون﴾ تدأبون كعادتكم في الزراعة سبع سنين أي دائبين. وقيل: صفة لسبع سنين أي: دائبة.

﴿فما حصدتم فذروه في سنبله﴾ قيل: لئلا يسوس، وليكون أبقى، وهكذا الأمر في ديار مصر. ﴿إلا قليلاً مما تأكلون﴾ أي: استخرجوا ما تحتاجون إليه بقدر الحاجة، فيكون المعنى: ﴿وتزرعون﴾ أي: ازرعوا.

هذ الآية أصل في القول بالمصالح الشرعية التي هي حفل الأديان والنفوس والعقول والأنساب والأموال، فكل ما تضمن تحصيل شيء من هذه الأمور فهو مصلحة، وكل ما يفوت شيئاً منها فهو مفسدة، ودفعه مصلحة ولا

---

(١) يوسف آية ٦٥.

(٢) الإمام القرطبي، سورة يوسف من آية (٤٧) ص ٣٤٢٧: ٣٤٣٣.

خلاف أن مقصود الشرائع إرشاد الناس إلى مصالحهم الدنيوية ليحصل لهم التمكن من معرفة الله تعالى وعبادته الموصلتين إلى السعادة الأخروية، ومراعاة ذلك فضل من الله عز وجل ورحمة رحم بها عباده، من غير وجوب عليه ولا استحقاق، هذا مذهب كافة المحققبن من أهل السنة أجمعين، وبه في أصول الفقه.

وجاء في تفسير الإمام ابن كثير(1):

قال: ﴿**تزرعون سبع سنين دأبا**﴾ أي: يأتيكم الخصب والمطر سبع سنين متواليات ففسر البقر بالسنين فقال: ﴿**فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون**﴾.

أي مهما استغللتم في هذه السبع السنبن الخصب فادخروه في سنبله ليكون أبقى له وأبعد عن إسراع الفساد إليه إلا المقدار الذي تأكلونه وليكن قليلاً قليلا.

وجاء في تفسير الإمام الشوكاني(2):

﴿**قال تزرعون**﴾ إلخ مستأنفة جواب سؤال مقدر كغيرها مما يرد هذا المورد ﴿**سبع سنين دأبا**﴾ أي: متوالية متتابعة وقيل هو حال: أي دائبين. وقيل صفه لسبع: أي دائبة.

فعبر يوسف عليه السلام السبع البقرات السمان بسبع سنين فيها خصب، والعجاف بسبع سنين فيها جدب وهكذا غير السبع السنبلات الخضر والسبع السنبلات اليابسات، واستدل بالسبع السنبلات الخضر على ما ذكره في التعبير من قوله: ﴿**فما حصدتم فذروه في سنبله**﴾ أي ما حصدتم في كل سنة من السنين المخصبة فذروا ذلك المحصود في سنبله ولا تفصلوه عنها لئلا يأكله السوس ﴿**إلا قليلاً مما تأكلون**﴾ في هذه السنين المخصبة فإنه لا بد لكم

---

(1) الإمام بن كثير، سورة يوسف، من آية (٤٧) ص ٤٨٠ م ٢ ج ٣١.
(2) الإمام الشوكاني فتح القدير، سورة يوسف من آية (٤٧) ص ٣٠: ٣٥ م ٢. انظر تفسير: الإمام القاسمي، سورة يوسف، آية (٤٧) ص ٢٢٩ حتى ٢٣٤.

من فصله عن سنبله وإخراجه عنها. واقتصر على استثناء المأكول دون ما يحتاجون إليه من البذر الذي يبذرون في أموالهم لأنه قد علم من قوله تزرعون.

وجاء في تفسير الشيخ محمد محمود حجازي[1]:

تزرعون على معنى ازرعوا سبع سنين قمحاً وشعيراً دائبين مجدين بلا انقطاع وإذا فعلتم ذلك فما حصدتموه فاتركوه في سنبلة ليكون الحب لكم والتبن لدوابكم وهذه طريقة عملية دقيقة لحفظ المحصول، اصنعوا هذه في المحصول كله إلا قليلاً مما تأكلونه فهذا تأويل البقرات السبع والسنابل السبع.

وورد في تفسير الأستاذ سيد قطب[2]:

قال: ﴿تزرعون سبع سنين دأبا﴾ أي متوالية متتابعة. وهي السنوات السبع المخصبة المرموز لها بالبقرات السمان.

﴿فما حصدتم فذروه في سنبله﴾... أي فاتركوه في سنابله لأن هذا يحفظه من السوس والمؤثرات الجوية.

﴿إلا قليلاً مما تأكلون﴾... فجردوه من سنابله، واحتفظوا بالبقية للسنة الأخرى المجدبة المرموز لها بالبقرات العجاف.

وقد ذكر الشيخ طنطاوي جوهري[3] قوله:

﴿فما حصدتم فذروه في سنبله﴾ لئلا يأكله السوس ﴿إلا قليلاً مما تأكلون﴾ في تلك السنين أي ادرسوا قليلاً من الحنطة للأكل بقدر الحاجة

(١) الشيخ/ محمد محمود حجازي، سورة يوسف الآية (٤٧) ص ٨٢: ٨٤ ج ١٢.
(٢) الأستاذ سيد قطب، سورة يوسف الآية (٤٧) ص ١٩٩٢: ١٩٩٤.
(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، الشيخ/ طنطاوي جوهري، الجزء السابع، تفسير سورة يوسف، آية (٤٧) ص ٢٤.

وأمرهم بحفظ الأكثر لوقت الحاجة وهو وقت السنين المجدبة.

بالنسبة للخطة السبعية الأولى، فقد ورد في باب التكوين[1] - الإصحاح الواحد والأربعين من كتب أهل الكتاب... ما يلي:

قال يوسف لفرعون حلم فرعون واحد. فقد أخبر الله فرعون بما هو صانع البقرات السبع الحسنة هي سبع سنين. والسنابل السبع الحسنة هي سبع سنين. هو حلم واحد.

هو ذا سبع سنين قادمة شبعاً عظيماً في كل أرض مصر.

ب - الجانب الاقتصادي والتخطيطي لها (الخطة السبعية الأولى للدولة):

مما تقدم يتضح أن الآية إلى التنبؤ بالمستقبل الزاهر خلال السنوات السبع الأولى وتقدم الخطة الواجبة خلالها ترسم للقوم طريقة التصرف في المحصول وطريقة التخزين والحفاظ على المخزون من الآفات ونحوها تحسباً للمستقبل بعد ذلك.

لقد أوضحت لنا قصة يوسف عليه السلام علماً من العلوم الاقتصادية التخطيطية الرئيسية للدولة ألا وهو علم التخطيط... فبعد أن وضع يوسف عليه السلام خطته المستقبلية للدولة لأربع عشرة سنة البعيدة المدى وقسمها إلى قسمين رئيسيين:

القسم الأول: وهو الخطة السبعية الأولى، والثاني: هو الخطة السبعية الثانية وذلك في إطار الخطة المستقبلية للدولة البعيدة المدى...

---

(١) باب التكوين في الإصحاح الواحد والأربعون أرقام ٢٥، ٢٦، ٢٩.

كما ذكر الله تعالى:

﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾. الآية (٤٦) سورة يوسف.

وقد حدد يوسف عليه السلام خطته السبعية الأولى للدولة.

حيث ذكر تعالى:

﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

وبهذا علمنا يوسف عليه السلام أنه بدأ بتنفيذ خطته المستقبلية للدولة بوضع التحليلات والتنفيذ لخطته السبعية الأولى لها.

وضع وتنفيذ الخطة العامة للدولة:

كان عليه السلام حكيماً وضع الخطة السليمة ونفذ ما أمره الله به.

حدد هذه الخطة السبعية الأولى مبيناً خواصها وأهدافها ونوع الخطة التي سيسير عليها في السنوات المقبلة حيث جزأها إلى برنامج زمني كل سنة لها التخطيط الخاص بها، والأساليب المتبعة في التخطيط.

ورسم سياسة الخطة واحتياجاتها ووضع الهيكل والمضمون العام لها... فعلمنا عليه السلام أن متابعة النتائج يعتبر عاملاً مهماً في علوم التخطيط... وضع يوسف عليه السلام ضمن خطته السبعية الأولى للدولة العلاقات الإنسانية موضع الاعتبار...، ولنبدأ الخطوات التخطيطية العلمية للخطة السبعية الأولى التي اتبعها يوسف عليه السلام وأرشدنا إليها.

٢ ـ المراحل العلمية الأولى للخطة العامة للدولة:

من هذه القصة الكريمة بين الله تعالى أنه عندما فسر يوسف عليه السلام الرؤيا وعرف حكمة الله تعالى من هذه الرؤيا وهي الرخاء ثم القحط والمجاعة. . . بعدها وضع يوسف عليه السلام الخطة العامة لدولة مصر وذلك لإغاثتها ولقد حصر المشكلة أولاً بما آتاه الله من العلم. . .

التخطيــط العــام:

أ ـ تعريف التخطيط:

تنبؤ بالمستقبل على ضوء المعلومات والبيانات عن الإمكانات المتاحة وذلك لرفع مستوى الدولة والفرد في كافة النواحي الصناعية والتجارية والاقتصادية والمالية والزراعية أو الثقافية والدينية وزيادة إنتاج الدولة. . . وذلك من الأهداف الرئيسية للدولة.

ب ـ معرفة وتحديد المشكلة:

أوضحت لنا قصة يوسف عليه السلام من خلال تفسيره للرؤيا جوانب المشكلة التي تواجهها مصر. . . وأن أي تخطيط عام للدولة يبدأ أولاً بمعرفة المشكلة التي تعانيها. . . كي توضع الخطة المناسبة لعلاجها وتفادي وقوعها في المستقبل. . . وبعد معرفة المشكلة لا بد من تحديد معالمها ومعرفة جوانبها. . . وقد حدث ذلك من خلال تفسير يوسف عليه السلام رؤيا الملك. . . كما ذكرت الآيات من (٤٧ ـ ٤٩) من سورة يوسف. . .

بعد أن تبلورت المشكلة أمام يوسف عليه السلام لم يبق إلا تحديد هيكلها العام لرسم خطة المستقبل. . .

وقد ورد في كتب أهل الكتاب[1] باب التكوين بشأن قصة يوسف عليه السلام، ومنهجه في خطته السبعية الأولى والثانية:

فقال يوسف لفرعون: حلم فرعون واحد قد أخبر الله فرعون بما هو

(١) الأصحاح الحادي والأربعون، باب التكوين من رقم ٢٥ حتى ٣٢، ص ٦٨، ٦٩.

صانع. البقرات السبع الحسنة هي سبع سنين. والسنابل السبع الحسنة هي سبع سنين. هو حلم واحد. والبقرات السبع الرقيقة القبيحة التي طلعت وراءها هي سبع سنين والسنابل السبع الفارغة الملفوحة بالريح الشرقية تكون سبع سنين جوعاء. هو الأمر الذي كلمت به فرعون. قد أظهر الله لفرعون ما هو صانع هوذا سبع سنين قادمة شبعاً عظيماً في كل أرض مصر. ثم تقوم بعدها سبع سنين جوعاً. فينسى كل الشبع في أرض مصر ويتلف الجوع الأرض. ولا يعرف الشبع في الأرض من أجل ذلك الجوع بعده. لأنه يكون شديداً جداً.

جـ - تحديد مضمون الخطة:

بعد أن عرفنا المشكلة وحددنا هيكلها وجوانبها العامة يجب وضع مدة زمنية لمعالجة هذه المشكلة من خلال الخطة العامة للدولة... وقد بينت لنا الآية الكريمة (آية رقم ٤٧) من سورة يوسف هذه المدة بسبع سنوات...

وتختلف هذه الخطة عما حدث في التخطيط الفردي عندما تآمر إخوة يوسف عليه السلام برميه في الجب حيث لم تحدد مدة زمنية سابقة توضح الوقت اللازم لتنفيذ خطتهم.. أما في علم التخطيط العام... فيلزم وضع مدة زمنية لهذه الخطة... على أن تستعد كافة الجهات المعنية وتتحصن وتحذر لتنعم الدولة بحياة اقتصادية كريمة وتتغلب على سنوات القحط.

د - خواص الخطة:

إن كل مشكلة عامة لها خواص محددة... فما هي المميزات الخاصة بهذه الخطة...؟

إن الآيات الكريمة التي ذكرت في سورة يوسف سالفة الذكر في البند (١) تحدد السمات الأساسية لهذه الخطة... فقد أشارت إلى أنها خطة زراعية اقتصادية... ومن ثم فإن الخواص العامة للخطة لا بد أن تأخذ طابعاً ومنهجاً معيناً يتفق مع السمات الأساسية الزراعية الاقتصادية.

كما يوجد توابع لهذه الخواص... فعندما نقول إن هذه خطة زراعية فلا بد أن يتبعها التخطيط الاقتصادي الزراعي والصناعات القائمة على الزراعة

والجوانب الاجتماعية المترتبة على ذلك كله... إلخ مثل بناء المستودعات وإقامة الأسواق... وغير ذلك مما يستتبع الخطة الزراعية...

وعلى ضوء ذلك تستطيع الدولة وضع خطة تتلاءم مع كافة الاحتياجات الزراعية والاقتصادية معاً... لرفع مستوى معيشة الفرد وزيادة الإنتاج.

هـ ـ صفة ونوع الخطة:

تعلمنا من قصة يوسف عليه السلام أن كل خطة ينبغي وضعها يجب أن نحدد نوعها... فقد كانت الصفة الأساسية للخطة العامة التي وضعها يوسف عليه السلام زراعية... وهذه الخطة الزراعية تحتاج إلى بناء مستودعات ومراقبة الأسواق والإهتمام بأمن حدود الدولة وحمايتها من قطاع الطرق والمتسللين والعابثين بهدف السرقة... كما أن نوع الخطة التي وضعها يوسف عليه السلام جعله يقوم بتقسيم الأرض إلى عدة مناطق لتخزين الحبوب فيها حتى يسهل توزيعها على أبناء شعب مصر... وهكذا يتضح لنا أن كل خطة ينبغي تحديد نوعها من جهة ومن جهة أخرى وصفها حتى يسهل تنفيذ ما جاء بها... كما أسلفنا من قبل.

و ـ الأهداف العامة وتقسيم الخطة:

في قصة يوسف عليه السلام وفيما يختص بعلوم التخطيط غير أن كل خطة عامة للدولة ـ بعد تحديد هيكلها والمعالم الرئيسية لها ـ يلزمها تحديد أهدافها الرئيسية وكذا الأهداف الخاصة والمتفرعة منها وما يتبعها من تحديد علاقة الأهداف ببعضها البعض.

- أوضح لنا يوسف عليه السلام أن الأهداف العامة خلال خطة السبع السنين الرخاء تتمثل في تخزين الحبوب والغلال لمواجهة السبع سنين القحط التي ستصيب مصر والأماكن المجاورة لها.
- كذلك أرشدنا يوسف عليه السلام أن من الأهداف العامة ينبثق تقسيم الخطة العامة للدولة وهو الهدف العام حيث يستلزم لتخزين الحبوب والغلال بناء مستودعات ومخازن تكفي السبع السنين القحط.

- بعد ذلك بين لنا يوسف عليه السلام أنه ينبغي حساب ما يستهلكه شعب مصر من خلال السبع السنين العجاف وكذا تقسيم أرض مصر الزراعية في سني الرخاء وحساب الغلال التي يستوعبها في كل سنة على أن يوضع في الاعتبار مقدار الاستعمال السنوي لهذه الحبوب في سني الرخاء.
- قام يوسف عليه السلام بتقسيم أرض مصر ووضع الخطة العامة اللازمة للدولة لبناء المستودعات والمخازن التي تكفي السبع السنين العجاف.
- أوضح لنا يوسف عليه السلام أنه من الأهداف العامة لتقسيم الخطة السبعية وجوب الإحاطة والفهم لدراسة علوم التخزين حيث أنه لتخزين الحبوب سبع سنوات في مستودعات مغلقة تراعي فيها شروط التخزين للمحافظة على الغلال خلال السبع السنين العجاف.
- ومن ثم برعوا ونجحوا في هذا العصر في حفظ الحبوب والغلال في المستودعات بعدم تسوسها وإصابتها بالحشرات الضارة أو تأثير عوامل الطقس من الشمس والأمطار.

ويشهد لذلك ما دلت عليه الحفريات واكتشاف المومياء المصرية المحنطة في مقابر قدماء المصريين من وجود طعامهم من الحبوب والغلال والتي ظلت محفوظة حتى عصرنا الحاضر...

- كان نجاح يوسف عليه السلام واجتيازه السنين العجاف دليل على أنه لم يحدث شيء يعوق خطته العامة لحفظ الحبوب والغلال في ذلك العصر.
- قسم يوسف عليه السلام الخطة العامة إلى مراحل تخطيطيه للسنوات السبع... كل سنة على حدة ليحقق الهدف العام الذي يسعى لإنجازه حسب الخطة المرسومة.

ز - رسم السياسة التخطيطية للخطة واحتياجاتها:

كل خطة يلزم رسم سياسة معينة لها سواء من ناحية تعريفها - أو خواصها - صفتها - نوعها - أهدافها... من أجل تحقيق نجاحها وما يحتاجه هذا النجاح من متطلبات.

ح - التقسيم الزمني للخطة العامة:

ومن خواطري حول الآية رقم (٤٧) من سورة يوسف أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى يوسف عليه السلام بأن المشكلة التي ستواجه مصر تنقسم إلى فترتين زمنيتين وهما سبع سنين رخاء وسبع سنين أخرى عجاف... من هذا نتبين أن الله عز وجل علم يوسف عليه السلام كيف يعد ويضع الخطة العامة للدولة... ويقسمها... ونحن بالتالي ينبغي علينا مراعاة ذلك عندما نضع خطة اقتصادية للدولة إذ يجب تقسيمها إلى عدة سنوات متتالية كي نضمن نجاحها.

كما ورد عند أهل الكتاب في باب التكوين بشأن قصة يوسف عليه السلام، ومنهجه في خطته السبعية الأولى بالتقسيم والتقنين لتطبيق خطته السبعية الثانية[1]:

وأثمرت الأرض في سبع سني الشبع بحزم. فجمع كل طعام السبع سنين التي كانت في أرض مصر وجعل طعاماً في المدن. طعام حقل المدينة الذي حواليها. جعله فيها. وخزن يوسف قمحاً كرمل البحر كثيراً جداً حتى ترك العدد إذ لم يكن له عدد.

ط - الوعي العام للتخطيط:

أشارت قصة يوسف إلى عنصر هام ألا وهو «الوعي التخطيطي» فبعد أن فسر يوسف عليه السلام الرؤيا...

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ الآية (٤٣) سورة يوسف.

وبعد شرحها للملك ومعرفة المشكلة... وتعيين يوسف وزير

(١) الأضحاح الحادي والأربعون، باب التكوين، من رقم ٤٧ حتى ٤٩، ص ٧٠.

لمصر. . . ثقة فيه وبناء على طلبه المشار إليه في قوله تعالى:

﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾.

الآية (٥٥) سورة يوسف.

بدأ يوسف عليه السلام ببث الوعي بالتخطيط، فقام بانتقاء واختيار الموظفين والمنفذين وتدريبهم وإعدادهم إعداداً سليماً للقيام بمهامهم عن وعي وإيمان. . .

ومن المعلوم أن الجهاز التخطيطي لا يمكن أن يعمل وحده وإلا ذهبت جهوده أدراج الرياح ذلك لأن المعول عليه هو الشعب. . . صاحب المصلحة الأساسية؛ لذلك قام يوسف عليه السلام بدور كبير في تثقيف وتوعية الشعب بالخطة الكاملة وبث فيه روح المسئولية الكبيرة لنجاح هذه الخطة وذلك بتنفيذ تعليمات المسئولين عن برامج الخطة المحددة.

ي - التخطيط بقدر:

كل خطة ينبغي أن تكون علمية مدروسة طبقاً للإحصاءات الدقيقة وأن يراعي فيها الظروف والكوارث.

فيوسف عليه السلام لم يعمل جزافاً بل اعتمد على الإحصاء في خطته فاحتسب كمية المنتج السنوي وكمية المستهلك، ولم يهمل الفائض ووضع نظاماً محاسبياً دقيقاً لمعرفة الناتج باستمرار واحتساب المنصرف بمقدار واتبع سياسة تخزين الفائض واقتضى ذلك إمساك ما يشبه دفاتر المخازن ودفتر الأستاذ واليوميات. . . ويمكن استخلاص المعادلة التالية من خلال خطة يوسف عليه السلام:

الإنتاج السنوي في سني الرخاء = الأستهلاك السنوي في سني الرخاء + الفائض المدخر لسني الجفاف.

ومعنى ذلك أن يوسف اعتمد على التقدير الدقيق في خطته وموازناته.

٤ ـ الصفات والأخلاق الإسلامية للتخطيط العام:

في قصة يوسف عليه السلام جانب له أهميته ألا وهو الصفات والأخلاق الإسلامية التي يجب ان تبرز عند التخطيط العام. . . وذلك لأهميتها بالنسبة للفرد الذي يزاول مهنة التخطيط، من أجل هذا كانت الصفات والأخلاق الإسلامية وفقاً لكتاب الله وأحكامه ملزمة للمخططين والتخطيط بصفة عامة وقد سبقت الإشارة إليها في هذا المبحث بعنوان «السمات الإسلامية» ونود هنا أن نضيف ما يلي:

الإخلاص:

لقد ظهر إخلاص يوسف لربه وللرسالة التي أرسله بها، فقد حمل مسئولية الخطة السبعية الأولى والثانية على عاتقه لإخلاصه. كما أن شعب مصر وأبناءها تعاونوا وأخلصوا ليوسف عليه السلام فنجحت الخطة السبعية وأنقذت البلاد من المجاعة. . . وبهذا أعطانا الله تعالى درساً في الأخلاق ألا وهو الإخلاص لله تعالى والعمل الذي يوكل إلينا في حياتنا.

٥ ـ المحظورات والمنهيات الإسلامية في التخطيط العام:

ينبغي على المخطط أن يلتزم بحدود الله فلا يقرب محرماً ولا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً... وعليه أن يتسم بالأخلاقيات الإسلامية التي سبق أن نوهنا عنها أكثر من مرة...

٦ ـ الأنشطة الاقتصادية للتخطيط الغام:

أشارت قصة يوسف عليه السلام إلى عامل هام وهو الأنشطة الاقتصادية في مصر من جميع الجوانب في الزراعة والتجارة وما نتج عن الأولى من صناعات أو مهارات فنية أو يدوية وذلك في الخطة السبعية الأولى وقت الرخاء، وكذلك في الخطة الثانية وقت الجفاف.

ـ وعندما نتساءل ماذا سيحدث وقت الرخاء للأنشطة الاقتصادية؟ . . .

من الطبيعي عندما يأتي الرخاء تزداد الحركة التجارية في البيع والشراء فينشط العرض والطلب. . . ففي الأسواق كميات متوافرة من الحبوب وبالتالي فإن الأنشطة الاقتصادية ستزداد، وستنشط مع الرواج الاقتصادي، كما أن الحالة النفسية عند المستهلك ستتحسن وسيحاول بصورة أو بأخرى أن يتعاون مع المخطط، وبالذات فيما يتعلق بنظام البطاقات التي قد يقتضي الأمر صرفها لكل أسرة وبخاصة في أوقات الشدة أو تنظيماً للتوزيع وقت الرخاء تحسباً واحتياطاً لوقت الشدة. . . إضافة إلى إن الرواج الاقتصادي من شأنه أن يوطد العلاقات الدولية إذ تزداد حركة التبادل التجاري ومقايضة السلع بعضها ببعض. . . وبالتالي ستنشط الأسواق محلياً وعالمياً وهذا ما حدث بالفعل فقد رأينا توافد القوافل على مصر ومن ثم نشطت العلاقات التجارية بين مصر وجيرانها. يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وجاء إخوة يوسف. . .﴾ الآية وقوله تعالى: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون﴾ ولقد استلزم ذلك إقامة محطات للقوافل لخدمتها وتأمين مسيرتها. . .

ـ وهناك تساؤل آخر. . . ماذا سيحدث وقت الجفاف للأنشطة الإقتصادية؟ . . .

أ ـ وعندما نرى الحالة الاقتصادية في ذلك الوقت وقت السنين السبع العجاف في مصر وعلى عهد يوسف عليه السلام فإننا نتوصل إلى أن الأنشطة الاقتصادية في ذلك الوقت بعد مقارنتها بالسنين الرخاء نجد أنها ليست متوازية أو متساوية فثم فرق كبير وهذا الفرق من الطبيعي وقت القحط أن

يحدث، إلا أنه بالنظر الدقيق فيما حدث آنذاك نجد ميل الأنشطة الاقتصادية إلى جانب الرواج وإن كانت الأحوال تحكم بالكساد ذلك لأن الأمر هنا مختلف إذ أنه يسير حسب تخطيطات يوسف عليه السلام فبفضل الله ثم بالتخطيط سارت الأمور سيراً طبيعياً.

ب - في هذا الوقت يمكن القول بأن التقنين لصرف الأغذية للشعب من المحتمل أن يكون بالبطاقات... ففي حياتنا اليوم نرى ما تفعله بعض الدول الآن عندما يأتي ظرف طارىء على بلدها من قحط أو تندر سلعة غذائية ما.. فإما أن تعطي المواد الغذائية لبعض المحلات التجارية وتوزع على الناس بالبطاقات التي أصدرتها الحكومة أو أن الحكومة تفتح محلات لهذا الغرض في الدولة... على العموم لم يبين لنا ماذا حدث في ذلك الوقت... ولكن يوسف النبي الأمين المخلص الذي لا يعرف الظلم، من الطبيعي أن يتصرف بحكمة وأمانة لأنه يتصرف بتوجيه من الله سبحانه.

جـ - أما الأنشطة الاقتصادية الأخرى فإنها من الطبيعي متى وجدت الحياة وجدت المهن والصناعات التي تكمل كل منها الأخرى بطريق البيع والشراء أو المقايضة.

د - ومن ناحية الزراعة، فطبيعي أن يصيبها كساد كبير، والعاملون على الزراعة ستزداد البطالة فيما بينهم... ولكن يوسف عليه السلام النبي المخطط عالج هذه المشكلة.

هـ - عندما حدث الكساد في الزراعة وتفشت البطالة أنشئت آفاق إدارية جديدة لتستوعب العمالة هذه في تخزين الحبوب وبناء المستودعات والاحتياجات الأخرى التي تتطلب حفظ هذه الحبوب.

و - كما احتاجت الدولة إلى أعداد كبيرة من الإداريين لمراقبة الأسواق وتوزيع الغلة على الشعب حسب التقسيم الإداري لمصر من شمالها إلى

جنوبها. . . وتطلب ذلك دروباً تجارية وصناعية تحتاجها البلاد في هذه الفترة.

- نحن نعلم عندما نرغب في حفظ الخضراوات والمأكولات أن نضعها في الثلاجة وذلك لأيام معدودة وعلى نطاق التجارة يتم حفظ هذه الأشياء في الثلاجات الكبيرة لشهور معدودة ولكن حفظ الحبوب والغلال لسبع سنين عجاف يتطلب علماً من العلوم العظيمة والتي نوه عنها قوله تعالى: ﴿فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون﴾.

٧ـ تحليل الخطة السبعية الأولى للدولة من خلال عرضنا السابق وعلى ضوء القرآن

الرقم	الآية الكريمة	الجانب التخطيطي	الجانب الإداري	الجانب الاقتصادي	الجانب الفني	السورة
٤٧	قال	المتعلم بعلوم الرؤيا والحديث والخبير والمسئول عن تفسيره في الإدارة والتخطيط.	المسئولية الإدارية والوعي والفهم الإداري للمسئول الأول بتطبيق الخطة السبعية الأولى في الجانب الإداري لها.	التطبيق العملي الاقتصادي حسب الخطة الزمنية السبعية الأولى برسم وتحديد الجانب الاقتصادي لها	تحديد الجوانب الفنية للخطة السبعية الأولى بتقسيم كمية القمح.	يوسف
٤٧	تزرعون	وضع خطة زراعية لحل الأزمة القادمة بالرخاء الاقتصادي الزراعي.	وضع التعليمات الإدارية لكل قسم إداري من مستودعات القمح والمسئولية الإدارية للعاملين فيه.	وضع جدول اقتصادي زمني لكل سنة لتحديد كمية المخزون للإنتاج الزراعي العام من القمح سنوياً لمدة الخطة السبعية الأولى.	وضع الخطة الفنية لمستودعات القمح وعدم تسوس القمح وحفظه طوال فترة الخطة.	
٤٧	سبع سنين	بتحديد ومعرفة مضمون وصفة ونوع الخطة السبعية الزراعية.	وضع خطة إدارية زراعية لفترة الرخاء بتقسيم إداري زمني سنوي لخزن القمح سنوياً.	رسم الأهداف الاقتصادية بتقسيم زمني سنوي لخزن كمية القمح سنوياً لسني القحط بنظام اقتصادي دقيق.	رسم الهيكل الفني للسنين السبع الرخاء.	يوسف

٤٧	دأبا	وفرة الاقتصاد الزراعي للسنين السبع القادمة سنة تلو الأخرى.	استمرارية الرخاء للسبع سنين الأولى والإشراف الإداري بتطبيق الخطة العامة المستقبلية لها.	-الاستمرارية الاقتصادية بوضع المخزون السنوي للقمح في المستودعات العامة حسب العامة حسب الخطة المرسومة لها.	ملاحظة الجوانب الفنية للسبع سنوات.	
٤٧	فما حصدتم	معرفة وتحديد رسم الخطة السبعية الأولى لتحديد الأهداف العامة لها.	حصر العملية الإدارية للخطة السبية الأولى بعملية إدارية حسابية.	تحديد خواص الخطة الاقتصادية للتوفير السنوي الاقتصادي لمخزون القمح.	رسم صفة مضمون الجانب الفني لتطبيق تخزين القمح سنوياً	يوسف
٤٧	فذروه في سنبله	التقسيم الزمني للخطة العامة للدولة للأربع عشرة سنة بتحديد معرفة نواحي وصفة التخطيط.	تحديد مضمون الخطة الإدارية لسنين الرخاء.	الوفرة الاقتصادية السنوية لإنتاج القمح من الإنتاج العام للدولة.	حفظ القمح كما هو بقشرته لعدم التسوس لسني القحط حفظاً فنياً	يوسف

٧ ـ تحليل الخطة الأولى للدولة من خلال عرضنا السابق وعلى ضوء القرآن الكريم

الرقم	الآية الكريمة	الجانب التخطيطي	الجانب الإداري	الجانب الاقتصادي	الجانب الفني	السورة
٤٧	إلا قليلاً مما تأكلون	رسم السياسة التخطيطية للخطة المستقبلية للدولة لاحتياجاتها بتحديد تخزين وفرة القمح من السنين السبع الرخاء إلى السبع سنين العجاف حسب التقسيم الزمني لسني الخطة.	التطبيق العملي الإداري لتوزيع مخزون القمح حسب الجدول السنوي لخطة السبع سنوات بتنظيم إداري سليم.	تطبيق الأهداف الاقتصادية للدولة لخزن القمح من أيام الرخاء وخزنها لأيام الجفاف.	الوعي العام الفني للتخطيط لخزن القمح من الإنتاج السنوي العام.	يوسف

وعند أهل الكتاب إشارات إلى الخطة السبعية الأولى نلمح إليها كما جاءت في باب التكوين الإصحاح الواحد والأربعون.
(قصة يوسف عليه السلام)

الرقم	باب التكوين	الجانب التخطيطي	الجانب الإداري	الجانب الاقتصادي	الجانب الفني
٢٥	فقال يوسف لفرعون حلم فرعون واحد. قد أخبر الله فرعون بما هو صانع.	الخبير والمتعلم بما علمه الله من علوم الحديث والرؤيا والتفسير والتخطيط.	العارف والمخطط والمسئول الإداري الواثق من نفسه.	الواثق من نفسه بتطبيق خطة الدولة الأولى والثانية، وبهذا فهو المسئول الاقتصادي والتخطيطي لها.	المخطط للجوانب الفنية حسب احتياجات سياسة تطبيق الخطة.
٢٦	البقرات السبع الحسنة هي سبع سنين. والسنابل السبع الحسنة هي سبع سنين. هو حلم واحد.	وضع الخطة الاقتصادية الزراعية للسبع سنين القادمة وفق الهيكل العام لها.	معرفة الصفة الإدارية للرخاء الاقتصادي ورسم الهيكل العام لها.	التقسيم الاقتصادي والزمني لسني الخطة السبعية الأولى للرخاء الاقتصادي.	رسم الهيكل الفني للخطة السبعية الأولى للدولة.
٢٩	هو ذا سبع سنين قادمة شبعاً عظيماً في كل أرض مصر.	التخطيط يقدر حسب الخطة العامة للدولة وفق جدول حسابي دقيق.	الإشراف والتدقيق الإداري السنوي لتطبيق تخزين القمح سنوياً حسب الخطة الإدارية العامة المرسومة لتلك الخطة.	وضع هيكل حسابي تقنيني لخزن مخزون القمح سنوياً لسد احتياجات البلاد للسبع سنين الثانية بخطة اقتصادية لها حدودها ومضمونها.	ملاحظة تطبيق السياسة التخطيطية الفنية لتلك الفترة وتحديد معالمها ومضمونها الفني الحسابي والتقنيني.

رابعاً: الخطة السبعية الثانية للدولة
التطبيق الميداني للخطة العامة للدولة

تفسير قوله تعالى:

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾. الآية (٤٨).

١ ـ أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة.

٢ ـ الجانب الاقتصادي والتخطيطي لها.

٣ ـ الوسائل التطبيقية للخطة العامة للدولة:

أ ـ الأساليب الإدارية التخطيطية المتبعة لتنفيذ الخطة السبعية الثانية.

ب ـ الوسائل التخطيطية المساعدة لتطبيق الخطة السبعية الثانية.

جـ ـ متابعة تطبيق الخطة السبعية الثانية.

٤ ـ المحظورات والمنهيات الإسلامية في تطبيق الخطة العامة:

الشيطان ـ الغش ـ الجشع ـ الاحتكار.

٥ ـ الصفات والأخلاق الإسلامية في تطبيق الخطة العامة.

الحق والعدل ـ الحياة الدنيا ـ الاستقامة ـ الزهد ـ المسئولية.

رابعاً: الخطة السبعية الثانية للدولة

تفسير قوله تعالى:

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾. الآية (٤٨).

١ - أقوال المفسرين من هذه الآية الكريمة.

جاء في تفسير الإمام الطبري[1]:

يقول ثم يجيء من بعد السنين السبع التي تزرعون فيها دأبا سنون سبع شداد يقول جدوب قحطة يأكلن ما قدمتم لهن يقول يؤكل فيهن ما قدمتم في إعداد ما أعددتم لهن في السنين السبع الخصبة من الطعام والأقوات.

وقد ورد في تفسير الإمام القرطبي[2]:

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿سبع شداد﴾ يعني السنين المجدبات. ﴿يأكلن﴾

---

(١) الإمام الطبري، سورة يوسف، من آية (٤٨) ص ١٣٣ :١٣٧ م ١٨ ج ١٢ انظر تفسير: الإمام بن الجوزي، سورة يوسف، من آية (٤٨) ص ٢٢٦ : ٢٣٥.

(٢) الإمام القرطبي، سورة يوسف، من آية (٤٨) ص ٣٤٢٧: ٣٤٣٣.

مجاز، والمعني يأكل أهلهن. ﴿ما قدمتم لهن﴾ أي: ما أدخرتم لأجلهن. ﴿ما تحصنون﴾ أي: مما تحسبون لتزرعوا لأن في استبقاء البذر تحصين الأقوات؛ وقال أبو عبيدة: تحرزون. وقال قتادة: «تحصنون» تدخرون، والمعنى واحد: وهو يدل على جواز احتكار الطعام في وقت الحاجة.

الثانية: هذه الآية أصل في صحة رؤيا الكافر، وأنها تخرج على حسب ما رأى، لا سيما إذا تعلقت بمؤمن، فكيف رؤيا إذا كانت آية لنبي، ومعجزة لرسول، وتصديقاً لمصطفى التبليغ، وحجة للواسطة بين الله - جل جلاله - وعباده. إظهاراً لفضله، وإعلاماً لمكانه من العلم ومعرفته.

وقد جاء في تفسير الإمام ابن كثير(1):

لا تسرفوا فيه لتنتفعوا في السبع الشداد وهن السبع السنين المحل التي تعقب هذه السبع المتواليات وهن البقرات العجاف اللاتي تأكلهن السمان لأن سني الجدب يؤكل فيها ما جمعوه في سني الخصب وهن السنبلات اليابسات وأخبرهم أنهن لا ينبتن شيئاً وما يبذروه فلا يرجعون منه إلى شيء، ولهذا قال: ﴿يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون﴾.

وقد جاء في تفسير الإمام الشوكاني(2):

﴿يأكلن ما قدمتم لهن﴾ من تلك الحبوب المتروكة في سنابلها، وإسناد الأكل إلى السنين مجاز.

والمعنى: يأكل الناس فيهن أو يأكل أهلهن ما قدمتم لهن: أي ما أدخرتم لأجلهن فهو من باب: نهاره صائم.

(1) الإمام ابن كثير، سورة يوسف، من آية (٤٨) ص ٤٨٠ م ٢.
(2) الإمام الشوكاني فتح القدير، سورة يوسف من آية (٤٨) ص٣٠:٣٥ م ٣. انظر تفسير:
الإمام القاسمي، سورة يوسف من آية (٤٨) ص ٢٢٩: ٢٣٤.
الشيخ/ محمد محمود حجازي، سورة يوسف، الآية (٤٨) ص ١٢ ج ١٢.
الأستاذ/ سيد قطب، سورة يوسف، الآية (٤٨) ص ١٩٩٢: ١٩٩٤.

﴿إلا قليلاً مما تحصنون﴾ أي: مما تحبسون من الحب لتزرعوا به، لأن في استبقاء البذر تحصين الأقوات. وقال أبو عبيدة: معنى تحصنون: تحرزون. وقيل تدخرون. والمعنى واحد.

وفيما يتعلق بالخطة السبعية الثانية كما دونها أهل الكتاب نقول جاء في باب التكوين[1] الإصحاح الواحد والأربعين ما يلي:

والبقرات السبع الرقيقة القبيحة التي طلعت وراءها هي سبع سنين. والسنابل السبع الفارغة الملفوحة بالريح الشرقية تكون سبع سنين جوعاً. هو الأمر الذي كلمت به فرعون. قد أظهر الله لفرعون بما هو صانع.

ثم تقوم بعدها سبع سنين جوعاً. فينسى كل الشبع في أرض مصر ويتلف الجوع الأرض. ولا يعرف الشبع في الأرض من أجل ذلك الجوع بعده. لأنه يكون شديداً جداً. وأما عن تكرار الحلم على فرعون مرتين فلأن الأمر مقرر من قبل الله والله مسرع ليصنعه.

---

(١) باب التكوين، الأصحاح الواحد والأربعين، من رقم (١) إلى رقم (٧).

٢ ـ الجانب الاقتصادي والتخطيطي لها
(الخطة السبعية الثانية للدولة)

مرت السنون السبع الأولى بالاستعداد والتخطيط والتجهيز لبناء المستودعات للقمح وجميع الجوانب الإدارية والمالية لها، وجاء دور الخطة السبعية الثانية للدولة والتي أشار إليها قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾. الآية (٤٨).

بعد مرور السنين السبع الرخاء والأخذ في التحصين والتجهيز والتخطيط للسنين السبع الثانية العجاف وندرة المياه والمحصول واعتماد الدولة كلية على ما خططه يوسف عليه السلام في بناء مستودعات الغلال أتت المرحلة الثانية للسنين السبع العجاف الداخلة في الخطة العامة للدولة.

تطبيق وتنفيذ الخطة العامة للدولة:

استعان يوسف عليه السلام عند تنفيذ خطته بتطبيق بعض الأساليب الإدارية الحكيمة في الداخل وكذلك وضع التخطيطات اللازمة لتنفيذها وحماية حدود الدولة وأبوابها الرئيسية كما وضع الحماية الاقتصادية في الداخل والخارج، ورغم هذه المرحلة العصيبة فقد تم تبادل التجارة الدولية مع الشعوب والقبائل المجاورة. . . وأشرف يوسف عليه السلام على الجوانب الاقتصادية في الأسواق والأسعار والموازين والمكاييل وحماية طرق التجارة الدولية.

وإلى هذه السنين أشار النبي[١] عليه الصلاة والسلام في دعائه على قريش: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف»[٢]، فابتدأ ذلك بهم، ونزلت

(١) تفسير ابن عطية، أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ص ٥٢٧ ج ٧.
(٢) أخرجه البخاري في الدعوات، وفي الإستسقاء وغيرهما، والترمذي في التفسير، =

سنة حصنت كل شيء[1]، حتى دعا لهم النبي عليه الصلاة والسلام فارتفع ذلك عنهم ولم يتماد سبع سنين، وروى أن يوسف عليه السلام لما خرج ووصف هذا الترتيب للملك وأعجبه أمره، قال له الملك: قد أسندت إليك تولي هذا الأمر في الأطعمة هذه السنين المقبلة، فكان هذا أول ما ولي يوسف.

= ولفظه كما جاء في باب الإستسقاء في البخاري عن مسروق قال: (كنا عند عبد الله، فقال: إن النبي ﷺ لما رأى من الناس إدباراً قال: اللهم سبعاً كسبع يوسف، فأخذتهم سنة حصت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف، وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع، فأتاه أبو سفيان فقال: يامحمد، إنك تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، قال الله تعالى: (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) إلى قوله: (عائدون. يوم نبطش البطشة الكبرى) فالبطشة يوم بدر، وقد مضت الدخان والبطشة واللزام وآية الروم «سورة الدخان».

(١) من قولهم، حص الشيء: حلقه، حص الشيء: أذهبه. (المعجم الوسيط).

التطبيق الميداني للخطة العامة للدولة

٣ ـ الوسائل التطبيقية للخطة العامة للدولة:

بين الله تعالى في قصة يوسف عليه السلام أنه بعد أن انتهت مرحلة السنين السبع العجاف... وكما بينا سابقاً عن الخطة والأساليب المتبعة لها لرسم حدودها وهيكلها وكل جوانبها فإن يوسف عليه السلام قام بتطبيق هذه الخطة بأساليب علمية مدروسة ومنها:

أ ـ الأساليب الإدارية والتخطيطية المتبعة لتنفيذ الخطة الثانية:

الاستعانة بعدد كبير من الموظفين والعاملين لتنفيذ هذه الخطة وذلك:

ـ بإنشاء قسم إداري لتخزين الحبوب وعمل دفاتر وكشوفات يومية وشهرية عن هذا الجانب من المخازن والمستودعات.

ـ تخصيص جهة إدارية لمراقبة هذه المخازن وكذلك الأسواق والإشراف على المكاييل التي تعطي كل ذي حق حقه بواسطة المراقبة الإدارية.

ـ إنشاء قسم المحاسبة والإحصاء وذلك لتزويد يوسف عليه السلام بكل التقارير اليومية والشهرية عن الباقي من المخزون والمخطط له سنوياً حسب الخطة.

ـ إنشاء إدارة مالية لتحصيل الأموال والمقايضات ثم حفظها في الخزينة العامة للدولة.

ـ انشاء جهاز اقتصادي لتوزيع القمح أو التبادل التجاري مع الشعوب المجاورة لمصر.

ب ـ الوسائل التخطيطية المساعدة لتطبيق الخطة السبعية الثانية:

احتاجت الخطة السبعية الأولى إلى وسائل تخطيطية مساعدة لإنجاح

لخطة السبعية الثانية ومن هذه الوسائل: المسئولية حيث أخذ يوسف عاتقه جميع مسؤوليات الخطة السبعية الأولى والثانية، ويشير إلى لمسئولية ما ورد في قوله تعالى: ﴿قال اجعلني على خزائن الأرض إني عليم﴾.

آية

ـ من هذا المنطلق علم يوسف عليه السلام العاملين والمساعدين له المسئولية في تنفيذ الخطة، فهي من الوسائل التخطيطية المساعدة لإ الخطة حيث برهن وهو المسئول الأول عن جميع الأمور أمام ربه أولاً ثم أمام ملك مصر وبعدها أمام الشعب المصري على وجوب تحم المسئولية المنوطة به. فعندما رأى الشعب المصري وزيره يعمل وي هذه المسئولية ويحملها العاملين معه... تحمل الشعب مسئوليته هو في إطار التسلسل التنظيمي انطلاقاً من الوعي التخطيطي.

جـ ـ متابعة الخطة السبعية الثانية:

لقد استلزم تطبيق الخطة السبعية الثانية متابعة دقيقة ومتتالية؛ وال من الأمور المهمة التخطيطية الرئيسية لإنجاح أي خطة عامة للدولة.

ـ إن أي خطة توضع لحل وعلاج أزمة ما إن لم يكن لها متابعة دائمة فإنها لا تسير بنظام بل إنها تتعثر.

ـ لهذا اتبع يوسف عليه السلام خطة معينة مع الإداريين والمساعدي لإنجاح خطته السبعية الأولى والثانية بأن يتابع مساعديه وإدارييه في وتطبيق الخطة.

ـ أخذ في المتابعة الشهرية والسنوية الدورية لمقاييس ارتفاع وان منسوب المياه في النيل حتى تسير خطته الزراعية على أسلوب سليم.

ـ معروف لدى الجميع في جامعات العالم أن قدماء المصريين برعوا في الري وهندستها.

- وبالتالي فإن لمتابعة النيل ومناسيبه من ارتفاع وانخفاض عن طريق المقاييس أثرها كما نرى الآن مقياس النيل في الروضة وهي من المقاييس القديمة في مصر.
- ومتابعة المحاصيل الزراعية المنتجة سنوياً من مصر حتى يتسنى ليوسف عليه السلام احتساب استهلاك جزء من هذا المحصول والآخر يحفظ في المستودعات التي بناها.
- إن متابعة النيل والزراعة وما إلى ذلك أدى بدوره إلى حسابات دقيقة دورية في غاية الأهمية، والمتابعة الدورية الحسابية لذلك ولمعرفة حركة المخزون من القمح سواء الوارد أو المنصرف طوال الشهر... فمعرفة رصيد المخزون عامل هام في إنجاح الخطة.
- ولا يخفى على القارىء أهمية متابعة الخطة الأمنية في البلاد لحفظ أمنها من العابثين، على أنه لو أخذنا باحتمال استعمال البطاقات في التوزيع فإن الأمر يقتضي نظاماً خاصاً تقنياً كدراسة الحالة الاجتماعية والأسرية من زيادة في المواليد أو التزاوج وإنشاء أسر منفصلة عن الأسرة الأم أو نقصان بالوفاة. كل ذلك يحتاج إلى متابعة تخطيطية اجتماعية دورية من العاملين الإداريين بالخطة.

٤ ـ المحظورات والمنهيات الإسلامية عند تطبيق الخطة العامة

عندما طبق يوسف عليه السلام الخطة السبعية الأولى والثانية واجه بعضاً من المعوقات الاقتصادية التي قد تعوق بعض الخطط بصفة عامة وهي من المحظورات الإسلامية بصفة عامة، ومنها:

أ ـ إتبـاع الشيطـان:

حذرنا الله تبارك وتعالى من اتباع خطوات الشيطان... قال سبحانه في كتابه الكريم في سورة البقرة:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾. الآية ٢٠٨

﴿ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾. الآية ٢٦٨ (البقرة).

وقد أكدت آيات كثيرة بأن الشيطان عدوٌ مبين للإنسان وإذا كان الله قد بين الداء فقد وصف الدواء... فقد جاء في سورة الأعراف:

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾
آية (٢٠٠).

وقد ذكر لفظ الشيطان في سورة يوسف ثلاث مرات في مواضع مختلفة... أولها على لسان يعقوب عليه السلام عندما سمع رؤيا يوسف عليه السلام. في الآية (٥) من سورة يوسف:

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَـٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَـٰتٍ ۖ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَـٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾. كما ذكرت الآية (٤٣) من سورة يوسف:

وفي السورة نفسها في الآية (١٠٠):

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

توضح لنا هذه المواقف... مدى عداوة الشيطان للإنسان وضرورة الحذر منه.

وعندما تولى يوسف عليه السلام منصب المسئول عن خزانة مصر استطاع بفضل الله وتوفيقه أن يضع خططه لينقذ شعب مصر من القحط... ووضع في الاعتبار ضرورة حماية مستودعات القمح والغلال من اللصوص والعابثين الذين قد يتسلل الشيطان إلى نفوسهم الضعيفة فيسرقون القمح ويبيعونه في السوق السوداء... خاصة وأن مصر مرت بظروف صعبة وحرجة آنذاك... لذلك اتخذ يوسف عليه السلام كافة الاحتياطات الأمنية من قوانين ولوائح وتعزيز قوات الحراسة والتفتيش والمراقبة كي يمنع العابثين واللصوص من سرقة صوامع الغلال على أن نشر الوعي الديني كان ولا زال أهم العوامل في التغلب على هذه العقبة وهذا العدوّ اللدود... والناظر في قصة يوسف عليه السلام يجد أنه قد وجه همه بل كل همه إلى نشر دعوته دعوة التوحيد والإيمان... ويستفاد من هذه القصة أن نستعيذ بالله تبارك وتعالى من الشيطان الرجيم عندما نواجه صعاباً أو عقبات في حياتنا اليومية... وألا نجعل الشيطان يتسلل إلى أفكارنا... أو تصرفاتنا فديننا الإسلامي الحنيف وضع لنا أسس النجاة من وسوسة الشيطان...

ب ـ الغش:

عندما تحدث أزمة مثل هذه التي حدثت في أرض مصر على عهد يوسف فكثير من الناس من ذوي النفوس الضعيفة يتحايلون على التعليمات

والأنظمة التي وضعها الإداريون لحل المشكلة التي تواجهها البلاد. لذلك ألهم الله تعالى يوسف عليه السلام تنظيم وحل هذه المشكلة بلا خداع أو غش فتعلمنا من هذه القصة أنه عند حدوث أي مشكلة في البلاد ألا نغش أو نتحايل.

جـ - الجشع:

من الطبيعي أن نواجه كثيراً من الجشع والتلاعب بين الناس للحصول على الأرزاق حيث إننا نرى أنه وقت الحروب والأزمات الاقتصادية كثيراً ما تقنن الدولة لكل أسرة احتياجاتها اللازمة لها... وبالتالي فإن كثيراً من أصحاب النفوس الضعيفة يسيطر عليها الجشع والطمع وحب الحال إلا أن أصحاب النفوس المؤمنة لا يفعلون ذلك بل يتعاونون مع رجال الدولة وأنظمتها وتعليماتها لحل هذه الأزمة. وهذا ما وقع فعلاً من تعاون وبعد عن الجشع إبان الأزمة على عهد يوسف بدليل نجاح الخطة.

د - الإحتكار:

عندما وضع يوسف عليه السلام خطته لمواجهة الأزمة التي تعرضت لها مصر خلال السبع سنوات العجاف حرم على نفسه الاحتكار فلم يحتكر السلعة لمصر وحدها ولم يحتكرها زمن القحط بحجزها عن شعب مصر منتهزاً الفرصة لرفع السعر وتحقيق دخل مرتفع... وما ذلك إلا لأن الاحتكار مرض اقتصادي أشبه بمرض الفيل في ظاهرة الضخامة في حين أنه يمضي بمريضه إلى القبر... وما أصيبت أمة ما من الأمم بهذا الداء العضال إلا فتت اقتصادها وضاع منها الطريق إلى مقصدها ومن ثم حرمه الإسلام وحذر منه، يقول الرسول الخاتم «من احتكر فهو خاطىء» ويقول عليه السلام: «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون» ويقول: «من احتكر طعاماً أربعين يوماً فقد بريء من الله وبريء الله منه» كما يقول المصطفى عليه السلام: «من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقاً على الله أن يعقده بعظم من النار يوم القيامة» ومن ذلك قولة عليه السلام: «من احتكر حكرة يريد أن يغلي بها على المسلمين فهو خاطىء»، «من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله

بالجذام والإفلاس» هذا هو منهج الله الذي نهجه رسله عليهم السلام: «لا ضرر ولا ضرار» وما أدراك ما ضرر الاحتكار؟.

منهج الله في البذل والعطاء ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ البقرة آية ٢٣٧... منهج الله ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾ النور الآية (٢٢).

منهج الله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٩﴾ سورة سبأ الآية رقم ٢٩.

منهج الله: ﴿المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخونه إن كان عندك خير فعد به إلى أخيك ولا تزده هلاكاً على هلاكه...

منهج الله: ﴿فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه﴾...

وإذا كان المنهج الرباني يحارب الطمع والجشع والأنانية بمحاربته الاحتكار فقد أعطى هذا المنهج الحق لولي الأمر أن يتدخل في أحوال السوق لمنع الاحتكار وعلاج الأزمات الاقتصادية، فلولى الأمر أن يأمر ببيع السلع المحتكرة وإزالة الظلم ومعاقبة المحتكر بما يراه، فعقوبة الاحتكار عقوبة تعزيرية يقدرها الحاكم حسبما يراه وفقاً للصالح العام... ومن هذا المنطلق منطلق العدل في الأسواق كانت نظرية العرض والطلب.

ولنا أن نتساءل وقد علمنا أن يوسف عليه السلام لم يحتكر السوق لنا أن نتساءل هل فعل يوسف المقابل وهو الإغراق: أي إغراق السوق التجارية بالسلع؟!!!.

إن المتتبع لأقوال المفسرين من أن يوسف عليه السلام لم يكن ليبيع أكثر من حمل بعير يعطينا مؤشرا على أن يوسف عليه السلام لم يغرق الأسواق بالسلع، وما ذلك إلا لأنه الخبير الذي يسير على منهج الله والذي يعلم تمام العلم أن الاحتكار والإغراق عمليتان خاطئتان لهما ما لهما من آثار سيئة على

سواق وبالتالي على الاقتصاد العام للدولة: فالاحتكار سوق تجارية مفتعلة حبس العرض أمام الطلب المتزايد، الأمر الذي يحدث أزمة اقتصادية إذ تخفض القوة الشرائية للعملة مما يؤدي إلى التضخم نتيجة عدم التوازن بين معرض والطلب، في حين أن الإغراق هو الآخر لا يخرج ضرره عن ضرر مقابله... وهو الاحتكار ذلك لأن الإغراق أزمة مصطنعة من جانب آخر من جوانب الموازنة للأسواق ألا وهو طرف العرض، فزيادة العرض زيادة كبيرة عن الطلب تؤدي إلى الركود فيحدث الإنكماش الذي تنعكس ظلاله على الفرد والاقتصاد العام للدولة... وهنا تظهر الحكمة السامية الغالية في نهي الرسول الكريم محمد ﷺ عن الإغراق في قوله عليه السلام: «لا تغرقوا الأسواق بالبضائع» نعم إن العرض والطلب جناحان متلازمان للسوق الناهضة النشطة، ومعلوم أن في زيادة أحد الجناحين تهاوٍ للطائر، فالإغراق والاحتكار يمثلان حدي التطرف لقانون العرض والطلب.

فما أروع منهج الله الذي ألهمه رسله... ما أروع منهج الله في الدعوة إلى التوازن والاعتدال ونبذ التطرف...

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ سورة الإسراء الآية رقم (٢٩).

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ الفرقان الآية (٦٧).

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾

سورة الأعراف الآية رقم (٣١).

لم يفكر يوسف قط في احتكار القمح أو الغلال لحساب الدولة... كما أنه لم يرفع الأسعار، بل قام بتوزيع هذه السلع الأساسية الضرورية في حياة الناس بالعدل والقسطاس على كل أسرة مراعياً الشعوب المجاورة لمصر، لأن يوسف عليه السلام يعلم تماماً أن الاحتكار من المحظورات التي نهى الله

تبارك وتعالى عنها. كما أنه لم يغرق الأسواق بالسلع لما لذلك من أثر سي على الاقتصاد.

وصور الاحتكار في المجال الاقتصادي عديدة ومتنوعة وقد حدث لرسول الله محمد ﷺ بعد أن كلفه الله عز وجل بالدعوة لعبادة الله وحده... أن علقت قريش الصحيفة في جوف الكعبة وهي تنص على مقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب وجميع المسلمين الذين آمنوا برسالة محمد ﷺ وحذرت من التعامل معهم... واحتكرت قريش الأرزاق بهذا الصنيع، وحظرت البيع أو الشراء والتعامل بأي شكل مع المسلمين وظلت الصحيفة معلقة في الكعبة ثلاث سنوات... فهذه الصورة من الاحتكار منبوذة... ومنهي عنها ولا تحلها كافة الشرائع السماوية أو الأنظمة الاقتصادية العالمية.

وهكذا نستفيد من هذه المواقف أن الاحتكار ضار بالحياة الاقتصادية وأن الإنسان الذي يحتكر أي سلعة بهدف زيادة السعر وقتما يشاء... قد يستفيد بعض الوقت لكنه في النهاية يضر بمصلحة أبناء وطنه واقتصاد بلده، فالاحتكار من المحرمات والمحظورات التي حرمها الله عز وجل، كما أن الإغراق منهي عنه...

٥ ـ الصفات والأخلاق الإسلامية في تطبيق الخطة العامة:

من خلال حديثنا عن المحظورات والمنهيات التي تعد أكبر معوق للتخطيط ينبغي أن نتحدث عما يجب التحلي به من صفات وأخلاقيات ومعذرة لو أكثرنا من الحديث عنها في هذا المؤلف وما ذلك إلا للأهمية القصوى إذ أنها سبيل السعادة في الدارين. إن الأخلاق والصفات تلعب دوراً كبيراً أثناء تطبيق الخطة العامة التي تتبعها الدولة سواء الصفات الدينية أو الثقافية أو التوعية العامة لأفراد الشعب بتعليمهم خطة الدولة التي تنتهجها لحل الأزمة الاقتصادية التي تمر بها البلاد، فهي من الأمور المهمة والرئيسية في التخطيط العام. ونورد فيما يلي أهم ما ينبغي التحلي به من صفات:

أ ـ الحــق والعــدل:

ذكرت كلمة الحق في مواضع كثيرة من آيات القرآن الكريم كما ذكرت كلمتي الحق والعدل معاً في سورة البقرة الآية (٢٨٢). آية الدين.

والحق أحد أسماء الله الحسنى... والله عز وجل هو الذي يحق الحق بكلماته وهو الذي أنزل الكتاب بالحق كما أرسل محمداً عليه الصلاة والسلام بالحق بشيراً ونذيراً والله عز وجل خلق السموات والأرض بالحق... كما أن قوله ووعده الحق. ويعتبر الحق أساس المعاملات الإقتصادية اليومية بين الناس في مجالات التجارة والاقتصاد المتعددة...

ويوسف عليه السلام بتخطيطه وتطبيقه للخطة المستقبلية البعيدة المدى للدولة أعطى كل ذي حق حقه خاصة فيما يتعلق بوضع الخطة ذات الأربع عشرة سنة وما تحتاجه من جهد وعمل لتنفيذها بواسطة الإداريين والفنيين... أعطى كل ذي حق حقه من ناحية الراتب لمن عمل معه وأعطى كل ذي حق حقه عند التوزيع للغلال فلا ظلم ولا ضرر ولا ضرار يقول الحق سبحانه حكاية عن تصرفاته عليه السلام: «ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين». (الآية ٥٩ من سورة يوسف).

والعدل من النظم الإسلامية الأساسية التي ينبغي اتباعها خاصة عند استعمال الموازين والمكاييل وكل ما يتعلق بالبيع والشراء. فليس العدل قاصراً على القضاء فحسب بل إنه ليتعداه إلى كل مجال حتى داخل الأسرة نفسها...

فإذا ما توفر العدل في الوزن والكيل وفقاً لمنهج الشريعة الإسلامية عم الرخاء وانتعشت الأسواق ونعم الناس بالربح الحلال.

كان العدل أساس التخطيط والتطبيق السليم الذي اتبعه يوسف عليه السلام في وضع خططه وتنفيذها، وبذلك تمكن من اجتياز المحنة التي تعرضت لها البلاد ومن ثم لجأ المحتاجون إلى عدله.

قال سبحانه: **﴿فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين﴾**. (الآية ٨٨ من سورة يوسف).

ب - الاستقامة:

عنصر الاستقامة هو تعبير ديني ذو ارتباط اقتصادي نابع من حياة الإنسان من خلال أفعاله وتصرفاته في حياته الدنيا... فيوسف عليه السلام بصدقه واستقامته - كما قال الله تعالى: **﴿إنه من عبادنا المخلصين﴾** آية ٢٤ من سورة يوسف - في حياته الدنيوية رغم الاغراءات الدنيوية. وثق فيه ملك مصر فجعله على خزائنها يتصرف فيها حيث يشاء كوزير يخطط ويطبق ويعدل في استقامة.

جـ - الزهد:

استطاع يوسف عليه السلام أن يعمل على نجاح خطته السبعية في مصر بأخلاقه الكريمة فهو الزاهد وهو المصلي الذي يعرف ربه ولا يكذب وهو العفيف الذي قاوم الإغراءات الدنيوية الكثيرة، ورحب بدخول السجن فراراً من المعصية... **﴿قال رب السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه﴾**. آية (٣٣).

فلما برئت ذمته وظهرت براءته وتولى أخطر المناصب زهد في الدنيا فلم

يأكل ليشبع وإنما فكر في الشعب قبل نفسه. فأحسن التصرف وكان من المحسنين فاستحق ثناء الله سبحانه وتوفيقه ورعايته ومساعدته في نجاح خطته، قال سبحانه: ﴿ولا نضيع أجر المحسنين﴾[1] أي لا نضيع أجر من أحسنوا في أعمالهم. . . أما من يسيئون فتصيبهم النكبات وتتوالى عليهم الأزمات مهما كانت الخطط والمخططات سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

د ـ المسئولية:

ونعني بذلك أن يتحمل كل إنسان مسئوليته تجاه ربه ووطنه، فعلى الإنسان أن لا يتخلى عن المسئولية وليأخذ من قصة يوسف عليه السلام السلاح أروع الأمثال في تحمل المسئولية لا في مجرد طلبها فقط من أجل منصب أو جاه، فيوسف عليه السلام النبي المؤمن برسالة ربه طلب من الملك وهو واثق من نفسه مؤمن بضرورة تحمل المسئولية بطلبها لا من أجل سلطان ولا جاه وإنما من أجل شعب وأمة. . . ﴿قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾.

ولأهمية المسئولية في التخطيط والتطبيق وبخاصة على مستوى الإدارة العليا للدولة نذكر طرفاً مما ذكره الإمام القاسمي[2] في هذا الشأن:

٦ ـ جودة المصورة والقوة المخيلة حتى تأتي بالأشياء تامة الوضوح ﴿إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾[3].

٧ ـ استعداده للعلم، وحبه له، وتمكنه منه، ﴿واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾[4]، ﴿ولما بلغ أشده، آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين﴾[5]. ﴿رب قد آتيتني من

---

(١) الآية ٥٦ من سورة يوسف.

(٢) الإمام القاسمي، سورة يوسف، آية (١١١) ص ٣١٠: ٣١٢ م ٩.

(٣) الآية ٤ من سورة يوسف.

(٤) الآية ٣٨ من سورة يوسف.

(٥) الآية ٢٢ من سورة يوسف

الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث﴾[1].

٨ - شفقته على الضعفاء وتواضعه، مع جلال قدره وعلو منصبه. فخاطب الفتيين المسجونين بالتواضع فقال: ﴿يا صاحبي السجن...﴾[2] الآية وحادثهما في أمور دنياهما ودينهما، فالأول بقوله: ﴿لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله﴾[3]. والثاني بقوله: ﴿إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله...﴾[4] الآية وشهدا له بقولهما: ﴿إنا نراك من المحسنين﴾[5].

٩ - العفو مع القدرة ﴿قال لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾[6].

١٠ - إكرام العشيرة ﴿وائتوني بأهلكم أجمعين﴾[7].

١١ - قوة البيان والفصاحة بتعبيره رؤيا الملك واقتداره على الأخذ بأفئدة الراعي.

قال الإمام القاسمي[8] نقلاً عن الفارابي في المدينة الفاضلة...

إن سيدنا يوسف عليه السلام حاز من كمال المرسلين وجمال النبيين. ولقد جاء في سيرته هذه ما يتخذه عقلاء الأمم هدى لاختيار الأكفاء في مهام الأعمال، إذ قد حاز الملك والنبوة. ونحن لا قبل لنا بالنبوة لانقطاعها، وإنما نذكر ما يليق بمقام رئاسة المدينة الفاضلة ولنذكر منها ثلاث عشرة خصلة هي أهم خصال رئيس المدينة الفاضلة لتكون ذكرى لمن يتفكر في القرآن.

---

(١) الآية ١٠١ من سورة يوسف
(٢) الآية ٣٩ من سورة يوسف.
(٣) الآية ٣٧ من سورة يوسف.
(٤) الآية ٣٧ من روسة يوسف.
(٥) الآية ٣٦ من سورة يوسف.
(٦) الآية ٩٢ من سورة يوسف.
(٧) الآية ٩٣ من سورة يوسف.

أهم ما اشترطه الحكماء في رئيس المدينة الفاضلة:

١ - العفة عن الشهوات ليضبط نفسه وتتوافر قوته النفسية ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾[١].

٢ - الحلم عند الغضب، ليضبط نفسه ﴿قالوا: إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم﴾[٢].

٣ - وضع اللين في موضعه والشدة في موضعها ﴿ولما جهزهم بجهازهم قال ائتون بأخ لكم من أبيكم، ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين. فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون﴾[٣] والصدر للين والعجز للشدة.

٤ - ثقته بنفسه ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾[٤].

٥ - قوة الذاكرة ليمكنه تذكر ما غاب ومضى له سنون، ليضبط السياسات ويعرف الناس أعمالهم ﴿وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون﴾[٥].

والرعية والسوقة، ما كان هذا إلا بالفصاحة المبنية على العلم والحكمة ﴿فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾[٦].

١٢ - حسن التدبير ﴿فما حصدتم فذروه في سنبله...﴾[٧] الآية. ثم تأمل في اقتدار يوسف عليه السلام على سياسة الملك، وكيف اجتذب إليه

(١) الآية ٢٤ من سورة يوسف.
(٢) الآية ٧٧ من سورة يوسف.
(٣) الآيتان ٥٩، ٦٠ من سورة يوسف.
(٤) الآية ٥٥ من سورة يوسف.
(٥) الآي ٥٨ من سورة يوسف.
(٦) الآية ٥٤ من سورة يوسف.
(٧) الآية ٤٧ من سورة يوسف.

القلوب بالإحسان ﴿وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم...﴾[1] الآية، ودبر الحيلة العجيبة بمسألة الصواع والإتهام بالسرقة ليضم أخاه إليه ﴿فبدأ بأوعيتهم...﴾[2] الآية، وعامل المحكومين بشرعهم ودينهم وملتهم وعادتهم، كما كان عليه جميع الأمم الشرقية الحية من الرفق بالأمة المحكومة لهم فيسوسونهم بدينهم وعادتهم وشرعهم وأخلاقهم وأموالهم اتباعاً لما رسمته الشريعة الغراء مما يناسب حكم سيدنا يوسف عليه السلام، وذلك أنه أمر أتباعه أن يسألوهم ﴿قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين﴾[3] الآية، فكانت شريعة بني يعقوب أن يستعبدوا السارق سنة عند صاحب المتاع فعاملهم بما هم عليه، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم﴾[4]، امتدح على حسن خطته في السياسة ومراعاته عادة أولئك القوم. وهذه ـ وإن كانت مسألة بسيطة الظاهر ـ فهي أم السياسة ورأس علوم العمران، وأول ما يوصى به السواس والعقلاء.

إن قصص القرآن جميعها مملوءة بالحكم كهذه القصة وفي كل واحدة منها ما ليس في الأخرى كأنها ثمرات مختلف لونها.

---

(١) الآية ٦٢ من سورة يوسف.
(٢) الآية ٧٦ من سورة يوسف.
(٣) الآية ٧٤ من سورة يوسف.
(٤) الآية ٧٦ من بسورة يوسف.

٦ ـ نتيجة الخطة المستقبلية للدولة في قصة يوسف عليه السلام الملامح الإسلامية في علوم التخطيطات الاقتصادية:

من خلال تطبيق الخطة السبعية الثانية عرفت علوم الخطة العامة للدولة وكان أستاذها الأول يوسف عليه السلام بعد أن اصطفاه الله ومكنه في الأرض ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين﴾ آية (٥٦). وأهم هذه العلوم:

أ ـ علم التقسيم الإداري لمصر:

قسم يوسف عليه السلام مصر إلى أقسام إدارية تشبه ما هو سارٍ اليوم من المحافظات والمراكز والقرى والمدن طبقاً لهيكل عام اقتضته مصلحة التخطيط، ولعل فيما قاله الإمام القاسمي إشارة إلى نوع من التقسيم الإداري لمصر[1] إذ يقول:

وذلك أن الأرض أخصبت سبع سنين، وأخرجت من بركاتها ما يعادل رمل البحر كثرة، فجمع يوسف غلالها، وجعل في كل مدينة غلال ما حولها من الحقول.

ب ـ علوم المستودعات والتخزين:

عندما وضع يوسف عليه السلام الخطة السبعية الأولى إبان وفرة الخيرات في مصر استلزم ذلك إنشاء مستودعات لتخزين الحبوب والقمح... على نحو ما أشرنا إليه من قبل.

ومن هذا المنطلق نشأت علوم تخزين الحبوب وكيف يتم حفظها في مستودعات آمنة دون أن تتعرض الحبوب للتلف من الحشرت أو الرطوبة أو العفن أو غير ذلك من الأمراض الأخرى...

حرص يوسف عليه السلام أن يترك القمح كما هو على حالته الطبيعية

---

(١) الإمام القاسمي، سورة يوسف، من آية (٥٨: ٦٥) ص ٢٤٥: ٢٤٩ م ٩.

دون نزع قشرته في مستودعات تخزين القمح حتى لا يفسد ويظل القمح سنين طوالاً محتفظاً بحالته وسلامته من التسوس والعفونة... والمعروف أنه عندما تنزع قشرة القمح فإنه يتعرض للتسوس والعطب... قال الله تعالى في سورة يوسف:

﴿.... فما حصدتم فذروه في سنبله....﴾ الآية (٤٧).

وقد أشار إلى ذلك ابن عطية[1] في تفسيره للآية بقوله: إنها إشارة برأي نبيل نافع بحسب طعام مصر وحنطتها التي لا تبقى عامين بوجه إلا بحيلة إبقائها في السنبل، فإن الحبة إذا بقيت في خبائها انحفظت، والمعنى: اتركوا الزرع في السنبل إلا ما لا غنى عنه للأكل، فيجتمع الطعام هكذا ويتركب، ويؤكل الأقدم فالأقدم، فإذا جاءت السنون الجدبة تقوت الناس الأقدم فالأقدم، من ذلك المدخر، وادخروا أيضاً الذي الذي يصاب في أعوام الجدب على قلته، وحملت الأعوام بعضها بعضاً حتى يتخلص الناس.

جـ ـ العلوم المالية والمحاسبية:

طبق يوسف عليه السلام في خطته السبعية الأولى والثانية منهاج النظام الحسابي لحساب الجوانب المالية وبناء المستودعات والقوى العاملة البشرية وما يلزمها من رواتب وكذلك أحدث وظائف جديدة في الدولة من موظفي المخازن والمستودعات وقوات الأمن الخاصة والحدود مما استلزم عمليات مالية ومحاسبية، كذلك يجب أن لا ننسى محاسبة المخزون من القمح والحبوب وعمليات البيع فيه يومياً وتقدير احتياج مصر والشعوب المجاورة وقد سبق أن نوهنا إلى ذلك.

د ـ الثروة القومية:

ليست الثروة القومية مادة فحسب بل إنها فكر وعمل نظام واحترام لهذا النظام مسئولية وأمانة تلكم هي الثروة القومية الحقة التي أنبتها يوسف عليه

---

(١) تفسير ابن عطية، أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، ص ٥٢٦ ج ٧.

السلام على أرض الواقع في مصر، فاستفاد من الإمكانات المتاحة مادية وبشرية وأعطى من فكره ما أعطى مما جعل من هذه الأمور ثروة قومية حقة يجب ألا تهمل بل يجب المحافظة عليها واستخدامها استخداماً أمثل.

هـ ـ الإنتاج الوطني:

بعد أن تحدثنا عن الثروة القومية يجب أن نعلم أن الإنتاج عامل مهم في الحياة الاقتصادية للفرد والأمة، والإنتاج الوطني لا يمكن أن يؤتي ثماره إلا في ظلال تخطيط سليم لاقتصاد متين.

و ـ القوى البشرية العاملة:

سبق أن قلنا أن القوى البشرية أحد عناصر الثروة القومية ومن ثم لم تهمل في قصة يوسف عليه السلام وإنما استخدمت استخداماً علمياً أمثل حسب احتياجات الخطة العامة للدولة سواء من ناحية بناء وتشغيل وصيانة مستودعات صوامع الغلال أو العمل في مجال الشئون الإدارية للدولة من مراقبة وتفتيش وأعمال إضافية إلى غير ذلك في جو من العلاقات الإنسانية السامية سواء ما كان منها بين العاملين أو بين الدولة وجيرانها، فقد راعى يوسف جيرانه وأكرم وفادتهم وأحسن ضيافتهم وجهزهم بجهازهم في وقت ما أحوج فيه البلاد إلى كل ذرة من إنتاج، ولأهمية القوى البشرية والعمل الذي تقوم به فإنه من المناسب أن نذكر طرفاً من الحديث عن وجوب استثمار الموارد الطبيعية بالعمل ولا عمل إلا بالقوى البشرية فنقول:

حينما استخلف الله الإنسان في الأرض لم يتركه سدى وإنما قال سبحانه وتعالى: **﴿إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾** طه ١١٨، ١١٩ وما ذلك إلا لأن الحق سبحانه استخلف الإنسان في الأرض لتعميرها **﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾** هود آية ٦١، اشترط الحق سبحانه وتعالى لقاء الأمان من الجوع والعرى والظمأ إلخ... أن يخالف الإنسان النفس والشيطان والهوى **﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى،** قال

رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه...﴾ (طه ١٢٣ - ١٢٧).

ومن آياته سبحانه وتعالى أن سخر الكون كله للإنسان وطالبه بالعمل والحركة من أجل الحياة ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ لقمان (٢٠) ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾ الجاثية (١٣) ﴿... فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ الملك (١٥) ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ الآية ١٩ الأحقاف. فالعمل من أجل الإنتاج والحصول على الثمار المعنوية والمادية واجب، قال الإمام ابن تيمية في كتابه «السياسة الشرعية» ص ٤٥ : «الأصل أن الله تعالى إنما خلق الأموال إعانة على عبادته لأنه خلق العباد لعبادته». ولا جدال في أن الهدف من العمل هو تنمية الموارد المتاحة وتثميرها استثماراً أمثل ليحصل الإنسان على إنتاج يسد به حاجاته فيقوي على عباداته فالعمل تكليف رباني، يقول رسول الإسلام عليه السلام: «التمسوا الرزق في خبايا الأرض». ولمكانة العمل وسمو منزلته وباعتباره أحد العناصر الهامة في الإنتاج كالموارد الطبيعية ورأس المال والتنظيم الذي يعتبر عصب الاقتصاد لهذه المكانة وتلك المنزلة كان العمل قرين الجهاد ﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله﴾ المزمل (٢٠).

من هذا المنطلق وفي إطار المنهج الرباني استثمر يوسف عليه السلام عناصر الإنتاج استثماراً أمثل في خطته السبعية الأولى:

- ففي خطة السبع السمان استفاد بالموارد الطبيعية من الفيضان وخصوبة الأرض وتوافر العمالة والعمل الدائب وتواجد رأس المال بل عمل على تجميعه لسنوات القحط عن طريق تجميع المدخرات ﴿قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون﴾ وبالتالي حقق الكفاية الإنتاجية بالكفاءة التنظيمية والتدريب العلمي والعملي...

ز ـ علم التقنين والتقسيم للخطة:

بين الله تعالى في قصة يوسف أن التقسيم الإداري مهم لإنجاح الخطة السبعية الأولى والثانية... وقد بين يوسف عليه السلام أن التوزيع للغلات والأرزاق على شعب مصر والشعوب المجاورة يستلزم عملية تقسيم (إي نظام البطاقات العائلية المعمول بها حالياً) وذلك بعمل نظام معين للأفراد والأسر لصرف الأرزاق عليهم بطريقة نظامية ومحددة حسب جدول زمني لهم وتدخل ضمن الخطة السبعية الثانية للقحط حتى لا يحدث فوضى وهرج في عملية توزيع الأرزاق خصوصاً في فترة السنين السبع العجاف.

ولهذا لم نسمع في قصة يوسف أنه حدث شيء ما ـ لا سمح الله ـ يعوق نجاح الخطة السبعية الثانية بل أن يوسف مر بهذه الأزمة بنجاح وكله توفيق من عند الله... فمن هذا المنطلق فإن عملية التقسيم الأسري والتقنين لهم حسب جدول زمني معين تعتبر عاملاً مهماً ضمن الخطة السبعية الثانية، وهي من الضروريات الأساسية في علم التخطيط حسب قصة يوسف.

وفيما يختص بمعنى التقسيم والتقنين... قال الإمام ابن كثير[1]:

ذكر السدي ومحمد بن إسحاق وغيرهما من المفسرين أن السبب الذي أقدم إخوة يوسف بلاد مصر أن يوسف عليه السلام لما باشر الوزارة بمصر ومضت السبع سنين المخصبة ثم تلتها السبع سنين المجدبة وعم القحط بلاد مصر بكمالها ووصل إلى بلاد كنعان وهي التي فيها يعقوب عليه السلام وأولاده، وحينئذ احتاط يوسف عليه السلام للناس في غلاتهم وجمعها أحسن جمع فحصل من ذلك مبلغ عظيم وهدايا متعددة هائلة وورد عليه الناس من سائر الأقاليم والمعاملات، يمتازون لأنفسهم وعيالهم فكان لا يعطي الرجل أكثر من حمل بعير في السنة، وكان عليه السلام لا يشبع نفسه ولا يأكل هو والملك وجنودهما إلا أكلة واحدة في وسط النهار حتى يكتف الناس بما في أيديهم مدة السبع سنين وكان رحمة من الله على أهل مصر.

(١) الإمام بن كثير سورة يوسف من آية (٥٨) حتى (٦٥) ص (٤٨٣).

ورد في تفسير الإمام الطبري(١):

وكان يوسف حين رأى ما أصاب الناس من الجهد قد ساوى بينهم وكان لا يحمل للرجل إلا بعيراً واحداً ولا يحمل للرجل الواحد بعيرين تقسيطاً بين الناس وتوسيعاً عليهم.

وقال الإمام الزمخشري في الكشاف(٢):

«إنه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط».

وقال الأستاذ سيد قطب:

إن يوسف ـ عليه السلام ـ كان يعطي كل واحد وسق بعير ـ وهو قدر معروف ـ ولم يكن يبيع كل مشتر ما يريد. وكان ذلك من الحكمة في سنوات الجدب، كي يظل هناك قوت للجميع..

وكذلك قال الإمام الرازي(٣) حول التقسيم والتقنين:

إن عادة يوسف عليه السلام مع الكل أن يعطيه حمل بعير لا يزيد عليه ولا ينقص، وإخوة يوسف الذين ذهبوا إليه كانوا عشرة، فأعطاهم عشرة أحمال.

وجاء في تفسير الآيات من (٥٨) حتى (٦٥) من سورة يوسف، للإمام الرازي(٤) حول «الرجل الصالح العادل ذو السمعة الطيبة، ما يلي:

---

(١) الإمام الطبري، سورة يوسف، من آية (٥٨ حتى ٦٥) ص ٥ حتى ٩.

(٢) الإمام الزمخشري في الكشاف، سورة يوسف من (٥٨ حتى ٦٥) ص ٣٣٠ حتى ٣٣١.

(٣) الإمام الرازي، سورة يوسف، من آية (٥٨ حتى ٦٥) ص ١٦٥ حتى ١٧١ م ٢٢ ج ١٨.

(٤) الإمام الرازي، سورة يوسف من آية (٥٨ حتى ٦٥) ص ١٦٥ حتى ص ١٧١ م ٢٢ م ٨ فصل ٦ (٧).

أعلم أنه لما عم القحط في البلاد، ووصل أيضاً إلى البلدة التي كان يسكنها يعقوب عليه السلام وصعب الزمان عليهم فقال لبنيه أن بمصر رجلاً صالحاً يعين الناس فاذهبوا إليه بدراهمكم وخذوا الطعام فخرجوا إليه وهم عشرة.

٨ - تحليل الخطة السبعية الثانية للدولة على ضوء آيات القرآن الكريم

	الآية الكريمة	الجانب التخطيطي	الجانب الإداري	الجانب الاقتصادي	الجانب الفني	السورة
٤٨	ثم يأتي من بعد ذلك.	تحديد تقسيم الخطة المستقبلية لسنين سبع زمنية أولى وثانية.	بداية مرحلة جديدة مختلفة عن الفترة الإدارية الأولى والثانية.	تحديد ورسم الجانب الاقتصادي للفترة الثانية بوضع تخطيط سياسة استهلاكية اقتصادية.	احتساب الجانب التقنيني واحتساب تقسيم توزيع الغلال بنسب فنية دقيقة حسابية إحصائية عددية.	يوسف
	سبع شداد.	معرفة السبع السنين القحط القادمة أي للأزمة الاقتصادية الزراعية.	وضع خطة إدارية ومسئولية الجهاز الإداري برسم خطة توزيع المحصول بمعدل زمني إداري للشعب.	التوزيع الاقتصادي التوازني للسبع السنين الشداد بتقسيم زمني اقتصادي لمخزون القمح بنسبة السنين السبع العجاف القادمة.	احتساب عدم تسويس القمح وصيانة فنية لسلامة مستودعات تخزين القمح.	
	يأكلن.	حددت تلك الفترة الزمنية بزوال النعمة لمعرفة التخطيط المستقبلي لخواص وصفة الخطة السبعية الثانية.	التشدد الإداري لسنين القحط بالمراقبة الإدارية والإشراف المرسوم للخطة الزمنية الإدارية.	احتساب كل كمية تصرف سنوياً منها وشهرياً بنسبة اقتصادية تقنية حسابية.	احتساب الكمية المتبقية من المخزون العام بجدول زمني بالتعادل إلى تطبيق الخطة من الجانب الفني لها.	

تحليل الخطة السبعية الثانية للدولة على ضوء آيات القرآن الكريم

الرقم	الآية الكريمة	الجانب التخطيطي	الجانب الإداري	الجانب الاقتصادي	الجانب الفني	السورة
٤٨	ما قدمتم لهن إلا قليلاً	رسم سياسة تطبيقية ميدانية للتخزين للسنين السبع القحط بتحديد ومعرفة التقسيم الزمني لكل سنة.	مراقبة المسئول الإداري الأول للخطة العامة للدولة بالمراجعة والزيارة الميدانية الإدارية.	مراجعة المسئول الأول للجدول الإقتصادي لمخزون القمح لوضع النظم والتعليمات لها.	رفع التقارير الفنية التقنية لكل مستودع ومخزن وتحديد معرفة تطبيق الخطة.	يوسف
	مما تحصنون	حددت رسم الهيكل العام للخلاص من الأزمة الاقتصادية الزراعية بوفرة التخزين العام للقمح لسني القحط السبع - تقسيم تقني حسابي لكل سنة.	المسئولية الإدارية الكاملة للمسئول الإداري الأول بإعطاء تعليماته ونظمه وملاحظاته من الناحية الإدارية لتوزيع القمح.	تطبيق الخطة الاقتصادية لتوزيع القمح لسنين القحط وحفظ المخزون العام للقمح من العابثين واللصوص واستتباب الأمن.	وضع التقارير الفنية عن المخزون العام للقمح للمسئول الأول وإعطاء اقتراحه وملاحظاته الفنية بذلك.	

ومن خلال ما دونه أهل الكتاب في باب التكوين الإصحاح الواحد والأربعون نعرض فيما يلي تحليلاً للخطة السبعية الثانية

	باب التكوين	الجانب التخطيطي	الجانب الإداري	الجانب الاقتصادي	الجانب الفني
٢٧	والبقرات السبع الرقيقة القبيحة التي طلعت وراءها هي سبع سنين. والسنابل السبع الفارغة الملفوحة بالريح الشرقية تكون سبع سنين جوعاً.	تعريف الخطة السبعية الثانية بسبع سنين جفاف لرسم السياسة التخطيطية لتلك الفترة واحتياجاتها.	بداية مرحلة إدارية سبعية ثانية مختلفة عن الفترة الأولى وتطبيق الجانب الإداري الدقيق بالملاحظة والمراقبة والإشراف.	رسم الهيكل الإقتصادي التخطيطي للفترة الثانية بوضع سياسة استهلاكية دقيقة لسبع سنين قادمة مجدبة.	احتساب الجانب الفني وتقسيم السنين السبع لتطبيق جوانبه الفنية الحسابية التقنية.
٢٨	هو الأمر الذي كلمت به فرعون. قد أظهر الله لفرعون ما هو صانع.	توضيح الجانب التخطيطي لولي الأمر لتلك الفترة ومدى احتياج البلاد.	وضع الأسليب الإدارية التنظيمة الإشرافية.	وضع السياسة الاقتصادية العامة للبلاد.	إكمال خطة الدولة الثانية من الجوانب الفنية.
٣٠	ثم تقوم بعدها سبع سنين جوعاً. فينسى كل الشبع في أرض مصر ويتلف الجوع الأرض.	وضع ورسم الهيكل العام لخطة الدولة الثانية للسبع سنين القحط بخطة حسابية اقتصادية لسد احتياجات البلاد من الجوع.	وضع خطة إدارية إشرافية دقيقة للسبع سنين القحط بهيكل إداري تنظيمي إشرافي سليم.	تطبيق توزيع القمح المخزون بخطة اقتصادية للسبع سنين العجاف وفق جدول تنظيمي زمني مرسوم.	رفع التقارير والملاحظات الفنية من المسائل الهامة لنجاح واجتياز تلك الفترة المجدبة.

تابع ما دونه أهل الكتاب في باب التكوين ـ الإصحاح الواحد والأربعون

الرقم	باب التكوين	الجانب التخطيطي	الجانب الإداري	الجانب الاقتصادي	الجانب الفني
٣١	ولا يعرف الشبع في الأرض من أجل ذلك الجوع بعده. لأنه يكون شديداً جداً.	وضع خطة سنوية من ضمن خطة الدولة الثانية للسبع سنين بجدول زمني تخطيطي تسد المجاعة والقحط بالبلاد.	تطبيق عملي إداري بجدول زمني بمراقبة إدارية شديدة في تلك الفترة.	الإشراف والمراقبة بالبلاد من النتائج الهامة لنجاح الخطة الاقتصادية الثانية في زمن القحط.	الإشراف الفني لتلك الفترة من المسائل الهامة لنجاح الخطة العامة للدولة.
٣٢	وأما عن تكرار الحلم على فرعون مرتين فلأن الأمر مقرر من قبل الله والله مسرع ليصنعه.	نعمة وفضل الله لينير لنا الطريق السليم لوضع التخطيط المناسب لتلك الفترة.	معرفة ولي الأمر المسئول الإداري الأول بالبلاد جوانب الحلم لإعطاء الأمر لإنقاذ البلاد من المجاعة.	معرفة ولي الأمر بما سيحدث بالبلاد من رخاء وجوع للبلاد ليتصرف وإعطاء الأمر حسب التنظيم الاقتصادي السليم.	معرفة ولي الأمر بما سيحدث ليتصرف وإعطاء المسئولية الكاملة لمن سيقود البلاد وينقذها من تلك الفترة التاريخية الاقتصادية.

خامساً: الخطة السنوية العامة للدولة

تفسير قوله تعالى:

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

الآية (٤٩).

١ - أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة.

جاء في تفسير الإمام الطبري[(١)]:

هذا خبر من يوسف عليه السلام للقوم عما لم يكن في رؤيا ملكهم ولكنه من علم الغيب الذي آتاه الله دلالة على نبوته وحجة على صدقه كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال: حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال ثم زاده الله علم سنة لم يسألوه عنها فقال: ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ويعني بقوله فيه يغاث الناس بالمطر والغيث.

وأما قوله وفيه يعصرون فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معناه وفيه يعصرون العنب والسمسم وما أشبه ذلك.

حدثني محمد بن سعد قال: حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون يقول يصيبهم غيث فيعصرون فيه العنب ويعصرون فيه الزيت ويعصرون من كل الثمرات.

---

(١) الإمام الطبري، سورة يوسف، الآية (٤٩) ص ١٣٧ م ١٨.

وورد في تفسير الإمام الجوزي[1]:

قوله تعالى: ﴿فيه يغاث الناس﴾ فيه قولان:

أحدهما: يصيبهم الغيث، قاله ابن عباس.

والثاني: يغاثون بالخصب، ذكره الماردي.

وفي قوله: ﴿يعصرون﴾ خمسة أقوال:

أحدهما: يعصرون العنب والزيت والثمرات، رواه العوفي عن ابن عباس. وبه قال قتادة، والجمهور.

والثاني: ﴿يعصرون﴾بمعنى يحتلبون، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثالث: ينجون، وهو من العصر، والعصر النجاة، والعصر المنجاة.

والرابع: يصيبون ما يحبون، روى عن أبي عبيدة أيضاً أنه قال: المعتصر ـ الذي يصب الشيء ويأخذه، ومنه هذه الآية.

والخامس: يعطون ويفضلون لسعة عيشهم، رواه ابن الأنباري عن بعض أهل اللغة.

وقال الإمام القرطبي[2]:

قوله تعالى: ﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام﴾ هذا خبر من يوسف عليه السلام عما لم يكن في رؤيا الملك، ولكنه من علم الغيب الذي آتاه الله، قال قتادة: زاده الله علم سنة لم يسألوه عنها إظهاراً لفضله، وإعلاماً لمكانه من العلم ومعرفته.

﴿يغاث الناس﴾ يمطرون. ﴿وفيه يعصرون﴾ قال ابن عباس: يعصرون الأعناب والدهن، ذكره البخاري. وروى حجاج عن ابن جريج قال: يعصرون

(١) الإمام ابن الجوزي، سورة يوسف، آية (٤٩) ص ٢٣٥.

(٢) الإمام القرطبي، سورة يوسف، آية (٤٩) ص ٣٤٣٤.

العنب خمراً والسمسم دهناً، والزيتون زيتاً. وقيل أراد حلب الألبان لكثرتها، ويدل ذلك على كثرة النبات.

وجاء في تفسير الإمام ابن كثير[1]:

بشرهم بعد الجدب العام المتوالي بأنه يعقبهم بعد ذلك عام فيه يغاث الناس أي: يأتيهم الغيث وهو المطر وتغل البلاد ويعصر الناس ما كانوا يعصرون على عاداتهم من زيت ونحوه وسكر ونحوه حتى قال بعضهم يدخل فيه حلب اللبن أيضاً قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿وفيه يعصرون﴾ يحلبون.

وقال الشيخ محمد محمود حجازي[2]:

ثم يأتي من بعد هذا كله عام يكون الرخاء على أتم ما يكون وأحبه عام يغاث الناس بكل أنواع الإغاثة من مصر وحسن محصول ومنع للآفات وفي هذا العام تعصرون عصير القصب والفاكهة، وعصير العنب والسمسم والزيتون إلخ...

وهذا الإخبار الأخير الخاص بهذا العام من قبيل الوحي والإلهام لا جزءاً من تأويل الرؤيا، والله أعلم...

وقال الأستاذ سيد قطب[3]:

أي ثم تنقضي هذه السنوات الشداد العجاف المجدبة، التي تأتي على ما خزنتم وأدخرتم من سنوات الخصب. تنقضي ويعقبها عام رخاء، يغاث الناس فيه بالزرع والماء، وتنمو كرومهم فيعصرونها خمراً، وسمسمهم وخسهم وزيتونهم فيعصرونه زيتاً...

---

(١) الإمام ابن كثير، سورة يوسف، آية (٤٩) ص ٤٨٠ م ٢ ج ٣١. انظر تفسير:
فتح القدير للإمام الشوكاني، سورة يوسف، آية (٤٩) ص ٣٥ م ٣.
والإمام القاسمي، سورة يوسف، آية (٤٩) ص ٢٣٤.

(٢) الشيخ/ محمد محمود حجازي، سورة يوسف، آية (٤٩) ص ٨٤ م ١٢.

(٣) الأستاذ/ سيد قطب، سورة يوسف، آية (٤٩) ص ١٩٩٤.

وهنا نلحظ أن هذا العام الرخاء لا يقابله رمز في رؤيا الملك، فهو إذن من العلم اللدني الذي علمه الله يوسف. فبشر به الساقي ليبشر الملك والناس، بالخلاص من الجدب والجوع بعام رخي رغيد.

وجاء في كتاب أحكام القرآن لأبي بكر محمد عبدالله المعروف بابن العربي[1]:

قوله تعالى: ﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام﴾:

وهذا عام لم يقع السؤال عنه، فقيل: إن الله زاده علماً على ما سألوه عنه إظهاراً لفضله وإعلاماً بمكانه من العلم، ومعرفته.

---

(١) أحكام القرآن، ابن العربي، المجلد الثالث، الآية (٤٩) سورة يوسف ص ١٠٩٠ تحقيق علي محمد البجاوي.

٢ ـ الخطة السنوية العامة للدولة والجانب الاقتصادي والتخطيطي:

ألهم يوسف عليه السلام بما ألهم بـه رحمة وإنقـاذاً لشعب مصر من القحط.

ألهم بالخطة السبعية الأولى والثانية، وقد نجح يوسف عليه السلام في اجتياز الأزمة. . . وما أن انتهت تلك الأزمة الاقتصادية ونجحت مصـر حتى بدأت مرحلة جديدة هي مرحلة تخطيطية سنوية للدولة من خلال ما أخبر به سبحانه وتعالى في كتابه العزيز:

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

آية (٤٩) سورة يوسف.

لقـد بدأ يـوسف عليه السـلام عمل الخـطة السنـويـة. . . ذلـك لأن الناس قد استفـادوا من الأزمة الـطاحنة في السنـوات العجاف وتـأكدوا أنـه بفضل الله سبحانه أولاً ثم بالتخطيط العلمي ثانياً استطاعوا تخطي الأزمة إذن فليكن التخطيط عنصراً من عناصر حياتهم وعلى مر السنين. . .

٣ - علم التخطيط بوضع الخطة السنوية العامة للدولة:

أ - بعد انتهاء الخطة العامة بدأت تسير الحياة كالمعتاد سنوياً وذلك بجريان النيل وهو هبة من الله تبارك وتعالى لمصر ونتج عن ذلك: كثرة الخيرات والمزروعات وتمتع كل فرد بحياته اليومية الطبيعية في إطار الخطة السنوية التي وضعها يوسف عليه السلام.

ب - من ثم علمنا أنه في الأوقات والأزمنة الطبيعية ينبغي عمل خطة سنوية للدولة شاملة لكل الجوانب المالية والاقتصادية والتجارية بهدف رفع مستوى الفرد والكفاية الإنتاجية والمعيشية... إلخ، عن طريق موازنة الموارد بالمصارف.

جـ - سارت الأمور في مصر طبيعية... أي أن التخطيط السنوي للدولة أصبح من الأمور الطبيعية الإدارية التي تدخل ضمن مهام الدولة.

د - وبقيت لنا كلمة وهي أنه قد تصيب البلاد كوارث طبيعية من عواصف... قحط... زلازل، وبالتالي فإن على الدولة أن تراعي عند تخطيطها أنها تخطط من وقت الرخاء الذي أتاها الله فيه من النعم لتقتصد لوقت الأزمات، وأن تدخل في الحسبان عند التخطيط العوامل الجوية والجيولوجية المتوقعة وغيرها من العوامل عند التخطيط العام للدولة أو التخطيط لمشروع ما أو التخطيط السنوي... فلا يخطط لبناء المساكن مثلاً في مواطن الزلازل والبراكين وهكذا....

هـ - ينبغي مراعاة وضع مخطط الحيطة والتوفير للمستقبل في وقت الأزمات الغير منظورة الطبيعية أو غيرها...

و - على الدول القادرة أن تضع في موازناتها بنداً احتياطياً لمساعدة الشعوب الأخرى في وقت الأزمات كالفيضانات المدمرة والمجاعات المهلكة وليس هذا بدعاً من العمل فالرسول ﷺ يقول: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» ولنا في عام الرمادة وفي تنازل عثمان بن عفان

رضي الله عنه عن تجارته لفقراء المدينة أروع مثال وأبرع قدوة يجب الاقتداء بها، أما قال الحبيب عليه السلام أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم هديتم.

٤ ـ المراحل العلمية للخطة السنوية للدولة:

حين بدأ يوسف عليه السلام وضع الخطة السنوية العامة للدولة، اتخذ بعض الخطوات العملية... ومن ذلك:

أ ـ تعريف الخطة السنوية:

هي خطة سنوية توضع حسب إمكانات وظروف البلاد، وحسب الإمكانات العامة للدولة وذلك بتحديد المصروفات والإيرادات ثم يتم تحديد المشاريع العامة مع الإحاطة بأن أي ميزانية سنوية تضع في اعتبارها ما يستجد لها من ظروف غير طبيعية من كوارث أو زلازل تغير ذلك.

ب ـ معرفة وتحديد الخطة:

أكدت لنا قصة يوسف عليه السلام أن كل خطة ينبغي معرفة أبعادها وجوانبها التي تحددها سواء كانت في المجال الزراعي أو الصناعي أو غير ذلك... وعلى ضوء ذلك توضع الخطة السنوية للدولة وتحدد وتقسم المدة إلى شهور ثم إلى أيام على مدار السنة ... ثم يتم تطبيق الخطة وتنفيذها وفقاً للجدول الزمني الذي وضعته الدولة.

جـ ـ مضمون وخواص الخطة:

الخطة السنوية العامة للدولة لها خواص معينة تتمثل في تحديد ورسم هذه الخطة والتركيز على جوانب معينة منها كالتعليم والصحة والشئون الاجتماعية أي أن الدولة يمكنها أن تركز وتكثر من ميزانية كل جانب أو تقلل منه حسب خطتها وظروفها التي تواجهها خلال عام الموازنة.

د ـ وضع الهيكل العام للخطة:

أرشدنا يوسف عليه السلام أن الخطة لها هيكلها العام السنوي وذلك بوضع التخطيط الأساسي للهيكل حسب ظروف وإمكانات واحتياجات الدولة وهي الظروف الطبيعية. بعد ذلك تقسم الخطة إلى أبواب ثم إلى أقسام ويشتمل كل قسم منها على إطار الهيكل العام للخطة السنوية مع التحفظ لما

يحدث من ظروف غير طبيعية في الخطة السبعية الأولى والثانية كما أرشدنا إلى أن يوضع ضمن الهيكل العام باباً جديداً هـو باب الـطوارىء لمواجهـة الظروف الغير الطبيعية سواء للبلد أو للبلاد والشعوب المجاورة والصديقة.

هـ ـ رسم السياسة التخطيطية للخطة واحتياجاتها:

بين يوسف عليه السلام وهو العالم الخبير بعلم التخطيط أن كل خطة لها سياستها برسم التخطيط المعين لاحتياجات خطة الدولة السنوية وما تحتاجه من تركيز على قسم أو فرع معين من الأبواب كالتعليم أو الصحة أو النواحي الاجتماعية أو غير ذلك من احتياجات الدولة السنوية حسب احتياج شعوبها وظروفها.

و ـ نـوع الخطـة:

إن لكل خطة نوعاً خاصاً كمـا علمنا من تخـطيط يوسف في الخـطة السبعية الأولى والثانية وعلى سبيل المثال يعتبر النيل الشريان الرئيسي لذلك فإن الخطة السنوية لمصر آنذاك اهتمت بمشاريع النيل من إقامة السدود وخـلافه وتحسين الزراعة والري. . . إلخ، وبالتالي إذا كانت الخطة لبلد صناعي فإنه يركز على الصناعة حسب موارها الصناعية أو التجارية حيث أن كل خطة لها نوع يركز عليه حسب إمكانيات وظروف البلاد لخدمة شعبها.

ز ـ الأهداف العامة والخاصة للخطة:

أرشدنا يوسف عليه السلام إلى أن أي خطة للبلاد لها أهداف رئيسية عامة وخاصة تخدم البلاد وشعبها، وعلى ضوء ذلك فإن أي خطة ينبغي أن تتضمن حساباً دقيقاً وموازنة لأهداف الخطة ومدى جديتها وما تقدمه من منافع للبلد سواء كانت أهداف عامة أو خاصة أو دولية في العلاقات والتبادل الدولي للتجارة والصناعة وغير ذلك، لهذا أرشدنا يوسف عليه السلام إلى أن الهدف الرئيسي للخطة لا بد من أن يدرس دراسة عميقة وتراجع بدقة قبل أن تنفذ.

٥ ـ علوم التخطيط وعلاقتها بالخطة السنوية:

أرشدتنا قصة يوسف إلى أن علوم التخطيط تنوعت وجاءت في أشكال من ذلك:

أ ـ علم التخطيط الخاص والفردي وهو الذي يبحث في التخطيط لفرد أو لعدة أفراد، لتحقيق غايتهم ومشروعاتهم الخاصة المادية منها أو المعنوية كما فسر ذلك من قبل... ولذلك فإنه يختلف في تكوينه وهيكله العام عن الخطة السنوية العامة.

ب ـ علم التخطيط العام للدولة من خلال تفسير يوسف عليه السلام رؤيا الملك ووضع الخطة السبعية الأولى وتطبيقها في الخطة السبعية الثانية كما أسلفنا سابقاً... إذ أنه قسم الخطة السبعية الأولى والثانية إلى سنين ووضع الحساب الزمني لكل سنة والنقاط الرئيسية التي تنفذ في كل سنة حسب المخطط العام للخطة السبعية الأولى والثانية...

بهذا أرشدنا يوسف عليه السلام إلى أن الخطة السنوية أساسية للخطط البعيدة المدى كالخطة السبعية الأولى والثانية وهي ضمن تقسيمها.... أي أن الخطة السبعية تقسم إلى سبع سنين كل سنة منها لها الجدول الخاص بها في الخطة العامة.

جـ ـ علم التخطيط في العلاقات الإنسانية ومدى علاقته بالخطة السنوية وأن العلاقات الإنسانية تشمل تبادل التجارة الدولية أو طرق التجارة الدولية أو العلوم التخطيطية الأخرى والمتفرعة من الخطة العامة كعلم الأسعار وعلم الموازين والمكاييل وإن اتسمت بسمة اقتصادية... وهذه العلاقة لا ترتبط بمدة أو تحدد بزمن إلا أن الأزمات والحروب هي التي تحدد نوع هذه العلاقات وقوتها أو فتورها.

أ ـ علم التخطيط الفردي في حياتنا الاقتصادية:

أخبرنا الله تعالى في كتابه العزيز كيف أن أخوة يوسف عليه السلام دبروا

تخطيطاً فردياً كعصبة من الأفراد لقتل يوسف وإلقائه في الجب ومن ثم قاموا بتأليف تمثيلية لأبيهم بأن الذئب أكله كما بين الله تعالى في قصة يوسف من الآية السابعة حتى الآية الثامنة عشرة في كتابه العزيز والتي شرحناها في المبحث الثاني . . .

ومن هذا علمنا شيئاً عن علم التخطيط الفردي، وتخطيط إخوة يوسف وإن اكتسب صفة التآمر إلا أنه نوع من التخطيط للمستقبل بالنسبة لأفراد في ضوء معلومات وبيانات توافرت لديهم. . . وهذا التخطيط وإن انحرف عن الغاية النبيلة واستهدف مصالح شخصية من شأنها الضرر بالآخرين. . . له نظير ومثيل في أهدافه. . . فلقد خططت قريش لقتل الرسول ومن ثم نقول:

١ ـ إن الله أعطى الإنسان العقل ليميز به الخير من الشر ليسير حسب تعاليم الله سبحانه وتعالى من أحكام القرآن وسنة نبيه ﷺ.

يبدأ علم التخطيط الفردي بأن يفكر فرد أو مجموعة أفراد في مشروع اقتصادي في التجارة أو الصناعة لزيادة المورد المالي، يبدأ أولاً بالتفكير والتخطيط لهذا المشروع ومن ثم يقتنع ذاتياً بالفكرة وبعدها يتحدث بهذه الأفكار إلى إخوانه أو أهله أو أصدقائه للمشاركة معه في هذا المشروع الاقتصادي، وبعد المشاورة والاقتناع. . . يفكر من جانبه الخاص ومصلحته التي تعود عليه بالفائدة المالية فيوافق على هذا المشروع ومن ثم يبدأ التنفيذ بعد أن يكون الفرد قد خطط لهذا المشروع الاقتصادي لإقامة منشأة تجارية سواء وحده أو مع مجموعة من الأفراد حيث تعود الفائدة على الفرد أولاً لنفسه وذاته وكسبه الخاص.

٢ ـ في علم التخطيط الخاص أو الفردي في حياتنا الاقتصادية العملية لا يفكر الفرد فقط في جوانب تخطيطية اقتصادية تجارية بل قد يخطط الفرد مع مجموعة من الأفراد في مصلحته الذاتية أولاً انطلاقاً من حب الذات والأنانية وهذه الجوانب المؤدية إلى الأضرار بالمجتمع أو الآخرين قد نهانا عنها كتاب الله.

٣ ـ فعلى الفرد أن يفكر ملياً قبل أن يقدم على تخطيطه الخاص وأن يسير حسب تعاليم كتاب الله وأحكامه كما بينها سبحانه.

ب ـ التخطيط العام للدولة في حياتنا الاقتصادية العامة:

أ ـ عندما تفكر الدولة في عمل مشروع اقتصادي كبير يعود بالفائدة على الفرد نفسه وعلى الدولة فإن ولي الأمر هو الذي يفكر بجهازه الإداري، فالدولة تلتزم بأن تضع تخطيطاً علمياً بعيد المدى وترسم وتخطط وكذلك تعمل خطة مستقبلية حيث أنه عندما يهبها الله من الخيرات كالمصادر الطبيعية من الثروات الطبيعية كالزراعة ووفرة المياه فإنها تعمل وتخطط في إقامة السدود لزيادة الرقعة الزراعية.

٢ ـ وعندما يهب الله الدولة الموارد الطبيعية في الأرض التابعة للدولة من بترول إلى معادن إلى ثروات أخرى من البر والبحر فإن على الدولة أن تخطط لاستغلال الموارد الطبيعية التي لديها في خطة مستقبلية زمنية كخطة يوسف عليه السلام. في الأربع عشرة سنة في الخطة المستقبلية للدولة البعيدة المدى وفي جدول زمني إلى خطة سنوية لها برنامجها الخاص بها...

٣ ـ على أنه يجب أن يبدأ التخطيط لأي مشروع بالمسح ودراسة للجدوى الاقتصادية له دراسة شاملة عنه وهذا قد يستغرق سنتين ثم توافق عليه الجهة المسئولة في الدولة ويعرض على ولي الأمر للموافقة، ثم بعدها يدرس ويؤمن له النفقات المالية في الميزانية العامة للدولة وبعدها يبدأ في طرحه ومن ثم تأخذ الجهة المعنية (الشركة أو المؤسسة) في تنفيذ المشروع وهذا قد يستغرق ثلاثة سنوات أو أكثر حتى خمس سنوات ثم التنفيذ إلى أن ينتهي المشروع وبعد انتهاء المشروع يسلم تسليماً نهائياً ويبدأ التشغيل للمنشأة الاقتصادية، والتجارية... ومن هذا نستخلص أن أي مشروع ضخم للدولة يبدأ من التخطيط إلى التنفيذ إلى أن يقف على قدميه وقد يستغرق على الأقل سبع سنوات أو أكثر حتى يصير متكاملاً من جميع جوانبه الاقتصادية والفنية.

ج - التخطيط للدولة في علاقاتها الخارجية وحمايتها في حياتنا الاقتصادية العملية:

قال سبحانه: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[1] وقال عز من قائل: ﴿وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس﴾[2] وقال سبحانه: ﴿وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾[3].

حقاً لقد خلق الله الإنسان ليأنس بغيره وأنعم عليه بفيض من نعمه على أن ما يتوفر لدى فرد من أفراد أو أمة قد لا يوجد عند غيرهم ومن ثم نشأ التبادل التجاري، فالإنسان مدني بالطبع... نشأ التبادل التجاري على المستوى الداخلي ثم تطور ليشمل المستوى العالمي... وعليه فإن كل دولة يجب أن تعمل على حماية اقتصادها بتوثيق العلاقات الاقتصادية بينها وبين غيرها على أساس من المنفعة العامة والمنفعة المتبادلة وأن تكون التقوى أساس التعامل ولعل هذا ما دفع يوسف عليه السلام إلى التخطيط للتبادل التجاري وإقامة العلاقات الخارجية والعمل على حمايتها حماية للإقتصاد الدخلي. في إطار العلاقات الإنسانية على نحو ما سلف.

---

(1) سورة الحجرات، الآية رقم ١٣.

(2) سورة النمل، الآية رقم ٧.

(3) سورة النحل، الآية رقم ١٤.

٧ ـ تحليل الخطة السنوية العامة للدولة على ضوء آيات القرآن الكريم

الرقم	الآية الكريمة	الجانب التخطيطي	الجانب الإداري	الجانب الاقتصادي	الجانب الفني	السورة
٤٩	ثم يأتي بعد ذلك	تحديد وتقسيم الخطة العامة للدولة بعد مرور وانقضاء سني الخطة المستقبلية للدولة الأولى والثانية:	معرفة الخطة السنوية بوضع هيكل إداري سنوي لتحديد الأهداف العامة والخاصة للخطة.	رسم السياسة التخطيطية الاقتصادية السنهوية واحتياجاتها.	تحديد خواص الخطة الفنية السنوية بوضع الأهداف الخاصة لها.	يوسف
	عام	تحديد ومعرفة الخطة العامة ألسنوية للدولة بعام كامل أي إثني عشر شهراً.	تقسيم الخطة السنوية بتقسيم إداري شهري لمعرفة تطبيق الخطة الإدارية السنوية.	وضع الهيكل الاقتصادي للخطة السنوية العامة ونوعية تلك الخطة لتحديد الأهداف العامة لها.	تحديد الخطة السنوية بعام ورسم الأهداف الفنية لها.	يوسف
	فيه يغاث الناس	معرفة صفة تلك الخطة وتحديد مضمونها وخواصها الطبيعية.	تحديد معرفة الجوانب الإدارية للخطة السنوية العامة واحتياجاتها.	تطبيق المخطط الاقتصادي السنوي حسب حاجة البلاد بوفرة المدخولات والإنتاج العام للدولة.	وضع الجوانب الفنية لتطبيق الخطة السنوية.	يوسف

٤٩	وفيه يعصرون	تحديد نوع الخطة السنوية لرسم الأهداف العامة والخاصة لها.	التطبيق العملي والملاحظة الإدارية للخطة السنوية.	الصرف من المدخولات الاقتصادية السنوية للدولة حسب خطة اقتصادية مرسومة.	تطبيق الجوانب الفنية للخزينة العامة للدولة.	يوسف

فهرس المبحث السادس

السمات التخطيطية في العلاقات الإنسانية

تفسير قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٥٩) فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ (٦٠) قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦١) وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٦٢) فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٣) قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٤) وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي ۖ هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٥)﴾.

الآيات (٥٩ حتى ٦٥).

١ - أقوال المفسرين في هذه الآيات الكريمة.

٢ ـ سمات التخطيط في العلاقات الإنسانية والتجارة بين الشعوب والجانب الاقتصادي والتخطيطي لها.

أولاً: تبادل التجارة بين الشعوب:

١ ـ وضع التخطيطات للتبادل التجاري بين الشعوب:

أ ـ تحديد العلاقات في التعاون بين الشعوب.
ب ـ تحديد خطة التعاون بين الشعوب.
جـ ـ التجديد الزمني للتعاون.
د ـ خواص التعاون بين الشعوب.
هـ ـ تعريف التخطيط للعلاقات الإنسانية.
و ـ نوعية التخطيط للتعاون بين الشعوب.
ز ـ أهداف التخطيط في التعاون بين الشعوب.
١ ـ الأهداف التخطيطية العامة.
٢ ـ الأهداف التخطيطية الخاصة.
ح ـ مضمون التعاون بين الشعوب.
ط ـ الأساليب التخطيطية للتعاون بين الشعوب.
ي ـ تحليل التخطيط للعلاقات الإنسانية.

٢ ـ الملامح الإسلامية في الاقتصاد والتعاون بين الشعوب:

التعاون الإنساني ـ الأمانة ـ الالتزام بالعهد.

٣ ـ الأنشطة الاقتصادية بين الشعوب:

التبادل التجاري ـ الانتعاش الاقتصادي.

ثانياً: المفهوم الاقتصادي للأسعار في قصة يوسف عليه السلام:

تفسير قوله تعالى:

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

الآية (٢٠).

١ ـ **أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة.**

٢ ـ **الأسعار والجانب الاقتصادي والتخطيطي لها.**

٣ ـ **الأسعار.**

أ ـ الأسعار.

ب ـ جدول تقويم الأسعار.

جـ ـ تحديد قيمة السلعة.

٤ ـ **المحظورات والمنهيات الإسلامية للأسعار في الاقتصاد:**

التسلط ـ الظلم ـ الفساد ـ الحسد والعين.

٥ ـ **الصفات والأخلاق الإسلامية للسعر وتأثيرها على الاقتصاد:**

الإيمان ـ الصلاة ـ التقوى ـ القناعة والشكر.

٦ ـ **السمات الإسلامية للأسعار وتأثيرها على الأنشطة الاقتصادية بالدولة:**

أ ـ الأسعار وتأثيرها على الانتعاش الاقتصادي.

ب ـ الأسعار وتأثيرها على الثروة القومية.

جـ ـ العرض والطلب وتأثيرهما على الأسعار.

د ـ سلطة الدولة على الأسعار وتأثيرها على الأسواق.

هـ ـ سلطة الدولة على الأسعار بتحديد الأوزان والمكاييل.

ثالثا: مفهوم الموازين والمكاييل في قصة يوسف عليه السلام:

تفسير قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾

الآية (٥٩).

تفسير قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

الآية (٦٣).

تفسير قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي ۖ هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾.

الآية (٦٥).

تفسير قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

الآية (٨٨).

أولاً: أقوال المفسرين في هذه الآيات الكريمة.

ثانياً: الموازين والمكاييل والجانب الاقتصادي والتخطيطي لها.

١ - **المغزى الحق للموازين والمكاييل.**

٢ - **المكاييل:**

أ - آيات القرآن الكريم التي ذكرت كلمة «الكيل».

ب - تعريف المكاييل.

جـ - خواص المكاييل.

د - استعمال المكاييل.

هـ - أنواع المكاييل.

٣ - **الموازين:**

أ - تعريف الموازين.

ب - خواص الموازين.

جـ - استعمال الموازين.

د - أنواع الموازين.

٤ - **السمات الإسلامية للموازين والمكاييل والفرق بينهما.**

٥ - **السلطة الشرعية والاقتصادية في الموازين والمكاييل:**

أ - السلطة الشرعية للدولة في الموازين والمكاييل.

ب - سلطة الدولة لتنظيم الموازين والمكاييل.

جـ - سلطة الدولة الشرعية لحماية الاقتصاد في الموازين والمكاييل.

٦ - **التعاون الإنساني في التجارة بين الشعوب ونظام الموازين والمكاييل.**

رابعا ـ اقتصاديات النقل لطرق قوافل التجارة بين الشعوب:

ـ تفسير قوله تعالى: ﴿قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين﴾ آية (١٠).

ـ تفسير قوله تعالى: ﴿وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون﴾ آية (١٩).

ـ تفسير قوله تعالى: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون﴾ آية (٨٢).

أولاً ـ أقوال المفسرين في هذه الآيات:

ثانياً: اقتصاديات النقل لطرق قوافل التجارة بين الشعوب والجانب الاقتصادي والتخطيطي لها:

١ ـ المغزى الحق لاقتصاديات النقل لطرق قوافل التجارة بين الشعوب.

أ ـ الأمن.
ب ـ الاستقرار بين الشعوب المتعاونة.
جـ ـ التتابع الزمني للقوافل التجارية.
د ـ محاط القوافل.

٢ ـ الملامح الإسلامية للتجارة بين الشعوب:

الأمانة ـ التجارة ـ الإيمان بالغيب.

المبحث السادس

السمات التخطيطية في العلاقات الإنسانية

تمهيـــد

في هذا المبحث من الكتاب نـوضح سمـات التخطيط في العـلاقات الإنسانية التي هدى الله تعالى يـوسف إليها، فكـان الحفيظ للقوت، العليم بأساليب الصرف والإكثار من الزروع، وقد كان الزمن زمن جدب وقحط عم مصر وما جاورها من البلاد، فكانت خطته أنجح الخطط في ربط الشعـوب بعضها بالبعض الآخر برباط التعاون والمحبـة والتصدي لكـل الأزمات التي تواجهها، وتبادل المنافع فيما بينها ليعم الخير للجميع.

ولنا أن نستعرض معاً بعض أقوال المفسرين في الآيات (٥٨ ـ ٦٥) من سورة يوسف والتي تضمنت معالم هذه السمات:

المبحث السادس

تفسير قوله تعالى:

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا
جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠
خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟
سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ
لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ
أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ
لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ
فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟
بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ
وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾.

الآيات من (٥٨ حتى ٦٥).

١ ـ أقوال المفسرين في هذه الآيات الكريمة.

جاء في تفسير الإمام الطبري[1] لهذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون﴾ أي: وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم يوسف وهم ليوسف منكرون لا يعرفونه وكان سبب مجيئتهم يوسف فيما ذكر لي كما حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحٰق قال: لما اطمأن يوسف في ملكه وخرج من البلاء الذي كان فيه وخلت السنون الخصبة التي كان أمرهم بالإعداد فيها للسنين التي أخبرهم بها أنها كائنة جهد الناس في كل وجه وضربوا إلى مصر يلتمسون بها الميرة من كل بلدة فقدم إخوته فيمن قدم عليه من الناس يلتمسون الميرة من مصر فعرفهم وهم له منكرون لما أراد الله أن يبلغ ليوسف عليه السلام ما أراد..

حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال: حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وهم له منكرون قال: لا يعرفونه. القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ولما جهزهم بجهازهم قال: ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفِ الكيل وأنا خير المنزلين﴾... يقول ولما حمل يوسف لإخوته أباعرهم من الطعام فأوقر لكل رجل منهم بعيره قال لهم: ائتوني بأخ لكم من أبيكم أحمل لكم بعيراً آخر فتزدادونه حمل بعير آخر ألا ترون أني أوفي الكيل فلا أبخسه أحداً وأنا خير من أنزل ضيفاً على نفسه من الناس بهذه البلدة فأنا أضيفكم.

حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿ائتوني بأخ لكم من أبيكم﴾ يعني بنيامين وهو أخو يوسف لأبيه وأمه. القول في تأويل قول تعالى: ﴿فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون﴾ ـ أخبر الله سبحانه. عن قول يوسف لإخوته فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي يقول: فليس طعام أكيله لكم ولا تقربون، يقول: ولا تقربوا بلادي. القول تأويل قول

---

(١) الإمام الطبري، سورة يوسف من الآية (٥٨ حتى ٦٥). ص. ٥ حتى ٩.

تعالى: **﴿قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون﴾** أي: قال إخوة يوسف ليوسف، إذ قال لهم ائتوني بأخ لكم من أبيكم، قالوا: سنراود عنه أباه ونسأله أن يخليه معنا حتى نجيء به إليك وإنا لفاعلون يعنون بذلك وإنا لفاعلون ما قلت.

كما حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله وقال لفتيانه أي لغلمانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم يقول: اجعلوا أثمان الطعام التي أخذتموها منهم في رحالهم.

حدثنا ابن وكيع قال حدثنا عمرو عن أسباط عن السدي قال وقال لفتيته وهو يكيل لهم اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون إلي، فإن قال قائل ولأية علة أمر يوسف فتيانه أن يجعلوا بضاعة إخوته في رحالهم؟ قيل: يحتمل ذلك أوجها:

أحدها: أن يكون خشي أن لا يكون عند أبيه دراهم إذ كانت السنة سنة جدب وقحط فيضر أخذ ذلك منهم به وأحب أن يرجع إليه.

الثاني: أراد أن يتمتع به أبوه وإخوته مع حاجتهم إليه فرده عليهم من حيث لا يعلمون سبب رده تكرماً وتفضلاً...

والثالث: وهو أن يكون أراد بذلك أن لا يخلفوه الوعد في الرجوع إذا وجدوا في رحالهم ثمن طعام قد قبضوه وملكه عليهم غيرهم عوضاً من طعامهم ويتحرجوا عن إمساكهم ثمن طعام قد قبضوه حتى يؤدوه على صاحبه فيكون ذلك أدعى لهم إلى العود إليه... القول في تأويل قوله تعالى: **﴿فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون﴾**. أي: فلما رجع إخوة يوسف إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل يقول: منع منا الكيل فوق الكيل الذي كيل لنا ولم يكل لكل رجل منا إلا كيل بعير فأرسل معنا أخانا بنيامين يكتل لنفسه كيل بعير آخر زيادة على كيل وإنا له لحافظون من أن يناله مكروه في سفره.

﴿هل آمنكم عليه﴾ أي: على أخيكم من أبيكم الذي تسألوني أن أرسله معكم ﴿إلا كما أمنتكم على أخيه﴾ يوسف ﴿من قبل﴾ يقول من قبله.

ولما فتح إخوة يوسف متاعهم الذي حملوه من مصر من عند يوسف وجدوا بضاعتهم أي ثمن الطعام الذي اكتالوه منه رد إليهم قالوا: يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا يعني أنهم قالوا لأبيهم ماذا نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا تطييباً منهم لنفسه بما صنع بهم في رد بضاعتهم إليهم.

وقال الإمام ابن الجوزي[1]:

قوله تعالى: ﴿ولما جهزهم بجهازهم﴾.

قال المفسرون: حمل لكل رجل منهم بعيراً، وقال: ﴿ألا ترون أني أوفي الكيل﴾ أي: أتمه ولا أبخسه، ﴿وأنا خير المنزلين﴾ يعني: المضيفين وذلك أنه أحسن ضيافتهم. ثم أوعدهم على ترك الإتيان بأخيهم، فقال: ﴿فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أنه يعني به: فيما بعد، وهو قول الأكثرين.

والثاني: أنه منعهم الكيل في الحال، قال وهب بن منبه.

قوله تعالى: ﴿قالوا سنراود عنه أباه﴾ أي: نطلبه منه، والمراودة: الاجتهاد في الطلب.

قوله تعالى: ﴿وقال لفتيانه﴾.

قال لغلمانه: ﴿اجعلوا بضاعتهم﴾ وهي التي اشتروا بها الطعام ﴿في رحالهم﴾، والرحل: كل شيء يعد للرحيل. ﴿لعلهم يعرفونها﴾

---

(١) الإمام ابن الجوزي، سورة يوسف، الآيات (٥٨: ٦٥) ص ٢٤٦: ٢٥٣. وانظر القرطبي ص ٣٤٤٩، ٣٤٥٣، والإمام بن كثير ص ٤٨٣، وفتح القدير للإمام الشوكاني ص ٣٧: ٣٩، والإمام القاسمي ص ٢٤٥: ٢٤٩، والشيخ محمد محمود حجازي، والأستاذ/ سيد قطب.

أي: ليعرفوها ﴿إذا انقلبوا﴾ أي: رجعوا ﴿إلى أهلهم، لعلهم يرجعون﴾ أي: لكي يرجعوا.

قوله تعالى: ﴿فلما رجعوا إلى أبيهم﴾ قال المفسرون: لما عادوا إلى يعقوب، قالوا: يا أبانا، قدمنا على خير رجل، أنزلنا، وأكرمنا كرامة، لو كان رجلاً من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته.

قوله تعالى: ﴿فأرسل معنا أخانا نكتل﴾.

والمعنى: إن أرسلته معنا اكتلنا، وإلا فقد منعنا الكيل.

قوله تعالى: ﴿هل آمنكم عليه﴾ أي: لا آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على يوسف، يريد أنه لم ينفعه ذلك الأمن إذ خانوه. ﴿فالله خير حافظا﴾ خير حفظاً من حفظكم.

قوله تعالى: ﴿ولما فتحوا متاعهم﴾ يعني أوعية الطعام ﴿وجدوا بضاعتهم﴾ التي حملوها ثمناً للطعام ﴿ردت﴾.

قوله تعالى: ﴿ونمير أهلنا﴾ أي: نجلب لهم الطعام.

قوله تعالى: ﴿ونزداد كيل بعير﴾ أي: وقر بعير، يعنون بذلك نصيب أخيهم، لأن يوسف كان لا يعطي الواحد أكثر من حمل بعير.

٢ ـ سمات التخطيط في العلاقات الإنسانية والتجارة بين الشعوب والجانب الاقتصادي والتخطيطي:

إن العلاقات بين الشعوب تنشأ لأسباب عديدة منها ما أوضحته قصة يوسف عليه السلام بشأن علاقات مصر بالأمم والشعوب والقبائل المجاورة لها على نحو ما سلف. . .

ويشهد لوجود هذه العلاقات ما يلي:

أ ـ أنه عندما اجتمع إخوة يوسف اقترح أحدهم أن لا يقتلوا يوسف وإنما يلقونه في الجب. . . على طريق القوافل.

﴿قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين﴾ آية (١٠)، كما يشهد لذلك ذكر القوافل السيارة في قوله تعالى: **﴿وجاءت سيارة. . .﴾** الآية.

ب ـ كان التبادل التجاري مزدهراً وكانت هناك صلات دائمة وقوية لمصر وجيرانها حيث كانت طرق التجارة الدولية والتبادل التجاري معروفاً في هذا العصر بدليل مناقشة إخوة يوسف له بقولهم فيما حكاه القرآن الكريم **﴿فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل﴾**.

جـ ـ نشأت العلاقات التجارية آنذاك لتبادل السلع التي يحتاجها كل شعب وأمة من الأخرى. . . كما نشأت علاقات متينة ودائمة بسبب الجوار.

د ـ كانت العلاقات الإنسانية بين مصر والشعوب والقبائل المجاورة علاقات نظامية من خلال القوافل طول العام في الأوقات العادية حيث لا أزمات اقتصادية أو أي كوارث، علاقات لا يشوبها أي شيء.

هـ ـ وعندما أصبحت مصر في أزمة اقتصادية كانت تتعاون اقتصادياً مع الشعوب والقبائل المجاورة لها. . . فقد كان يوسف عليه السلام يتعامل مع الشعوب والقبائل المجاورة في زمن القحط في خطته السبعية الثانية

رغم الظروف العصيبة التي يمر بها اقتصاد مصر. ذلك لأنه استعد لهذه الفترة العصيبة بالتخطيط منذ السنوات السبع السمان لسنوات القحط وبالتخطيط السليم ومن ثم رغم القحط استطاع بالتخطيط أن يعمل على دوام واستمرار العلاقات التجارية... قال تعالى:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾

آية (٨٨).

و - أوضحت القصة أن من مفاهيم الاقتصاد التعاون والألفة والتبادل التجاري في جميع الأوقات والأزمات الاقتصادية وذلك بتعامل الأمم بعضها مع بعض... ومن ثم نشأت بين مصر والشعوب والقبائل المجاورة علاقات اقتصادية كان لها أكبر الأثر على التفاهم لتثبيت الأسعار وضبط الموازين والمكاييل، وكذلك اقتصاديات النقل لطرق التجارة الدولية.

أولاً - تبادل التجارة بين الشعوب

أعطتنا قصة يوسف عليه السلام مدلولاً اقتصادياً إنسانياً هو التعاون التجاري بين الشعوب المجاورة أو البعيدة عن مصر وبينها.

وهذا الجانب من الجوانب المهمة، ألم يتوافد المحتاجون إلى مصر طلباً للتعاون؟

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٨﴾.

آية (٥٨).

إن هذا التبادل التجاري الإنساني بين وزير مالية وخزانة مصر يوسف وبين إخوته إن دل على شيء فإنما يدل دلالة واضحة على أن يوسف عليه السلام كان يضع في الخطة السبعية الأولى والثانية أسس التعاون والتبادل الإنساني بين مصر وجيرانها من الشعوب والقبائل التي يحتمل إصابتها بالقحط من باب أولى.

ورب سائل يسأل لماذا يتعاون يوسف عليه السلام مع الشعوب المجاورة فنقول: إن الله تبارك وتعالى أرسل يوسف عليه السلام رحمة وإنقاذاً.

هذا بالإضافة إلى أن خالق السموات والأرض الذي سخر كل شيء وجعل إعمار الأرض منوطاً بالإنسان بعد أن مكن له فيها وجعل له فيها معايش، قال سبحانه: ﴿ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش﴾...

إن المعـايش تختلف وطبيعة الأرض لا تتفق. فلكـل أرض خيـراتهـا ومنافعها... فهذه تنتج منتجات زراعية وتلك أرض صالحة للرعي تربى فيها الأغنام وأرض أخرى بها معـادن أو بترول... وبالتالي كانت الحـاجة إلى التبادل في البضاعة التي لا تتوفر في الأماكن الأخرى وذلك حسب العرض والطلب في التجارة بين الشعوب... والنتيجة... أن أي أمة لا تستطيع أن تعيش بمفردها بل إنها تتعاون مع جيرانها بالتبادل التجاري حسب النقص في المواد والسلع التي يحتاجها كل شعب أي أن كل دولة تكمل الأخرى في كثير من المجالات التبـادلية... كذلك لا ننسى أمراً مهمـاً وهو المجـاعة التي حدثت في المنطقة كلها من قحط وكساد ونقص في المواد الغذائية والزراعية وكذا في الثروة الحيوانية، فعندما يغلق يوسف عليه السلام أبواب مصر ولا يتعاون مع الشعوب المجاورة... فماذا يحدث؟!!!.

١ ـ وضع التخطيطات العلمية للتبادل التجاري بين الشعوب:

عرف يوسف عليه السلام أن التبادل التجاري في النطاق الإنساني بين الشعوب له حدود، لذلك رسم تخطيطاً معيناً يعتمد على التعاون بالذات في الظروف التي تمر بها البلاد في سبع سنوات رخاء وبعدها سبع سنوات جفاف... ووضع في الاعتبار مدلولات هذا التعاون وحدوده وخواصه وأهدافه ومضمونه... فبدأ أولاً:

أ ـ تحديد العلاقات في التعاون بين الشعوب:

﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات...﴾ آية (٤٣).

وضحت هذه الآية الكريمة أنه سيأتي سبع سنين رخاء على مصر ويعقبها سبع سنوات جفاف تصيب مصر والبلاد التي حولها من شعوب وقبائل... كما أشار إليه قوله تعالى: **﴿وقالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر﴾**... فالمشكلة هنا ليست في مصر فقط، بل إن المنطقة كلها أصابها القحط...

فالمشكلة إذن قد تحددت وهي إصابتهم بالقحط ولجوئهم إلى عزيز مصر المتوفر لديه القمح والغذاء في مستودعاتهم فكان التعاون والتبادل التجاري بين الشعوب وبين دولة مصر.

ب ـ تحديد خطة التعاون بين الشعوب:

مما سبق عرفنا مشكلة القحط الذي أصاب الشعوب والقبائل المجاورة لمصر والآن إلى أي مدى ستتحدد خطة التعاون بين مصر والشعوب المجاورة...؟

هل تتعاون مصر مع الشعوب المجاورة لسد احتياجاتهم من القمح؟ كما سردنا سابقاً أم أنها أحجمت؟ البادي مما سبق أن التعاون كان سمة طيبة من سمات مصر كنانة الله في أرضه.

جـ - خواص التعاون بين الشعوب:

للتعاون الإنساني بين الشعوب خواص معينة، فالتعاون قبل القحط كانت له خواص معينة في جلب مصنوعات ومواشي مما تحتاجه مصر من مواد مصنعة أخرى سواء بالمقايضة أو بالنقود المعروفة في ذلك الوقت. . . ولكن خاصية هذا التعاون وفي ظروف إصابة المنطقة كلها بقحط اكتسبت خاصية أخرى نوهت عنها الآية الكريمة:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ۝٨٨﴾

(آية ٨٨).

خاصية هذا التعاون في سني القحط بدأت بالنقود ومن ثم ببعض الأشياء التي لا تساوي قيمة القمح وبعدها طلبوا من يوسف عزيز مصر والمسئول والآمر لمستودعاتها أن يتصدق عليهم.

وبهذا علمنا بعض خواص التعاون والتبادل التجاري وأن له خاصة ذاتية هي الإعطاء والتصدق في وقت الضيق للشعوب المجاورة.

د - تعريف التخطيط للعلاقات الإنسانية:

في قصة يوسف عليه السلام مدلول من مفاهيم علوم التخطيط وهو التخطيط للعلاقات الإنسانية وذلك بالتعاون والمبادلة التجارية بين الشعوب والقبائل المجاورة. . . في مختلف السلع والبضائع التي تحتاجها، وذلك على ضوء خطة معينة تتم بأسلوب علمي تخطيطي مبني على العدل والمحبة والروح الإنسانية التي بثها فينا يوسف عليه السلام بقصته عندما تصدق عليهم أي عرف أن الشعوب المجاورة لم يكن لديها ما يكفي لهذا التبادل بالقمح ومع ذلك تصدق، لأنه النبي الأمين.

ومن هذا المنطلق عرفنا علم التخطيط الدولي والتبادل التجاري بين الشعوب سواء أثناء الظروف الصعبة من مجاعة وقحط أو ظروفها الطبيعية حيث

يقوم التعاون بينها في الأيام والسنين المعتادة التي تسير فيها القوافل... كما قال الله تعالى:

﴿وجاءت سيارة...﴾ آية (١٩).

وذلك على أساس مبدأ التعاون في نظم وعرف وتقاليد هذه الشعوب الذي يعتمد على الصدق والأمانة وحماية القوافل أثناء سيرها في طريقها من قطاع الطرق... كل ذلك تعريف للتخطيط الإنساني في التبادل التجاري بين الشعوب بعضهم البعض قديماً وحالياً ومستقبلاً.

م - نوعية التخطيط للتعاون بين الشعوب:

تتحدد نوعية هذا التخطيط في التعاون المطلق بين الشعوب في إطار الإنسانية.

فمساعدة يوسف عليه السلام للشعوب المجاورة لمصر والتي أصابها القحط لم تأخذ طابعاً سياسياً بل أخذت طابعاً اقتصادياً إنسانياً قبل كل شيء، وبخاصة وقت الشدة حتى تتخطى المحنة التي ابتليت بها.

وإذ نرى الآن أنه كثيراً ما تحدث زلازل وعواصف وقحط وكوارث في بلدان العالم وتتدخل الأمم المتحدة لمساعدة المتضررين في هذه الدولة فإنه لمن باب أولى بالمسلمين أن يأخذوا بمبدأ التكافل الاجتماعي الذي دعا إليه الإسلام ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾[1].

- الأهداف التخطيطية العامة والخاصة:

من هذه الأهداف زيادة الدخل القومي نتيجة انتعاش التبادل التجاري... على أن يوسف عليه السلام لم يستغل الموقف ولم يحتكر ما في مستودعاته ببيعه بأسعار غالية، بل كان إنساناً بمعنى الإنسانية.

ولعل من الأهداف ضمان الولاء والإنتماء للوطن للأم إذ أن ما جاور

(١) سورة المائدة، الآية رقم ٢.

مصر كان تابعاً لها وخاضعاً لسلطانها آنذاك بل إنه المنفذ الشرقي لغزو مصر إذا ما طمع فيها طامع ومن ثم فإن حسن الجوار وتأصيل الإنتماء من الحصون الحصينة لمصر الآمنة الأمينة... وبالتالي فإن تخطيط يوسف عليه السلام في مضمونه العام قد راعى وتضمن التعاون التام بين الشعوب سواء في الحالات الطبيعية أو حالات الطوارىء...

ز - الأساليب التخطيطية للتعاون بين الشعوب:

تتمثل هذه الأساليب في تأمين طرق التجارة والقوافل وضبط الموازين والمكاييل في نظام معترف به بين المتعاملين...

ح ـ تحليل التخطيط للعلاقات الإنسانية في قصة يوسف عليه السلام

رقم	الآية الكريمة	الجانب التخطيطي	الجانب الاقتصادي	الجانب التجاري	العلاقات الإنسانية	السمات والأخلاقيات
يوسف ١٩	وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه.	الحماية الربانية إعداداً ليوسف للمهام المقبلة.	طرق القوافل والتقاط يوسف عليه السلام.	فضل الله تعالى باستمرارية القوافل.	إنقاذ يوسف من الهلاك في البئر.	الإيمان مع الصبر حتى جاء الفرج.
١٩	قال يا بشرى هذا غلام.	بداية تحديد الخطة للإستفادة بالغلام.	معرفة القيمة الاقتصادية.	الكسب التجاري من بيعه.	الاستبشار بإنقاذ إنسان للإستفادة به.	إغاثة الملهوف.
١٩	وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون.	استمرارية منهج الله الذي خطه ليوسف عليه السلام.	التفكير في بيع يوسف.	الاستعداد للبيع.	الحفاظ على يوسف ليتحقق منهج الله.	حسن المعاملة.
٥٨	وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون.	حكمة الله تعالى في التقاء يوسف بإخوته ورأفته بهم تحقيقاً لمنهج الله الذي أراده ليوسف.	التعاون الاقتصادي مع الشعوب المجاورة لمصر في زمن القحط.	بيع بعض مخزون القمح للشعوب المجاورة لمصر.	عدم استغلال يوسف عليه لاسلام عند بيعه القمح.	العفو والصفح والمساعدة.

رقم	الآية الكريمة	الجانب التخطيطي	الجانب الاقتصادي	الجانب التجاري	العلاقات الإنسانية	السمات والأخلاقيات
يوسف ٥٩	ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين.	التخطيط لجمع شمل الأسرة في إطار إنساني تحقيقاً لمنهج الله.	عدم الاستغلال الاقتصادي وقت الأزمات.	المساعدة التجارية في زمن القحط.	رسم وتحديد العلاقة الإنسانية مع إخوته.	الوفاء في الكيل بالعدل والحق.
٦٥.	ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير	رسم وتحديد الخطة للعلاقة الإنسانية بين يوسف عليه السلام وإخوته.	تفكير الأخوة في زيادة أنصبتهم باصطحاب أخيهم إلى يوسف.	مضمون العلاقة الإنسانية التي خططها يوسف عليه السلام برد بضاعتهم إليهم.	العلاقات الوطيدة بين يوسف وإخوته على الرغم مما بدر منهم.	الأمانة في التعامل التجاري وبالذات في وقت الأزمات.

رقم	الآية الكريمة	الجانب التخطيطي	الجانب الاقتصادي	الجانب التجاري	العلاقات الإنسانية	السمات والأخلاقيات
يوسف ٨٨	فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين.	التطبيق العملي لإغاثة المحتاجين وقت الشدة.	عدم استغلال ولي الأمر لحاجة الناس وقت الأزمة.	الحكمة الإلهية في عدم الاحتكار والاستغلال التجاري في وقت الأزمات.	التبادل التجاري والمساعدة الإنسانية في وقت الأزمة للشعوب.	التصدق والمساعدة الإنسانية في وقت الأزمات.

٢ ـ الملامح الإسلامية في الاقتصاد والتعاون بين الشعوب:

في مجال التجارة الخارجية والتبادل العلمي والثقافي يمكننا ومن خلال ما تقدم استجلاء بعض الملامح الإسلامية لنسير على أسس ونظام إسلامي وفق كتاب الله.

ومن ذلك:

التعـاون الإنسـانـي:

التعاون الإنساني مطلب إسلامي سواء في الأوقات الطبيعية أو غيرها، ولكنه تعاون مشروط بمجال البر والتقوى كما سبق أن تحدثنا.

الأمـانــة:

إن مفهوم التخطيط في العلاقات الإنسانية في التجـارة الخارجيـة بين الشعوب كغيره من أوجه الأنشطة الإقتصادية يحتاج إلى الأمانة، خاصة فيما يتعلق بمجالات الاقتصاد والتعاون وتحديد الأسعار والربح في مختلف السلع الاقتصادية وكذا في كل ما يختص بالمكاييل والموازين. . .

والأمانة عامل حيوي وهام في التعامل الاقتصادي بين البشر حيث يتم تحديد أسعار السلع التي هي أساس الحياة الاقتصادية لكل أسـرة. . . ولو غابت الأمانة فلا ريب أن البديل هو الطمع والجشع والاحتكار والمغـالاة في الأسعار.

أما فيما يتعلق بالمكاييل والموازين. . . فالأمانة صفة إسلامية ضرورية لتحقيق العدالة بين البائع والمشتري. . . حتى يأخذ كل ذي حق حقه. . . ويتلاشى الظلم والطمع. . . ويسـود الخير والحق، وتعم العـدالة بين النـاس. . .

وقد أكد يوسف عليه السلام هذه المعاني. . . فقد بينت لنا بعض آيات سورة يوسف أن الأمانة عامل أساسي وهام في المعاملات التجارية. . . لأنها توفر الثقـة بين البائـع والمشتري ويـزدهر الـرواج الاقتصادي والتجـاري في مختلف الأسواق. . .

قال تعالى:

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾

الآية (٥٩) من سورة يوسف.

الإلـتزام بالعهـد:

أشارت قصة يوسف عليه السلام إلى نظام من الأنظمة الدينية في مبدأ التعاون الإنساني بين الشعوب هو مبدأ الثقة والوفاء بالعهود والإلتزام بالمسئولية... كما بين الله تعالى في قوله:

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾.

الآية (٦٦).

وقوله تعالى:

﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

الآية (٨٠).

فأخوة يوسف في حوارهم هذا قد التزموا نظاماً دينياً يقتضي الإلتزام والوفاء من الإنسان تجاه ما التزم به...

كما دل ذلك على أن يوسف عليه السلام التزم بالأمانة التي كلف بها وتمسك بالصدق والأمانة والوفاء بالعقود والثقة من الملك حتى عينه وزيراً على مصر وحاز ثقة الشعب بالتزامه تجاههم... فهذا درس ديني تجاه أنفسنا نتعلمه في حياتنا اليومية الاقتصادية وفي التعاون بين الشعوب بعضها والبعض الآخر.

٣ الأنشطة الاقتصادية بين الشعوب:

اتسمت الأنشطة الاقتصادية في عهد يوسف بالتخطيط الإنساني السليم ليوسف عليه السلام... وأهم تلك الأنشطة ما يلي:

التبـادل التجـاري:

عندما أصيبت مصر بالقحط وطبقت الخطة السبعية الأولى والثانية، خطط يوسف عليه السلام بأن المخزون لدى مصر يكفي لشعبها والشعوب المجاورة.

كما بين الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٨ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ۝٥٩﴾

الآيتان (٥٨)، (٥٩).

فوضح هنا أن التبادل التجاري للنشاط الاقتصادي بين الشعوب هام جداً، ورغم القحط الذي أصيبت به مصر.

وهذا يدل على تحكيم العقل عند التخطيط الإنساني السليم للتبادل التجاري بين الشعوب.

وعن التبادل التجاري... قال الإمام القاسمي[1]:

وكان جملة من سار للميرة إخوة يوسف، عن أمر أبيهم يعقوب، لتناول القحط بلادهم ـ فلسطين ـ فركبوا عشرة نفر، واحتبس يعقوب عنده ابنه بنيامين، شقيق يوسف خشية أن يلحقه سوء، وكان أحب أولاده إليه بعد

(١) الإمام القاسمي، سورة يوسف آية (٥٨: ٦٥) ص ٢٤٥: ٢٤٩ م ٩.

يوسف. فلما هبطوا مصر دخلوا على يوسف، ولم يعرفوه لطول العهد، ومفارقته إياهم في سن الحداثة وعدم استشعارهم في أنفسهم أن يصير إلى ما صار إليه، أما هو فعرفهم.

الإنتعاش الاقتصادي:

في قصة يوسف عليه السلام ما يشير إلى أهمية الإنتعاش الاقتصادي بين الشعوب، فرغم سني القحط حدث تبادل تجاري بين مصر ومسئولها ووزيرها المتصرف الأول يوسف عليه السلام وبين الشعوب الأخرى كما بين الله تعالى:

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٨﴾.

الآية (٥٨).

فدل ذلك على أن القوافل كانت مستمرة بين مصر والشعوب الأخرى لم تنقطع، فتحقق الانتعاش والرواج الاقتصادي بين مصر والشعوب المجاورة لها.

ونذكر هنا بعض ما قاله المفسرون عن الإنتعاش الاقتصادي الذي حدث بمصر من بيعها القمح والغلات داخل البلاد وخارجها، فغمرت خزانة مصر بالواردات النقدية من ذهب وفضة، أو عينية من أراض وضياع... إلى غير ذلك، وكل هذا حدث بفضل التخطيط السليم الذي سار عليه يوسف.

قال الإمام أبي السعود(١):

وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام في السنة الأولى بالدنانير والدراهم وفي الثانية بالحلى والجواهر وفي الثالثة بالدواب ثم بالضياع

---

(١) الإمام أبي السعود، سورة يوسف، آية ٥٢: ٥٧ ص ٢٨٥: ٢٩٧. وانظر الإمام الفخر الرازي، سورة يوسف، آية ٥٢: ٥٧، ص ١٧٥. والإمام النسفي ص ٢٢٦: ٢٢٨، والإمام ابن كثير ص ٤٨٣، والإمام القاسمي ص ٢٤٥: ٢٤٩.

والعقار ـ إلى أن يقول ـ ورد إليهم أموالهم وكان لا يبيع أحداً من الممتازين أكثر من حمل بعير تقسيطاً بين الناس.

وحول البضاعة التي تتداول في الأسواق في عهد سيدنا يوسف عليه السلام. . . قال الإمام ابن الجوزي[1]:

وفي ماهية تلك البضاعة سبعة أقوال:

أحدها: أنها كانت دراهم، رواه العوفي عن ابن عباس.

والثاني: أنها كانت متاعاً رث الحبل والغرارة، رواه ابن أبي مليكة عن ابن عباس.

والثالث: كانت أقطان، قاله الحسن.

والرابع: كانت نعالاً وأدما، رواه جوبير عن الضحاك.

والخامس: كانت سويق المقل، روى عن الضحاك أيضاً.

والسادس: حبة الخضراء وصنوبر، قاله أبو صالح.

والسابع: كانت صوفا وشيئاً من سمن، قاله عبد الله بن الحارث.

وقد تكون خليطاً من نقد ومن غلات صحراوية أخرى من غلات الشجر الصحراوي، ومن الجلود والشعر وما سواها مما كان يستخدم في التبادل في الأسواق.

ونتيجة لذلك، فقد كان للتخطيط الدقيق المحكم الذي وضعه يوسف أثر عظيم في رواج وازدهار الأنشطة الاقتصادية التي زاولها بين مصر والشعوب المجاورة والتي عادت بالفائدة المشتركة على مصر وخزانتها وعلى رسالته الإلٰهية التي أرسله الله تعالى بها ليكون رحمة لمن أرسل إليهم. . . ونتيجة للحركة الاقتصادية التي انتعشت في هذا الوقت والتبادل التجاري بين مصر والشعوب المجاورة انتعشت الحياة رغم الظروف الصعبة وذلك بتسيير القوافل التي تأتي إلى مصر دائماً حسب النظام والخطة التي وضعها يوسف. . .

---

(١) الإمام ابن الجوزي، سورة يوسف، الآية (٨٨) ص ٢٧٧ : ٢٧٩ م ٤.

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾.

الآية (٦٧).

هذه أبواب مصر قد فتحت للقوافل القادمة والمسافرة من مصر وإلى العالم الخارجي وبذلك أثمرت الجهود وانتعش الاقتصاد في هذا العصر، ولا ننسى العاملين في هذه القوافل الذين فتحت لهم أبواب الرزق من جراء العمل وراء هذه القوافل.

كذلك لا ننسى وجود المصالح المشتركة بين الشعوب وبين مصر. . . وهو عامل مهم في الأنشطة الاقتصادية المتبادلة يندرج تحت تبادل المصالح المشتركة.

ومصر بتبادلها مع جيرانها علاوة على المكاسب المادية فإنها بطريق غير مباشر تحمي حدودها ومصالحها الذاتية.

أما الشعوب المجاورة فإن مصلحتها في ذلك الوقت تجنب القحط الذي هددهم وكاد يدمر حياتهم نهائياً، ولذلك عندما تبادلوا المصالح المشتركة مع مصر فإنهم أمنوا على حياتهم وبقائهم.

ثانياً: المفهوم الاقتصادي للأسعار في قصة يوسف عليه السلام

تفسير قوله تعالى:

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾.

الآية (٢٠).

١ - أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة.

جاء في تفسير الإمام الطبري[1]:

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين﴾...

حدثني يعقوب قال حدثنا إبراهيم قال حدثنا هشيم عن مغيرة عن أبي معشر عن إبراهيم أنه كره الشراء والبيع للبدوي قال والعرب تقول أشر لي كذا وكذا أي: بيع لي كذا وكذا وتلا هذه الآية ﴿وشروه بثمن بخس دراهم معدودة﴾ يقول باعوه وكان بيعه حراماً.

حدثني محمد بن عبد الأعلى قال: حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وشروه بثمن بخس وهم السيارة الذين باعوه. وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال تأويل ذلك وشروا إخوة يوسف يوسف بثمن بخس وذلك أن الله عز وجل قد أخبر الذين اشتروه أنهم آثروا شراء يوسف من أصحابهم

(١) الإمام الطبري، سورة يوسف، آية ٢٠ ص ١٠١: ١٠٤

خيفة أن يستشركوهم بادعائهم أنه بضاعة ولم يقولوا ذلك إلا رغبة فيه أن يخلص لهم دونهم واسترخاصاً لثمنه الذي ابتاعوه به لأنهم ابتاعوه كما قال جل ثناؤه بثمن بخس ولو كان مبتاعوه من أخوته فيه من الزاهدين لم يكن لقيلهم لرفقائهم هو بضاعة معنى ولا كان لشرائهم إياه وهم فيه من الزاهدين وجه إلا أن يكونوا مغلوبين على عقولهم لأنه محال أن يشتري صحيح العقل ما هو فيه زاهد من غير إكراه مكره له عليه ثم يكذب في أمره الناس بأن يقول هو بضاعة لم اشتره مع زهده فيه بل هذا القول من قول من هو بسلعته ضنين لنفاستها عنده ولما يرجو من نفيس الثمن لها وفضل الربح، وأما قوله ﴿بخس﴾ يعني نقص ومنه قوله: ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ وإنما أريد بثمن مبخوس منقوص فوضع البخس، كما قيل بدم كذب وإنما هو بدم مكذوب فيه.

حدثنا الحسن بن محمد قال: حدثنا علي بن عاصم عن الحسين بن الفرج قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان قال: سمعت الضحاك يقول: كان ثمنه بخساً حراماً لم يحل لهم أن يأكلوه.

وقال الإمام الزمخشري[1] في تفسيره:

﴿وشروه﴾ وباعوه ﴿بثمن بخس﴾ مبخوس ناقص عن القيمة نقصاناً ظاهراً ﴿دراهم﴾ لا دنانير ﴿معدودة﴾ قليلة تعد عداً ولا توزن، لأنهم كانوا لا يزنون إلا ما بلغ الأوقية وهي الأربعون ويعدون ما دونها. وقيل للقليلة معدودة لأن الكثرة يمتنع من عدها لكثرتها. وعن ابن عباس: كانت عشرين درهماً. وعن السدي اثنين وعشرين ﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾ ممن يرغب عما في يده فيبيعه بأي ثمن.

لأنهم التقطوه، والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بما باعه، ولأنه يخاف أن يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من أول مساوم بأوكس الثمن، ويجوز أن يكون معنى وشروه: واشتروه يعني الرفقة من إخوته وكانوا فيه من الزاهدين لأنهم اعتقدوا أنه آبق فخافوا أن يخاطروا بما لهم فيه.

---

(١) الإمام الزمخشري في الكشاف، سورة يوسف، آية (٢٠) ص ٣٠٩.

وجاء في تفسير الإمام ابن الجوزي[1]:

قوله تعالى: ﴿وشروه﴾ هذا حرف من حروف الأضداد، تقول: شريت الشيء، بمعنى بعته، وشريته، بمعنى اشتريته. فإن كان بمعنى باعوه، ففيه قولان:

أحدهما: أنهم إخوته، وهو قول الأكثرين.

والثاني: أنم السيارة، ولم يبعه إخوته، قاله الحسن، وقتادة، وإن كان بمعنى اشتروه، فإنهم السيارة.

قوله تعالى: ﴿بثمن بخس﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الحرام، قاله ابن عباس، والضحاك، وقتادة وآخرون.

والثاني: أنه القليل، قاله عكرمة، والشعبي قال ابن قتيبة: البخس، الخسيس الذي بخس به البائع.

والثالث: الناقص، وكانت الدراهم عشرين درهماً في العدد، وهي تنقص عن عشرين في الميزان، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿دراهم معدودة﴾ قال الفراء: إنما قيل: ﴿معدودة﴾ ليستدل بها على القلة. وقال ابن قتيبة: أي: يسيرة، سهل عددها لقلتها، فلو كانت كثيرة لثقل عددها. وقال ابن عباس: كانوا في ذلك الزمان لا يزنون أقل من أربعين درهماً، وقيل: إنما لم يزنوها لزهدهم فيه.

قوله تعالى: ﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾ الزهد: قلة الرغبة في الشيء، وفي المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنهم أخوته، قاله ابن عباس، فعلى هذا، في هاء (فيه) قولان:

---

(١) الإمام بن الجوزي، سورة يوسف، آية (٢٠) ص ١٩٥: ١٩٧ م ٤ ج ١٣.

أ - أنها ترجع إلى يوسف، لأنهم لم يعلموا مكانه من الله تعالى، قاله الضحاك، وابن جريح.

ب - أنها ترجع إلى الثمن. وفي علة زهدهم قولان: إذا كان المراد ثمن.

١ - رداءته.

٢ - أنهم قصدوا بعد يوسف، لا الثمن.

ثانيهما: أنهم السيارة الذين اشتروه.

وفي علة زهدهم ثلاثة أقوال: إذا كان المراد يوسف.

أ - أنهم ارتابوا لقلة ثمنه.

ب - أن إخوته وصفوه عندهم بالخيانة والإباق.

جـ - لأنهم علموا أنه حر.

٢ ـ الأسعار والجانب الاقتصادي والتخطيطي لها:

عندما نتأمل ملياً ما ذكره الله تعالى في سورة يوسف:

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

الآية (٢٠).

نجد أن هذه الآية لها مدلولات ومعان كثيرة سردها أصحاب الفضيلة العلماء في تفاسيرهم... إلا أن خواطري حول هذه الآية تتعلق بالحكمة الاقتصادية التي أرشدنا الله تبارك وتعالى إليها والأنظمة المتعددة في مجال الأسعار... عند الشراء ونظام العرض والطلب، فكل هذه الجوانب الاقتصادية في هذه الآية الكريمة تعتبر أنواراً تضيء للمسلمين طريق حياتهم اليومية في شراء حاجياتهم وإشباع رغباتهم الدنيوية... وتحقيق سعادتهم في الحياة الأخروية.

وعندما نتطلع إلى حياتنا الاقتصادية اليومية وتعامل الناس في الأسواق التجارية وكذلك التبادل الاقتصادي بين القرى وخاصة تبادل السلع من المحاصيل الزراعية نجد أن كل هذه الأسواق الاقتصادية هي المجال الوحيد الذي يتبادلون فيه شتى البضائع من الإنتاج الزراعي والصناعي...

وتترد كلمة «الأسعار» التي تدخل فيها أثمان البضائع التي تنزل إلى الأسواق.

ولهذا فإننا سنحاول أن نتوصل وبالتحليلات الاقتصادية إلى التعاريف والأنظمة في مجال الأسعار على ضوء هذه الآية الكريمة...

ولكي تتحقق الحياة الاقتصادية السليمة ينبغي أن نتمسك بمنهج الإسلام ونطبقه في الأسواق وحركة البيع والشراء وفي التجارة والمال والصناعة وذلك بالتقيد بأسعار السلع التي تباع للجمهور والتي تحددها الجهة الحاكمة وذلك لإقرار الحق والعدل في التعامل بالأسواق.

... فالسوق هي الركيزة التي تعتمد عليها عملية التسويق... وبالتالي فإن عملية التسويق تخضع للعرض والطلب...

عندما قال الله تعالى:

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ۝٢٠﴾

الآية (٢٠).

أشار سبحانه وتعالى إلى الثمن البخس أي كلما اشتدت الحاجة إلى البيع فإن السعر ينخفض حتى يصبح بخساً وذلك لأسباب ذكرناها آنفاً...

٣ ـ الأسعـار:

إن المتأمل في قوله تعالى:

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ۝٢٠﴾

الآية (٢٠).

وبعد أن يطالع ما أكده العلماء من أن كلمة «شروه» تعني باعوه... يتضح له أن الآية الكريمة تتضمن إشارة إلى أكثر من عملية اقتصادية مثل... البيع والشراء والبخس والأسعار... فكل عملية مرتبطة بالأخرى...

أما فيما يتعلق بكلمة ﴿بخس﴾ فقد وردت في معجم لسان العرب للعلامة ابن منظور[1]: قال: البخس: النقص ـ بخسه حقه: يبخسه بخساً إذا نقصه، أبو العباس: باخس بمعنى ظالم. ﴿ولا تبخسوا الناس﴾: لا تظلموهم. والبخس من الظلم أن تبخس أخاك حقه فتنقصه كما يبخس الكيال مكياله فينقصه... وقوله عز وجل: ﴿فلا يخاف بخساً ولا رهقاً﴾[2]، أي: لا ينقص من ثواب عمله، ولا رهقاً أي: ظلماً...

﴿وشروه بثمن بخس﴾ أي: ناقص دون ثمنه، والبخس: الخسيس الذي بخس به البائع. قال الزجاج: بخس أي: ظلم لأن الإنسان لا يحل بيعه... وبخس الميزان: نقصه. وتباخس القوم: تغابنوا.

أما فيما يتعلق بالبيع... فيقول الشيخ السيد سابق[3] في كتابه «فقه السنة» عن معنى البيع وحكمته وأثره ما يلي:

معنـى البيـع:

البيع معناه لغة: مطلق المبادلة.

---

(١) لسان العرب المحيط للعلامة ابن منظور، المجلد الثاني، ص ١٦٨.

(٢) الآية ١٣ من سورة الجن.

(٣) فقه السنة، الشيخ/ السيد سابق، ص ٤٦، ٤٧ م ٣.

ولفظ البيع والشراء يطلق كل منهما على ما يطلق عليه الآخر، فهما من الألفاظ المشتركة بين المعاني المتضادة.

- ويراد بالبيع شرعاً: مبادلة مال بمال[1] على سبيل التراضي أو نقل ملك[2] بعوض[3] على الوجه المأذون[4] فيه.

مشـروعيتـه:

البيع مشروع بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

أما الكتاب فيقول الله تعالى: ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾[5].

وأما السنة: فلقول رسول الله ﷺ: «أفضل الكسب عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور»[6].

وقد أجمعت الأمة على جواز البيع والتعامل به من عهد رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا.

حكمتـه:

شرع الله تعالى البيع توسعة منه على عباده، فإن لكل فرد من أفراد النوع الإنساني ضرورات من الغذاء والكساء وغيرها مما لا غنى للإنسان عنه ما دام حياً، وهو لا يستطيع وحده أن يوفرها لنفسه لأنه مضطر إلى جلبها من غيره.

وليس ثمة طريقة أكمل من المبادلة، فيعطى ما عنده مما يمكنه الاستغناء عنه بدل ما يأخذه من غيره مما هو في حاجة إليه.

---

(١) المال: كل ما يملك وينتفع به، وسمي مالاً لميل الطبع إليه.
(٢) احتراز عن ما يملك.
(٣) احتراز عن الهبات ومالا يجوز أن يكون عرضاً.
(٤) احتراز عن البيوع المنهى عنها.
(٥) سورة البقرة، آية رقم ٢٧٥.
(٦) البيع المبرور: هو الذي لا غش فيه ولا خيانة.

أثـــره:

إذا تم عقد البيع[1] واستوفى أركانه وشروطه ترتب عليه نقل ملكية البائع للسلعة إلى المشتري، ونقل ملكية المشتري للثمن إلى البائع، وحل لكـل منهما التصرف فيما انتقل ملكه إليه بكل نوع من أنواع التصرف المشروع.

أ ـ تقويم الأسعار:

ويعتبر الثمن البخس من التعاريف الاقتصادية التي أشارت إليها قصة يوسف عليه السلام... وهذه العبارة لها مدلول اقتصادي بعيد المـدى... منها على سبيل المثال:

١ ـ أنها أطلقت على قيمة لتثمين البضاعة المعروضة للشراء... رغم وجود الظلم في هذه القيمة ـ ولذلك وصفت بثمن بخس... وبمعنى آخر أن قيمة السلعة لا تساوي ثمنها الحقيقي... فالسلعة بيعت بأبخس الأثمان أو بأقل قيمة...

٢ ـ كلما انخفض عدد الراغبين في شراء السلعة أدى إلى انخفاض سعرها وكلما اشتدت الحاجة إلى بيع هذه السلعة فإن سعرها يتدنى حتى يصبح سعرها باخس والعكس صحيح...

٣ ـ وعن معنى التسعير يقول الشيخ السيد سابق[2] في كتابه «فقه السنة»:

التسعير: معناه وضع ثمن محدد للسلع التي يـراد بيعهـا بحيث لا يظلم المالك ولا يرهق المشتري.

النهي عن المغالاة في الأسعار أو بخس الثمن: روى أصحـاب السنن بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه قال:

قال الناس: يا رسول الله، غلا السعر فسعر لنا، فقال رسول الله

---

(١) العقد معناه: الربط والإتفاق.

(٢) فقه السنة: الشيخ/ السيد سابق، ص ١٠٤ م ٣.

ﷺ: «إن الله هو المسعر، القابض، الباسط، الرازق. وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبني بمظلمة في دم ولا مال».

٥ - لعل الأعراف والأنظمة في ذلك الوقت تقضي بأن كل من يجد شخصاً يحق له أن يبيعه ولا ندري شيئاً عن هذه النظم أو تلك الأعراف قبل مجيء الأديان السماوية... وقد حرم الدين الإسلامي الحنيف ذلك...

كما حرم شراء المغصوب والمسروق، يقول الشيخ السيد سابق[١] في كتابه «فقه السنة»:

يحرم على المسلم أن يشتري شيئاً وهو يعلم أنه أخذ من صاحبه بغير حق، لأن أخذه بغير حق لا ينقل الملكية من يد مالكه، فيكون شراؤه له شراء ممن لا يملك، مع ما فيه من التعاون على الإثم والعدوان.

روى البيهقي أن رسول الله ﷺ قال: «من اشترى سرقة وهو يعلم أنها سرقة فقد اشترك في إثمها وعارها».

٦ - إن التأثير النفسي لمن أخرج يوسف عليه السلام من البئر عرضاً جعله يبيعه ولو بأبخس الأثمان لزهده فيه فكأنه أكره على البيع بالثمن البخس... يقول الشيخ السيد سابق[٢] عن هذا البيع:

اشترط جمهور الفقهاء أن يكون العاقد مختاراً في بيع متاعه، فإذا أكره على بيع ماله بغير حق فإن البيع لا ينعقد لقول الله سبحانه:

﴿إلا أن تكون تجارة[٣] عن تراض منكم﴾.

---

(١) فقه السنة، الشيخ/ السيد سابق، ص ٨٢ م ٣.

(٢) فقه السنة، الشيخ/ السيد سابق، ص ٧٤ م ٣.

(٣) سورة النساء، آية رقم (٢٩). والتجارة كل عقد يقصد به الربح مثل عقد البيع وعقد الإجارة وعقد الهبة بشرط العوض، لأن المبتغى في جميع ذلك في عادات الناس تحصيل الأعواض لا غير، وعلى هذا فالتجارة أعم من البيع.

ولقول الرسول ﷺ: «إنما البيع عن تراضٍ».

وقوله: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه».

رواه ابن ماجه وابن حبان والدارقطني والطبراني والبيهقي والحاكم. وقد اختلف في حسنه وضعفه.

أما إذا أكره على بيع ماله بحق فإن البيع يقع صحيحاً.

كما إذا أجبر على بيع الدار لتوسعة الطريق أو المسجد أو المقبرة. أو أجبر على بيع سلعة ليفي ما عليه من دين[1] أو لنفقة الزوجة أو الأبوين... ففي هذه الحالات وأمثالها يصح البيع إقامة لرضا الشرع مقام رضاه.

قال عبد الرحمن بن كعب: كان معاذ بن جبل شاباً سخياً. وكان لا يملك شيئاً، فلم يزل يدان حتى أغرق ماله كله في الدين، فأتى النبي ﷺ فكلمه ليكلم غرماءه، فلو تركوا لأحد لتركوا لمعاذ لأجل رسول الله ﷺ، فباع رسول الله ﷺ ماله، حتى قام معاذ بغير شيء.

إن السوق هو الذي يحدد سعر السلعة للطرفين حسب العرض والطلب ونشاط وقوة كل منهما... ومن الواجب أن يكون كل من المبيع والثمن معلوماً... يقول الشيخ السيد سابق[2] في كتابه «فقه السنة»:
أن يكون كل من المبيع والثمن معلوماً.

فإذا كانا مجهولين أو كان أحدهما مجهولاً فإن البيع لا يصح لما فيه من غرر، والعلم بالمبيع يكتفي فيه بالمشاهدة في المعيّن، ولو لم يعلم قدره وصفته بالنسبة للمتعاقدين. والثمن يجب أن يكون معلوم الصفة والقدر والأجل.

---

(١) من غير تفرقة بين دين ودين ولا بين مال ومال.

(٢) فقه السنة، الشيخ/ السيد سابق، ص ٦٣. م ٣.

٨ - ومن هذا يتضح لنا في مجال الأسعار بأن تثمين سلعة ما: تحسب قيمة مشتراها أولاً ومن ثم تحسب مصاريفها والأتعاب أو المكسب وفي المقابل لا يحدث ذلك كما في بيع المضطر يقول الشيخ السيد سابق[1] في كتابه «فقه السنة» ما يلي:

قد يضطر الإنسان لبيع ما في يده لدين عليه، أو لضرورة من الضرورات المعاشية، فيبيع ما يملكه بأقل من قيمته من أجل الضرورة، فيكون البيع على هذا النحو جائزاً مع الكراهية ولا يفسخ.

والذي يشرع في مثل هذا الحال أن يعان المضطر ويقرض حتى يتحرر من الضيق الذي ألم به.

وقد روى ذلك حديث رجل مجهول. فعند أبي داود عن شيخ من بني تميم قال: خطبنا علي بن أبي طالب فقال:

«سيأتي على الناس زمان عضوض، يعض الموسر على ما في يديه ولم يؤمر بذلك. قال الله تعالى: ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾[2]، ويبايع المضطرون، وقد نهى النبي ﷺ عن بيع المضطر، وبيع الغرر، وبيع الثمرة قبل أن تدرك».

٩ - وسئل الإمام ابن تيمية[3] رحمه الله تعالى عمن يسوم السلعة بثمن كثير، ويبيعها بأزيد من القيمة المعتادة، وقد يكون المشتري جاهلاً بالقيمة: هل يجوز ذلك أو لا؟

فأجاب: أما إذا كان المشتري مسترسلاً - وهو الجاهل بقيمة المبيع - لم يجز للبائع أن يغبنه غبناً يخرج عن العادة، بل عليه أن يبيعه

---

(١) فقه السنة، الشيخ/ السيد سابق، ص ٧٦. م ٣.

(٢) سورة البقرة، الآية رقم (٢٣٧).

(٣) الإمام ابن تيمية، ص ٣٦. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (الفقه)، الجزء التاسع (البيع)، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد.

بالقيمة المعتادة، أو قريب منها. فإن غبنه غبنا فاحشاً فللمشتري الخيار في فسخ البيع وإمضائه. فقد روى في الحديث: «غبن المسترسل ربا».

وثبت في الصحاح: «أن النبي ﷺ نهى عن تلقي الجلب حتى يهبط به السوق، وأثبت الخيار للبائع إذا هبط» وذلك لأن البائع قبل أن يهبط السوق يكون جاهلاً بقيمة السلع، فنهى النبي ﷺ عن أن يخرج المشتري إليه، ويبتاع منه، لما في ذلك من التغرير والتدليس. وأثبت له الخيار إذا علم بحقيقة الحال.

فهكذا كل من كان جاهلاً بالقيمة، لا يجوز تغريره والتدليس عليه: مثل أن يسام سوماً كثيراً خارجاً عن العادة ليبذل ما يقارب ذلك، بل يباع المعروف غير المنكر والله أعلم.

١٠ ـ كما سئل رحمه الله تعالى عن بيع المسترسل...

فأجاب: أما البيع فلا يجوز أن يباع المسترسل إلا بالسعر الذي يباع به غيره، لا يجوز لأحد استرسل إليه أن يغبن في الربح غبناً يخرج عن العادة. وقد قدر ذلك بعض العلماء بالثلث. وبعضهم بالسدس، وآخرون قالوا: يرجع في ذلك إلى عادة الناس، فما جرت به عادتهم من الربح على المماكسين: يربحونه على المسترسل.

والمسترسل قد فسر بأنه الذي لا يماكس، بل يقول: خذ أعطني، وبأنه الجاهل بقيمة المبيع، فلا يغبن غبناً فاحشاً، لا هذا ولا هذا، وفي الحديث «غبن المسترسل ربا».

ومن علم منه أنه يغبنهم فإنه يستحق العقوبة، بل يمنع من الجلوس في سوق المسلمين، حتى يلتزم طاعة الله ورسوله، وللمغبون أن يفسخ البيع فيرد السلعة ويأخذ الثمن، وإذا تاب هذا الغابن الظالم ولم يمكنه أن يرد إلى المظلومين حقوقهم فليتصدق بمقدار ما ظلمهم به وغبنهم، لتبرأ ذمته بذلك من ذلك.

و«بيع المساومة» إذا كان مع أهل الخبرة بالأسعار التي يشترون

بها السلع في غالب الأوقات، فإنه يباع غيرهم كما يباعون، فلا يربح على المسترسل أكثر من غيره، وكذلك المضطر الذي لا يجد حاجته إلا عند هذا الشخص، ينبغي أن يربح عليه مثل ما يربح على غير المضطر، فإن في السنن: «أن النبي ﷺ نهى عن بيع المضطر» ولو كانت الضرورة إلى ما لا بد منه، مثل لو يضطر الناس إلى ما عنده من الطعام واللباس، فإنه يجب عليه أن لا يبيعهم إلا بالقيمة المعروفة، ولهم أن يأخذوا ذلك منه بالقيمة المعروفة بغير اختياره، ولا تعطوه زيادة على ذلك... والله أعلم.

١١ - إذا كانت البضاعة بالنسبة لمثيلاتها هي أكثر وأغلى من هذا الثمن المدفوع يعبر عن الثمن المدفوع بأنه ثمن بخس أي أن ثمن السلعة ومقياسها يتأثر حسب مستويات الأسعار وحجم التبادل حسب السلعة المعروضة بين الطرفين...

ب - جدول تقويم الأسعار للسلع:

نظام قيمة السلعة في البيع والشراء.

ثمن تقويم سلعة في نظام العرض والطلب استئناساً بذكر الثمن البخس في القرآن الكريم.

تحديد قيمة السلعة

الثمن	الثمن	الثمن	الثمن	الثمن	الثمن	الثمن
أ	ب	جـ	د	هـ	و	ز
بخس	قليل	معتدل	متوسط	كثير	مرتفع	غال جداً

جـ - تحديد قيمة السلعة:

السلعة لها قيمة ودرجات... فمن الذي يحدد قيمة السعر؟...

إن تحديد السعر يحكمه بالدرجة الأولى العرض والطلب في السوق... إذن تحديد السلعة يتوقف على إلحاح ورغبة في الشراء أو في

البيع. . . لذلك فإن الأسعار تتأثر بإلحاح الرغبة في الشراء أو البيع، ويمكن أن نقول كقاعدة علمية صحيحة أنه كلما ازداد عدد الراغبين في شراء سلعة ما كلما ارتفع سعرها وكلما ازداد عدد الراغبين في بيع سلعة ما كلما انخفض سعرها. فإذا اشتدت الحاجة بكثير من الناس إلى سلعة معينة فلا بد من أن يرتفع سعرها. . . لأن الراغبين في هذه السلعة يرتضون عندئذ أن يشتروها بثمن مرتفع. . . والذين يبيعونها سوف لا يرتضون بيعها أيضاً إلا بسعر مرتفع. . . والعكس صحيح. . . فإذا ما قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿وشروه بثمن بخس دراهم معدودة﴾ ومع الاعتراف ليوسف عليه السلام بمكانته السامية مكانة الأنبياء والمرسلين أقول: إن الحق سبحانه وتعالى عندما قال في مجال البيع والشراء ﴿بثمن بخس﴾ قد راعى الموقف منوهاً بمكانة يوسف الحقة إلا أننا يمكننا في الجانب الاقتصادي أن ننطلق من الأدنى إلى الأعلى مروراً بما بينها من مراتب في مجال الأسعار. . . فلا ريب أن بين السعرين الأدنى والأعلى درجات متفاوتة ومراتب متباينة يمكن عرضها فيما يلي:

١ - **ثمن بخس:**

أنه كلما كثر عرض السلعة كلما انخفض سعرها بشدة كثيرة. . . أي أن سعرها الحقيقي الموازي لقيمة السلعة منخفض جداً جداً.

٢ - **ثمن قليل:**

أنه كلما كثر عرض السلعة في السوق كلما انخفض سعرها. . . أي أن بعرها الحقيقي الموازي لقيمة السلعة انخفض عن قيمتها.

٣ - **الثمن المعتدل:**

أي أن عرض السلعة في السوق يساوي سعرها. . . أي أن سعرها الحقيقي معتدل مع قيمتها.

٤ - **الثمن متوسط:**

أي أن عرض السلعة في السوق متوسط ومعتدل للطلب على سعرها أي

.أن سعرها الحقيقي موازٍ لقيمتها.

٥ - الثمـــن كثيـــر:

أي أنه كلما كثر الطلب للسلعة في السوق كلما زاد العرض والثمن على سعرها الحقيقي... أي أن سعرها الحقيقي زاد عن قيمة السلعة.

٦ - الثمـــن مـرتفـــع:

أي أنه كلما كثـر الطلب بشـدة للسلعة في السـوق كلما ارتفـع وزاد العرض والثمن بكثرة على سعرها الحقيقي... أي أن سعرها الحقيقي ارتفع وزاد عن قيمة السلعة.

٧ - الثمن غال جداً:

أي أن السوق اشتد على طلب السلعة بكثرة كبيرة، ولأن السلعة نادرة الوجود في السوق حدث أن ندر وارتفع ثمن السلعـة ارتفاعـاً كبيراً ومبـالغاً فيه... أي أن سعرها الحقيقي ارتفع ارتفاعاً كبيراً عن قيمة السلعـة وذلك لشدة رغبة المشترين... وهذا ما يسمى «بالسوق السوداء».

وفيما يتعلق بقصة يوسف عليه السلام استطاع بفضل الله وتوفيقـه بيع القمح والغلال لأبناء شعب مصر وللشعوب المجاورة بأسعار محددة خالية من الجشع والطمع... وبذلك تمكن من عبور أزمة القحط التي مرت بمصر في عهده...

وهكذا فإننا نلمس يومياً في الأسواق التجارية وفي حيـاتنا الاقتصـادية بصفة عامة... أن التاجـر الذي يقتنـع بالـرزق الحلال والـذي يشكر ربـه عز وجل على نعمه تنتعش تجارته ويربح.

فهو وحده تبارك وتعالى الذي يجزي الشاكرين.

فقد ذكرت سورة آل عمران:

﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَاۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٥﴾.

آية (١٤٥)

وفي سورة إبراهيم قوله تعالى:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

آية (٧)

وهناك حكمة مأثورة تقول... إن القناعة كنز لا يفنى... لأن القناعة هي الرضا بما قسمه الله تبارك وتعالى لنا في كافة نواحي الحياة... وهي حقاً أقصر الطرق لسعادة النفس البشرية التي حطمتها الأهواء والأمراض من جشع وطمع واستغلال وانتهاز فرص واحتكار.

وخلاصة القول... ان القناعة والشكر من الصفات اللازمة والضرورية والهامة لكل مسلم مؤمن بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ، لأنهما يقودان الإنسان إلى طريق الخير والفلاح.

٤ - المحظورات والمنهيات الإسلامية للأسعار في الاقتصاد:

مما سبق في بيان تحديد الأسعار وما جاء في الكتاب والسنة نقول: في مجال علم الأسعار حرم الله الاحتكار والظلم والحسد والفساد والغبن والغرر (الغش التجاري) لأنها تضر المستهلك... فكل هذه الأمور من المحظورات والمنهيات التي نهانا الله ورسوله عنها، وذلك للوصول إلى الحياة الاقتصادية الإسلامية السليمة...

فإلى شيء من الحديث عن بعض هذه المحظورات:

التسلـط:

تحتاج الأسعار إلى عدم التسلط أي: تسلط الشاري على البائع وانتهاز الفرصة في فرض الرغبة في شراء السلعة بالثمن الذي لا يساوي قيمة السلعة أي بثمن يقل عن قيمتها الحقيقية وذلك لتسلطه في انتهاز الفرصة...

فيجب أن لا ننتهز الفرصة أو السلطة الإدارية أو المراقبة الإدارية للتسلط على السعر بغير قيمته الحقيقية واستغلال التجار.

قال تعالى:

﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٥﴾.

الآية ٧٥ سورة يوسف

وقال سبحانه:

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩﴾.

الآية (٧٩) من سورة يوسف.

وفي مجال علم الأسعار تظهر آثار الظلم على كافة الأطراف المتعاملين في الأسواق سواء في البيع أو الشراء، فعندما يتم تسعير سلعة ينبغي ألا نظلم أو نظلم في سعرها بل يجب أن يعطي كل ذي حق حقه.

الفســـاد:

جاء معنى الفساد في سورة يوسف على لسان إخوته في محاولة منهم لنفي تهمة سرقة صواع الملك عن أنفسهم... فقد ذكرت الآية (٧٣):

﴿قالوا تالله لقد علمتم ماجئنا لنفسد في الأرض...﴾ سورة يوسف.

ومعنى الفساد معروف... وهو يشمل كثيراً من الانحرافات التي تؤدي بالنفس إلى الهلاك... وقد اقترن الفساد بالنفس البشرية لحكمة يعلمها الله عز وجل...

قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٠﴾.

الآية (٣٠) سورة البقرة.

لقد حذرنا الله تبارك وتعالى من الفساد في الأرض إذ يقول سبحانه: **﴿وإذا تولى سعي في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾**[1] وقال سبحانه: **﴿ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾**[2] وقال عز من قائل: **﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾**[3]... فالله عز وجل لا يصلح عمل المفسدين ولا يحبهم... كما أن عاقبتهم عذاب أليم وخسران مبين في الدنيا والآخرة... ومن المفسدين الذين ذكروا في كتاب الله العزيز فرعون مصر الذي لم يصدق بموسى عليه السلام... فقد ذكرت سورة القصص:

---

(١) الآية ٢٠٥، سورة البقرة.

(٢) الآية ٧٧، سورة القصص.

(٣) الآية ٦٠ من سورة البقرة، ٧٤ سورة الأعراف، ٨٥ سورة هود، ١٨٣ سورة الشعراء ٣٦ سورة العنكبوت.

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤ ﴾.

الآية (٤) سورة القصص.

أما فيما يتعلق بقصة يوسف عليه السلام... فقد تبين لنا أن تعامله مع الشعوب المجاورة زمن القحط على أساس نابع من نفس صافية... تحمل بين طياتها الخير والأمانة والصدق والحق والعدل... لذلك تمكن عليه السلام من تخطي الأزمة التي واجهت مصر بسلام... وهذا يدلنا على أن النفس الشريرة التي تفسد في الأرض وتحصل على ما تريد بالطمع والجشع وانتهاز الفرص والسرقة والتلاعب بالأسعار... إلخ ـ هذه السلوكيات التي حرمها الله عز وجل... مثل هذه النفس لا تلقي إلا الدمار والهلاك في الدنيا والآخرة.

الحسـد والعيـن:

أوضحنا في المبحث الثالث كيف أن الحسد تسلل إلى نفس إخوة يوسف عليه السلام نتيجة لحب أبيهم يعقوب عليه السلام يوسف... واستقر الأمر فيما بينهم على إلقائه في الجب... فالتقطه بعض السيارة... وشروه بثمن بخس... وجميع هذه الأحداث يرتبط بعضها ببعض...

والحسد من الأمراض النفسية والمحظورات التي نهانا الله تبارك وتعالى عنها إذ وصفه الحق تبارك وتعالى بالشر في قوله جل ذكره:

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾.

آية (٥) سورة الفلق.

ويعتبر الحسد من آثار الحقد والبغض الوخيمة... وله نتائج سيئة... فبالإضافة إلى الهم والغم الذي يصيب صاحبه... فإنه يصبح منبوذاً من الناس... فلا يملك إلا الندم والعزلة... فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إياكم والحسد ـ فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال العشب»... رواه أبو داود.

ورغم موقف أبناء يعقوب عليه السلام من أخيهم... إلا أنه بروح الأبوة كان يخاف على أبنائه من الحسد والعين.. فقد ذكرت الآية:

﴿وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة...﴾.

الآية (٦٧) سورة يوسف.

ولذلك طلب يعقوب عليه السلام من أبنائه الأحد عشر أن يدخلوا من أبواب متفرقة ولا يدخلوا من باب واحد خوفاً عليهم من الحسد والعين...

وهكذا ينبغي على كل مسلم مؤمن أن يتجنب الحسد الذي قد يتسلل إلى نفسه... بل عليه أن يتمنى الخير والمزيد من الرزق لكل الناس... ويقنع ويرضى بما آتاه الله من نعمه... ويتمنى لأخيه ما يتمناه لنفسه... ويستعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم...

٥ ـ الصفات والأخلاق الإسلامية للسعر وتأثيرها على الاقتصاد:

يقصد بالصفات والأخلاق الإسلامية في هذا الجانب ما يخص الإنسان في أخلاقه وصفاته الإيمانية التي يحتاجها في عملية تحديد السعر للبضائع سواء بالنسبة للدولة التي تحدد السعر أو تشرف وتراقب الأسعار أو التاجر بتصرفاته الشخصية عندما يحدد السعر ومن ذلك:

الإيمـــان:

أشرنا في المبحث الثالث إلى مدى قوة إيمان الأنبياء وعزيمتهم وصبرهم فالإيمان هو اطمئنان القلب... وهو نور يزين قلوب المؤمنين ويطهرها.

وقد تعرض يوسف عليه السلام لمواقف كثيرة... أكدت قوة إيمانه بوحدانية الله عز وجل... ومنها على سبيل المثال موقفه من امرأة العزيز... واستعانته بالله تبارك وتعالى... الذي أنقذه من محنته... فقد ذكرت الآية:

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

الآية (٣٣) سورة يوسف.

من هـذه الآية نتعلم كيف نستعين بـالله تبارك وتعـالى ونحاول ضبط النفس... حين نتعرض في حياتنا اليومية لأي موقف قد يجرنا إلى ارتكاب المحرمات أو المحظورات التي نهانا الله تبارك وتعالى عنها... ولا جدال في أن تلاوة القرآن الكريم والصلاة في مثل هذه المواقف تساعدنا على التخلص من وسوسة الشيطان... قال تعالى: **﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾**[1] أما عن الصلاة فقد قال سبحانه: **﴿إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾**[2]... وهـل هناك

---

(١) سورة الأسراء، الآية ٤٥.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٥.

أفحش من المغالاة في الأسعار والتلاعب بأقوات الناس. . . وكما أن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر فإنها راحة النفس عندما يكون الكرب، فقد روى أن الرسول ﷺ كان إذا حزبه أمر قال: «أرحنا بها يا بلال». . .

إن إيمان الشخص الملتزم بمنهج وشريعة الله عز وجل وشكره على نعمه ورضاءه بما قسمه الله له من رزق ومصير. . . خير طريق للنجاة من شتات الأمر ووسوسة الصدر واضطراب النفس. . .

والإيمان هو الأساس الذي يرتكز عليه المسلم في البيع والشراء. . . وتحديد هامش الربح والسعر الذي يؤثر في الجوانب المادية والاقتصادية للأسواق بصفة عامة. . . والإيمان يدعو إلى عدم الاحتكار للسلع أو الغش التجاري. . . فالإيمان يطهر القلب والنفس. . . ويمهد طريق الإنسان للزهد في حياته. . . والتمسك بشريعة ومنهج الله عز وجل. . .

الصــلاة:

علم الأسعار يعتمد اعتماداً كلياً على الإنسان، بصفاته وأخلاقه حيث أن الإنسان المؤمن المسلم بصلاته يقوى على نفسه لأن الصلاة تطهير للنفس وتهذيب للأخلاق. . . فمن كان يخشى الله بالوقوف بين يديه خمس مرات على الأقل فإنه سيراعي ربه عند تحديد السعر في بضاعته. . .

التقــوى:

التقوى صفة من الصفات الإسلامية الأساسية في الإنسان إذ أنها مراعاة أوامر الله ونواهيه في تعامل الإنسان مع ربه ومعاملاته مع الناس متمثلاً قول الرسول عليه السلام: «اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن». فالتقوى أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، ومن العبادة ما أسماه الفقهاء بالمعاملات. . . ومن ثم فالتقوى أحد الأمور والأركان الأساسية في تحديد الأسعار التي تمليها الشريعة الإسلامية وأحكامها. . . فإذا كان التاجر أو الزارع أو الصانع تقياً يخاف ربه ويخشى عقابه فإن أسعاره ستكون مناسبة وحسب الشريعة. . . ولكن إذا كان الإنسان

عيز تقي فإن الشيطان سيلعب بعقله ونفسه...

القنـاعـة والشكـر:

وفي مجال علم الأسعار تصبح القناعة والشكر من الصفات الأساسية المطلوب توافرها في كافة الأطراف المعنية بتحديد السعر... سواء كانت جهة رسمية أم قطاعاً خاصاً يتمثل في التاجر أو الشركة الموزعة للسلع وكذا المصنع المنتج لها... إلخ.

٦ ـ السمات الإسلامية للأسعار وتأثيرها على الأنشطة الاقتصادية بالدولة:

كان يوسف عليه السلام المتصرف والوزير على مصر...

﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝٥٥﴾.

آية (٥٥).

وكان من الممكن أن يتحكم بتحديد الأسعار كيفما يشاء وقت الأزمة... ولكن يوسف النبي الأمين لم يحتكر القمح ولم يزد سعره لزيادة الثروة القومية أو للإنتعاش الاقتصادي للدولة... بل على العكس استطاع فضل الله وتوفيقه أن يجتاز هذه الأزمة بأخلاق النبوة، فانتعش الاقتصاد زادت الثروة القومية...

أ ـ الأسعار وتأثيرها على الانتعاش الاقتصادي:

بنظرة بسيطة إلى جدول تقويم الأسعار للسلع والسابق عرضه يمكن القول:

أولاً:

١ ـ أنه إذا كان السعر لا يساوي الثمن الحقيقي للسلعة فإن ذلك سيؤثر على السوق.

٢ ـ إذا استمر هذا البخس انعكس ذلك على الاقتصاد بوجه عام نتيجة بخس الأسعار، وينتج عن ذلك زيادة المعروض من السلع.

٣ ـ نتيجة لذلك يتأثر السوق بالكساد فيتأثر الاقتصاد لحدوث الانكماش في الأسواق نتيجة هبوط سعر السلع وبخسها نتيجة زيادة العرض عن الطلب.

٤ ـ ونتيجة للإنكماش في الأسواق وهبوط الأسعار لقيمة السلع عن قيمتها الحقيقية ستحدث نكسة اقتصادية لهذه السلع.

ثانياً:

ماذا يحدث عندما يتم الشراء بعكس البخس أي بأسعار مرتفعة؟

١ ـ إن عملية البيع بارتفاع الثمن تكون نتيجتها أن العرض من السلعة لا يساوي الثمن الحقيقي لأسعار السلعة. الأسعار «السماسرة»...

٢ ـ من ذلك سيتأثر السوق بارتفاع أسعار السلعة وذلك بانكماش الطلب في السوق وبالتالي سيتأثر بانكماش وهروب الأموال الخاصة نتيجة ارتفاع أسعار السلع وسيحدث بالتالي كساد في الأسواق.

٣ ـ ونتيجة للحالة الاقتصادية وغلاء الأسعار وانكماش الطلب على السلعة سنلاحظ عدم رغبة المستهلك في شرائها نتيجة غلائها.

٤ ـ سيحدث كساد في الأسواق نتيجة غلاء الأسعار للسلع ويتأثر السوق نتيجة انكماش الشراء في الطلب.

٥ ـ ونتيجة لكساد الأسواق سيتأثر السوق بوجه عام نتيجة غلاء سعر السلعة الموجودة.

ب ـ الأسعار وتأثيرها على الثروة القومية:

والآن نتساءل عن مدى تأثير الأسعار على الثروة القومية؟

أولاً:

١ ـ عندما تهبط الأسعار في الأسواق ويصير السعر بخساً فإنه سيعود تأثيره على انكماش العرض على السلعة.

٢ ـ وبالتالي فإن كثيراً من أصحاب السلع وهم المزارعون أو الصانعون أو التجاريون سيتأثرون بهبوط الأسعار تأثيراً كبيراً.

٣ ـ نتيجة لهبوط الأسعار يتأثر المنتجون من الزراع والصناع والتجار علاوة على السماسرة»... فتهبط دخولهم وبالتالي سيتأثر الاقتصاد كثيراً.

٤ ـ نتيجة لتأثر دخول المنتجين ولهبوط أسعار السلع ستتأثر الثروة القومية

وذلك نتيجة هبوط دخولهم السنوية وتدني دفع الزكاة إلى الدولة.

٥ ـ بالتالي فإن زيادة الطلب على السلع نتيجة بخس أسعارها سينكمش المعروض مما سيؤثر بالتالي على الثروة القومية نتيجة هبوط قيمة السلع عن أثمانها الحقيقية وزيادة العرض عن الطلب.

٦ ـ نتيجة لذلك ستنكمش السلع المعروضة في الأسواق نتيجة بخس أسعار السلع عن سعرها الحقيقي... ونتيجة لذلك سيحدث العكس.

٧ ـ ستختفي السلع نتيجة تدني أسعارها وسيزداد الطلب الكثير على هذه السلعة وسيحدث تأثير كبير على الأسواق.

ثانياً:

بينا سابقاً بخس الأسعار وتأثيرها على الأسواق والثروة القومية والعكس صحيح... أي عندما تغلو أسعار السلع وترتفع ارتفاعاً كبيراً ترى ماذا سيحدث للثروة القومية...؟

١ ـ عندما ترتفع الأسعار في الأسواق ويصير السعر مرتفعاً أي أن قيمة السلعة أغلى عن قيمتها الحقيقية.

٢ ـ وبالتالي سيؤثر ذلك على المستهلكين، فإذا كانت السلعة ضرورية من المواد الغذائية فإن المستهلك سيضطر إلى شرائها... أما إذا كانت السلعة من المواد الترفيهية فإنه سيحجم عن شرائها.

٣ ـ نتيجة لارتفاع الأسعار سيؤثر ذلك على السوق، وبالتالي ستؤثر على الثروة القومية... فإذا كانت السلعة استهلاكية ستكون مشكلة اقتصادية بالنسبة للدولة... أما إذا كانت السلعة متبادلة دولياً فإنها ستعود بالنفع على الثروة القومية، وبالتالي سيتأثر مستوى المعيشة للفرد.

٤ ـ بين الله لنا في قصة يوسف عليه السلام أنه لم يستغل الموقف بالقحط الذي أصاب مصر والبلاد المجاورة.

٥ ـ كذلك أعطى الله تعالى في قصة يوسف عليه السلام درساً من العلوم الاقتصادية في علم الأسعار يتمثل في عدم استغلال الموقف الذي أصاب البلاد ليرفع سعر الغلة والقمح، بل كان يوسف متصدقاً على المحتاجين الذين لجأوا إليه من كل صوب وحدب.

قال تعالى:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

الآية (٨٨).

جـ ـ العرض والطلب وتأثيره على الأسعار:

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

الآية (٢٠).

وعند تحليلنا اقتصادياً للعرض والطلب نتوصل إلى ما يأتي:

١ ـ العرض والطلب سلاحان قويان في التحليل الاقتصادي لمستويات الأسعار وحجم التبادل. يؤثران على الحالة النفسية والعقلية للمتعاملين.

كما أشارت إلى ذلك الآية الكريمة: ﴿وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين﴾.

٢ ـ السوق هي التي تحدد سعر السلعة حسب العرض والطلب ونشاط وقوة كل منها.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وشروه بثمن بخس﴾ فيه تنويه إلى أن السعر لم يحقق التوازن حسب النظام الاقتصادي للأسواق.

وعن العرض والطلب وتأثيره على الأسعار... قال الإمام القاسمي[1]:

﴿وجئنا ببضاعة مزجاة﴾ أي: بدراهم قليلة في مقابلة ما نمتاره. استقلوا الثمن واستحقروه اتضاعاً لهيبة الملك، واستجلاباً لرأفته وحنانه.

د ـ سلطة الدولة على الأسعار وتأثيرها على الأسواق:

اختلف الفقهاء في التسعير، فمنهم من ذهب إلى تحريمه جرياً على سنة الرسول القائل: «إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبني بمظلمة في دم ولا مال»، ومنهم من ذهب إلى إباحته عند الحاجة الملحة انطلاقاً من القاعدة الفقهية العامة ـ الضرورات تبيح المحظورات ـ لذلك يرى هؤلاء أن لولي الأمر أن يتدخل بتسعير السلع لضبط السوق التجارية ومقاومة الاحتكار ومحاربة السوق السوداء التي تقوم على الاحتكار.

وإذ عرفنا مما سبق أن الثمن البخس يفيد:

١ ـ أنه لا عدل في عملية البيع والشراء بل فيه غش في عملية البيع.

٢ ـ وعندما ننظر إلى قوله تعالى: ﴿وشروه بثمن بخس﴾ نجد أن الأسعار تتأثر بإلحاح الرغبة في الشراء أو الرغبة في البيع وذلك حسب العرض والطلب والحالة النفسية بين المشتري والبائع... على نحو ما ذكرنا من قبل.

٣ ـ ومن ثم فإن سلطة الدولة الحاكمة هي التي يمكنها أن تحقق العدل والتوازن للنظام الاقتصادي في البلد حتى لا تتدخل الأهواء والرغبات الغير سوية عند البيع والشراء فيحدث الاضطراب الاقتصادي.

٤ ـ أن تتدخل الدولة أو السلطة الحاكمة في الأسواق لتحقيق العدل والتوازن

---

(١) الإمام القاسمي، سورة يوسف، آية (٨٨) ص ٢٧٠، م ١٠.

للنظام الاقتصادي في الأسعـار فإن عدم تدخلها يأتي بنتائج للأسواق كظهور المتلاعبين في جنح الظلم فيما يعرف «بالسوق السوداء».

٥ ـ والسوق السوداء سوق غير نظامية وغير قانونية تعقد فيها الصفقات بسعر أعلى من السعـر الرسمي للسلعـة أو الحقيقي وفيها يتقلب السعـر من الإرتفاع الشديد إلى البخس وذلك لعدم هيمنة الدولة على الأسواق. . . ومن ثم يحدث الإضطراب.

٦ ـ رأينا تأكيداً لما ذهبنا إليه أن يوسف عليه السلام بعد أن أصبح عزيز مصر والمسئول والمتصرف في الدولة. . . قد سيطر على الأسـواق بالتنـظيم والمراقبة للأسعار.

ويوسف المسئول عن التصرف بتحديد الأسعار. . . قد تصدق على إخوته ولم يستغل هذا الظرف، قال الله تعالى:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

آية (٨٨).

٧ ـ إن التعبير عن البديل الذي جاء به إخوة يوسف ـ البضاعة المزجاة ـ يشير إلى أن يوسف عليه السلام كان من سلطاته معادلة وموازنة الأسعار حسب الظروف المحيطة بالبدل النقدي أو العيني.

٨ ـ في وصف الله الثمن البخـس في قوله سبحانه: ﴿وشروه بثمن بخس﴾ إشارة إلى أنه سبحانه لا يحب الغش والغبن ويدعو إلى العدل، والعدل مسئولية الحاكم أولاً. . .

وعليه فإن سلطة الحاكم مسئولية أمام الله للمستهلك في تحـديد أسعار السلعة والسيطرة عليها.

هـ ـ سلطة الدولة على الأسعار بتحديد الأوزان والمكاييل:

تحديد الأوزان والمكاييل بأنواعها المختلفة تلك يتعامل بها في الأسواق في عمليتي البيع والشراء... يرجع إلى سلطة الدولة المسئولة عن هذا التحديد.

١ ـ عندما تعامل إخوة يوسف عليه السلام مع مصر قالوا فيما حكاه القرآن: ﴿فأوف لنا الكيل...﴾ آية (٨٨).

من هذا نأخذ أن يوسف حدد في عملية البيع مقداراً معيناً من الكيل.

٢ ـ وفي قوله تعالى: ﴿فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه...﴾ آية (٧٠) إشارة إلى معيار ومكيال معين يقاس ويوزن به حسب الأعراف والتجارة الدولية بين الشعوب. جاء في ابن كثير قال ابن زيد: كان يشرب فيه ويكيل للناس به من عزة الطعام إذ ذاك قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وعبد الرحمن ابن زيد.

٣ ـ وقوله: ﴿هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير﴾ آية (٦٥).

فيه دلالة واضحة على وجود المكاييل والمعايير بأوزان معينة وأحجام مختلفة متعارف عليها بين الناس.

٤ ـ الدولة هي المسئولة عن تحديد الموازين والمكاييل حسب الأعراف والأنظمة الدولية، ضبطاً للتبادل التجاري في الأسواق وتنظيماً لعمليتي البيع والشراء بميزان معين دقيق.

وفي قوله تعالى:

﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۝٥٩ ﴾.

الآية (٥٩).

تأكيد على أن يوسف رسول الله وبما آتاه الله من السلطة كان يوفي الوزن والكيل وأن له السلطة في إقامة العدل والأمن في الأسواق والاقتصاد بوجه عام، وأنه خير المنزلين أي المكرمين لمن ينزل به من ضيوف وبلا مقابل.

وفيما يختص بسلطة الدولة على الأسعار وتأثيرها على الأسواق قال العلامة الألوسي[1]:

ولعله عليه السلام إنما باع كل واحد منهم حمل بعير لما روى أنه عليه السلام كان لا يبيع أحداً من الممتازين أكثر من ذلك تقسيطاً بين الناس. أليس في القسط والعدل رواج ومنع للغش والغبن وتثبيت للأسعار دونما جهد أو إرهاق للمستهلك؟.

(1) الألوسي، سورة يوسف، الآية (58: 65) ص 7: 12 م 2 ج 13.

منهاج تدريس التخطيط في جامعات المسلمين

وفق خواطرنا

حول قصة يوسف عليه السلام

أولاً ـ التخطيط في قصة يوسف عليه السلام وحكمة الله من ذكرها:

ثانياً ـ تعليم التخطيط الفردي ولحياتنا الاقتصادية العلمية على منهج الشريعة الإسلامية:

ثالثاً ـ تدريس التخطيط لاعداد مخططين إسلاميين وفق منهج القرآن الكريم.

أ ـ التطبيق العملي للتخطيط الإسلامي وإدارة منشآت الدولة الاقتصادية والإدارية في هذا الإطار.

ب ـ التطبيق العملي للتخطيط الإسلامي في الإدارات والأقسام الحكومية.

جـ ـ تدريس علوم التخطيط في الكليات العسكرية والأمنية للدولة.

ثالثاً: مفهوم الموازين والمكاييل في قصة يوسف عليه السلام

تفسير قوله تعالى:

﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي ۖ هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ ﴾.

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

الآيات٥٩، ٦٣، ٦٥، ٨٨).

أقوال المفسرين في هذه الآيات الكريمة.

وقد ذكر الإمام الطبري[1] في تفسيره للآية (٨٨):

وفي الكلام متروك قد استغنى بذكر ما ظهر عما حذف وذلك فخرجوا راجعين إلى مصر حتى صاروا إليها فدخلوا على يوسف فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر أي: الشدة من الجدب والقحط وجئنا ببضاعة مزجاة.

كما حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحٰق قال وخرجوا إلى مصر راجعين إليها ببضاعة مزجاة أي: قليلة لا تبلغ ما كانوا يتبايعون به إلا أن يتجاوز لهم فيها وقد رأوا ما نزل بأبيهم وتتابع البلاء عليه في ولده وبصره حتى قدموا على يوسف فلما دخلوا عليه قالوا: يا أيها العزيز رجاء أن يرحمهم في شأن أخيهم: مسنا وأهلنا الضر وعنى بقوله: وجئنا ببضاعة مزجاة بدراهم أو ثمن لا يجوز في ثمن الطعام إلا لمن يتجاوز فيها وأصل الإزجاء السوق بالدفع.

وقوله: ﴿فأوف لنا الكيل﴾ بها وأعطنا بها ما كنت تعطينا قبل بالثمن الجيد والدراهم الجائزة الوافية التي لا ترد.

---

(١) الإمام الطبري، سورة يوسف، آية (٨٨) ص ٣٢: ٣٧، م ١٤.

وقوله: ﴿وتصدق علينا﴾ ـ معناه: أي: قالوا وتفضل علينا بما بين سعر الجياد والرديئة فلا تنقصنا من سعر طعامك لرداءة بضاعتنا ﴿إن الله يجزي المتصدقين﴾ إن الله يثيب المتفضلين على أهل الحاجة بأموالهم.

وجاء في تفسير الإمان ابن الجوزي[1] للآية (٨٨) من سورة يوسف ما يلي:

﴿قالوا: يا أيها العزيز﴾ وكانوا يسمون ملكهم بذلك، ﴿مسنا وأهلنا الضر﴾ يعنون الفقر والحاجة ﴿وجئنا ببضاعة مزجاة﴾.

قوله تعالى: ﴿فأوف لنا الكيل﴾ أي: أتمه لنا ولا تنقصه لرداءة بضاعتنا.

قوله تعالى: ﴿وتصدق علينا﴾ فيه ثلاث أقوال:

أحدها: تصدق علينا بما بين سعر الجياد والرديئة، قال سعيد بن جبير، والسدي. قال ابن الأنباري: كان الذي سألوه من المسامحة يشبه التصدق، وليس به.

والثاني: برد أخينا، قاله ابن جريج.

والثالث: وتصدق علينا بالزيادة على حقنا، قاله ابن عيينة.

قوله تعالى: ﴿إن الله يجزي المتصدقين﴾ أي: بالثواب. قال الضحاك: لم يقولوا: إن الله يجزيك إن تصدقت علينا، لأنهم لم يعلموا أنه مؤمن.

وقال الإمام القاسمي[1] في تفسيره للآية (٨٨) من سورة يوسف ما يلي:

﴿فلما دخلوا عليه﴾ أي: على يوسف بعدما رجعوا إلى مصر، قالوا: يا أيها العزيز أي: الملك القادر المتمتع، ﴿مسنا وأهلنا الضر﴾ أي: الشدة من الجدب.

---

(١) الإمام ابن الجوزي، سورة يوسف، الآية (٨٨) ص ٢٧٧: ٢٧٩، م ٤.

(١) الإمام القاسمي، سورة يوسف، آية (٨٨) ص ٢٧٠، م ١٠.

وأصل معنى (**التزجية**): الدفع والرمي، فكنوا به عن القليل الذي يدفع، رغبة عنه، لذلك ﴿**فأوف لنا الكيل**﴾ أي: أتمه ووفره بهذه الدراهم المزجاة، كما توفره بالدراهم الجياد ﴿**وتصدق علينا**﴾ أي: برد أخينا، أو بالإيفاء، أو بالمسامحة وقبول ما لا يعد عوضاً. ﴿**إن الله يجزي المتصدقين**﴾ أي: يثيبهم أحسن المثوبة.

ثانياً: الموازين والمكاييل والجانب الاقتصادي والتخطيطي

تمهيد

لم يكن يوسف عليه السلام بدعا من الرسل الذين شاركوا في تحقيق منهج الله بوضع الأسس السليمة لقيام نظام اقتصادي متكامل وفق منهج الله... ذلك لأن الحياة الإنسانية عندما سادتها الصفات الطيبة في معاملاتها التجارية انطلقت لإعمار الأرض تطبيقاً لقاعدة الاستخلاف... وإذ تفسد الحياة بانطفاء شعلة الأخلاق تختنق الأنفاس ولا متنفس إلا بالعودة إلى منهج الله... فسدت الحياة في مدين وشاع الغش والخداع وأكل أموال الناس بالباطل... غش في الموازين والمكاييل فكانت عناية الله... أرسل سبحانه شعيباً لإصلاح الجانب العقدي وإصلاح الجانب المادي وفي ذلك قوله تعالى: **﴿قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلك خير لكم...﴾** الأعراف الآية رقم (٨٥)... وقال عز من قائل في سورة هود: **﴿قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾** هود (٨٤ ـ ٨٥)... وتكررت الدعوة بشقيها تأكيداً على أهميتها في قوله تعالى: **﴿إذ قال لهم شعيب ألا تتقون إني لكم رسول أمين**

---

(١) وهناك تحت الطبع كتابي الثاني إن شاء الله، والذي يتحدث عن «المنهج الاقتصادي في الموازين والمكاييل لنبي الله شعيب عليه السلام، من خلال قصص القرآن الكريم الذي لا ينضب معينه...

فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ الشعراء الآية (١٧٧ ـ ١٨٣)... إنه منهج الله لإسعاد البشرية: توحيد خالص، ومعاملات تتسم بالعدل والعدالة... وجاء الإسلام... والإسلام جاء كما قال الرسول ﷺ: «إنما مثلي ومثل النبيين من قبلي...».

نجاء الإسلام والإسلام جاء مكملاً متمماً خاتماً تصالحاً لكل زمان ومكان... جاء الإسلام والإسلام جاء: دعوة إلى توحيد الربوبية والألوهية جاء الإسلام والإسلام جاء: دعوة إلى تعاون وأخوة ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ جاء الإسلام والإسلام جاء: دعوة إلى الحق بإقامة العدل والحق بين الناس ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾ جاء الإسلام والإسلام جاء للتحذير من الغش والخداع ﴿ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ المطففين الآية (١ ـ ٦).

فالمكاييل والموازين أمور تتحقق بهما العدالة الاقتصادية بين البائع وبين المشتري في الحياة، فيسود العدل، ويستقر الحق بين الناس جميعاً... وقد أوصى بهما الله تعالى البشر منذ عهد آدم عليه السلام حتى تقوم الساعة... وانطلاقاً من ذلك قال يوسف فيما حكاه القرآن الكريم:.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾.

الآية (٥٩).

بل طلب منه إخوته تحقيق منهج الله المقصود من تحقيق العدالة بالكيل فيما حكاه القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

الآية (٨٨).

مما تقدم يتبين لنا أن المكاييل والموازين من الأسس الرئيسية في كل الشرائع السماوية وبها ينتعش الاقتصاد وتتحقق العدالة، فيسعد الناس بحياتهم.

١ ـ المغزى الحق للموازين والمكاييل:

مما سبق يمكن التعرف على المغزي الحق في استعمال الموازين والمكاييل فهي من الأمور والنظم الاقتصادية التي تحدد التعامل بين البائع والمشتري، وذلك على النحو التالي:

أ ـ أنها تقييم للسلعة بوزنها أو كيلها لمعرفة الوزن الحقيقي لإعطائها القيمة المحددة لثمنها.

ب ـ إن وزن بضاعة ما وتحديد وزنها يعطي الوزن الحقيقي بين المشتري والبائع لتحديد القيمة النقدية لها.

جـ ـ أن تحديد الدولة لسعر بضاعة ما بقيمة وزنها وإعطاء الدولة الأسعار والأثمان لهذه البضائع فإن وزن وكيل البضاعة تحدد قيمة هذه البضاعة حسب الأسعار المحددة من الدولة.

د ـ أن تحديد الوزن والمكيال من قبل الدولة أو السلطة الحاكمة يعطي ويحقق العدل في التعامل التجاري بين المشتري والبائع.

هـ ـ بتحقيق العدالة في الوزن والمكاييل لوزن البضاعة وإعطائها القيمة المسعرة الحقيقية حسب وزنها فإن كل مشترٍ وبائع يسير حسب النظام الذي وضع فيه علم الموازين والمكاييل لتحقيق العدل وإعطاء كل ذي حق حقه.

و ـ لقد فرق الله تعالى بين الموازين والمكاييل من حيث النوعية الاقتصادية المستعملة لاختلاف كل بضاعة، فليست كل بضاعة توزن أو تكال ويحمل على الكيل والوزن والمقياس بالأمتار ونحوها مما يحقق العدالة بين طرفي البيع والشراء.

ولما كنا بصدد الحديث عن منهج يوسف في التخطيط الاقتصادي المنبثق عن منهج الله ناسب أن نذكر ما جاء في سورة يوسف عن المكاييل على أن نتبع ذلك بتعريف المكاييل:

٢ - المكاييل

أ - الآيات التي ذكرت كلمة «الكيل» في قصة يوسف عليه السلام:

السورة	الآية	الرقم
يوسف	﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾	٥٩
	﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾	٦٠
	﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾	٦٣
	﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾	٦٥
	﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾	٨٨

ب - تعريف المكاييل:

من الآيات الكريمة السابقة يمكن القول بأن المكاييل عبارة عن وحدة اقتصادية معينة لقياس مقدار وحجم معين من سلعة ما تكال، وقد اتخذ اسم

الوزن الاقتصادي لقياس المحاصيل الاقتصادية بالمكيال، حيث أن بعض المحاصيل الزراعية الاقتصادية لا توزن أي لا تقدر إلا بهذه المكاييل ذات الأحجام المختلفة التي حددت السلطة لها مقاييس معينة من المكاييل وتعارف أهل الاقتصاد من التجار في الأسواق على هذه المقاييس والتي تمكن التجار من تحديد قيمة وثمن كل مكيال.

جـ ـ خـواص المكـاييـل:

استعمل يوسف عليه السلام المكيال في تقييم القمح والغلال الواردة أو المنصرفة من الصوامع... وبهذا حددت خواص المكيال بحجم معين وبشكل معين، وبالتالي فإن للمكيال خواصه التي عرفها التاجر والمشتري وبالتالي حدد ثمن البضاعة حسب المكيال بخواصه المتفق عليها.

لذلك استعمل نظام المكاييل بخواصه المعينة تلك لاستعمالات معينة من البضاعة...

د ـ استعمال المكاييل:

بين الله تعالي في قصة يوسف عليه السلام الاستعمالات الاقتصادية للمكاييل إذ استعملت في تقدير الحبوب والقمح على أن استعمال مكيال القمح لا يصلح إلا في تكييل بضاعة معينة من الموارد الزراعية كالقمح والشعير والأرز والذرة، في حين أنه لا يصلح للإستعمال في المواد السائلة كالسمن والزيت وغير ذلك من الاستعمالات التي لا تصلح إلا باستعمال مكيال آخر له خواص وشكل معين اعتمدته الدولة بمقاييس معينة فصار عرفاً بين التجار.

هـ ـ أنـواع المكاييـل:

للمكاييل أشكال وأنواع مختلفة منها الصغير والأوسط والأكبر. وقد حددت الدولة هذه الأنواع من المكاييل ليتوازن ثمن البضاعة بقيمتها حسب وزنها الحقيقي، ولتتحقق العدالة الاقتصادية بين البائع والمشتري.

٣ ـ المـوازيــن

أ ـ تعـريــف المـوازيــن:

ذكر الله تعالى في كتابه العزيز الميـزان إذ به تقـاس القيمة الحقيقيـة للبضاعة وذلك بوزنها ومعرفة الكم من وزنها حتى تتحدد قيمتها.

وبالميزان يتحقق العدل وبمعرفة الوزن الحقيقي للبضاعة تتحقق العدالة والحق في ثمن البضاعة ووزنهـا. . . ولهذا فـإن الوزن لـه معاييـر ومقاييس محددة حددتها العلاقات الاقتصادية في كل بلد وفي العلاقات التجارية بين الشعوب وعرفت بأسماء معينة وبمقاييس معينة عرفها التجار والمشترون وبهذا فإن الوزن حقق العدالة الاقتصادية والقيمة الحقيقية للبضاعة.

ب ـ خــواص الموازيــن:

ولقد عرفت الموازين بخواص معينـة وهي في أبسط صورهـا قضيب حديدي توضع في جنب منه البضاعة وفي الجنب الآخـر الوحدة المحـددة والمعينة للوزن وبهذا تعرف نتيجة وزن هذه البضاعة وبالتالي يمكن أن تحدد قيمتها حسب أوزانها. . . ولقد اتخذت أوزان وأثقال معينة حددتها السلطات سواء من قبل الدولة أو التجار أو الأعراف بينهم بوزن أو بأوزان معينة لتحديد وزن البضاعة.

جـ ـ استعــال الموازيــن:

تستعمل الموازين فيما ليس بمساحة أو كيل أو حسب خواص وأشكال البضاعة أو السلعة إذ أن العبرة من الميزان تحقيق العدالة وتقييم السلعة على أساس وزنها ونوعها وفقاً لقولـه تعالى: ﴿**وزنـوا بالقسـطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم**﴾.

د ـ أنــواع الموازيــن:

لقد عرف في أسواق العالم منذ بداية التاريخ حتى اليوم استعمال أنواع الموازين المختلفة ولها أسماء وأشكـال وأحجام معينـة كلها تؤدي إلى وزن

البضاعة وإعطائها الصفة الحقيقية والمعلومة بوزن معين حتى تتحقق. العدالة الاقتصادية في قيمة البضاعة لوزنها الحقيقي.

٤ ـ السمات الإسلامية للموازين والمكاييل والفرق بينهما:

ألقت قصة يوسف عليه السلام الضوء على نظام المكاييل والموازين من الناحية الاقتصادية لتحقيق العدالة التجارية بين البائع والمشتري حيث أنها اتخذت كنظام اقتصادي لمعرفة وزن الحبوب لتحديد قيمتها وأسعارها.

لهذا فإن الأنظمة الإسلامية للموازين والمكاييل في الاقتصاد لها سمات وملامح إسلامية تتعلق بالأمانة والحق والعدل في المعاملات التجارية والمالية حيث تعطي الثقة بين المتعاقدين وتحقق العدالة والرواج الاقتصادي والتجاري وانتعاش الأسواق وغير ذلك من الصفات التي سبق ذكرها من قبل... إلا أن إيفاء الوزن يعتبر من أهم السمات، فهو أحد أسس الشريعة الإسلامية لأنه يحقق العدل والحق والمكانة، قال الله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۝٥٩﴾.

الآية (٥٩).

وقال سبحانه:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ۝٨٨﴾.

الآية (٨٨).

أما فيما يتعلق بالفرق بين المكاييل والموازين... فيتلخص فيما يلي:

أ ـ إن استعمال المكاييل في التجارة يوضح لنا أن الموازين والمكاييل مفاهيم اقتصادية تستعمل في التجارة الداخلية والخارجية بين الشعوب.

ب ـ المكاييل والموازين تحقق العدالة الاقتصادية بين البائع والمشتري وذلك بوزن أو كيل البضاعة ومعرفة وزنها وتقدير قيمتها حتى يتسنى وضع سعر هذه البضاعة.

جـ ـ ذكر الله تعالى المكاييل... ومعنى ذلك أن المكيال له شكل وخواص معينة كما ذكرت الآية (٧٢) من سورة يوسف...

﴿قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ...﴾.

أي أن المكيال وحدة متماسكة له شكل معين ويستعمل في الحبوب والمواد السائلة أحياناً.

د ـ المكيال والوزن وحدتان اقتصاديتان أساسيتان تستعملان لوزن البضاعة ومعرفة حجم وزنها ومقداره حتى يتسنى تقدير البضاعة ومن ثم معرفة قيمتها أي أنهما يتفقان في تحقيق وزن البضاعة ويختلفان في الاستعمال فما يستعمل في نوع من السلعة قد لا يستعمل في نوع آخر.

هـ ـ لقد اتخذت أشكال وأنواع عديدة من الموازين والمكاييل في الأسواق سواء من عصر يوسف عليه السلام أو قبله منذ عصر آدم عليه السلام وحتى وقتنا هذا، فقد كانت الشعوب تستعمل أنواعاً متعددة من الموازين والمكاييل ولها أسماء معينة إلا أن جميعها يؤدي إلى تحقيق ومعرفة الوزن الحقيقي للبضاعة.

وقد جاء في أحكام القرآن لأبي بكر محمد عبد الله المعروف بابن العربي[1] والذي حققه علي محمد البجاوي، في تفسير الآية (٨٨) من سورة يوسف ما يلي:

قوله: ﴿فأوف لنا الكيل وتصدق علينا﴾:

المعنى: جئنا بقدرنا، فأعطنا بقدرك، تضاءلوا بالحاجة، وتمكنوا بفادحة

(١) أحكام القرآن، ابن العربي، المجلد الثالث، تحقيق علي محمد البجاوي، الآية (٨٨) من سورة يوسف، ص ١١٠٥.

المصيبة في الأخرين، وما صار إليه أمر الأب بعدهما.

قال ابن القاسم، وابن نافع، عن مالك: قالوا ليوسف: فأوف لنا الكيل، فكان يوسف هو الذي يكيل، إشارة إلى أن الكيل والوزن على البائع، لأن الواجب عليه تمييز حق المشتري من حقه، إلا أن يبيع منه معيناً صبرة أو مالا حق توفيه فيه، فقبل أن يوفي فما جرى على المبيع فهو منه، ولذلك قال علماؤنا: أجرة الكيل على البائع، وأجرة النقد على المبتاع، لأن الدافع لدراهمه يقول: طيبة فأنت الذي تدعي الرداءة.

قوله: ﴿وتصدق علينا﴾:

قال علماؤنا: لما علموا أن بضاعتهم غير مرضية قالوا: اجعلها حباء إن لم تكن شراء. وقال آخرون منهم: طلبوا منه وفاء الكيل والصدقة بعد ذلك.

وقد علق الدكتور غريب الجمال[1] على الكيل والميزان، بقوله:

حسن الوفاء:

يأمر الإسلام بأن كل من يباشر النشاط الاقتصادي الوفاء بالتزاماته كاملة غير منقوصة، فيحض القرآن الكريم على حسن الكيل والميزان، وما كان يتعرض كتاب الله لمثل هذا الأمر لولا خطره في العلائق الإنسانية والروابط الاقتصادية وقيام النشاط الاقتصادي على أسس سليمة وطيدة تدعم المجتمع، قال تعالى:

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾[2].

(١) النشاط الإقتصادي في ضوء الشريعة الإسلامية، الدكتور/ غريب الجمال، الأستاذ بالمعهد العالي للدراسات الإسلامية بالقاهرة، ص ١٣٩، ١٤٠.

(٢) الآية ٣٥ من سورة الإسراء.

ويقول تعالى:

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾[1].

المطفف هو من لا يوفي غيره.

والتطفيف البخس في الكيل والوزن. وذلك لأن ما يبخس إنما هو شيء طفيف حقير حتى لا يدركه المشتري، قال ابن عباس رضي الله عنهما لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أبخس الناس كيلاً، فأنزل الله عز وجل: **﴿ويل للمطففين﴾** فأحسنوا الكيل.

ويقال إنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو جهينة، ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر، فأنزل الله **﴿ويل للمطففين﴾** ثم بين من هم فقال تعالى: **﴿الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون﴾** أي: إذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية وذكر **﴿على﴾** للدلالة على التحامل على الناس أثناء الكيل **﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم﴾** أي: إذا كالوا للناس أو وزنوا لهم كما تقول نصحتك ونصحت لك **﴿يخسرون﴾** أي ينقصون الكيل والوزن.

فكل من أخذ لنفسه زائدة ودفع إلى غيره ناقصاً قليلاً أو كثيراً أي كل من زاد الكيل إذا اشترى وأنقصه وهو يبيع، لحقه الوعيد ما لم يتب، فإن تاب قبلت توبته إذا رد الحقوق إلى أربابها، وإذا لم يتب وأصر كان مصراً على الكبيرة.

ثم أعقب الوعيد المذكور بما يؤكده مذكراً بما تقدم من أن الملائكة يكتبون هذا التطفيف كما يكتبون كل حسنة وسيئة للأبرار والفجار، قال تعالى: **﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقول الناس لرب العالمين كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به إلا كل معتد أثيم**

---

(١) الآيات ١: ٣ من سورة المطففين.

إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين كلا بل رانْ على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾.

فالقرآن الكريم يعجب من أمر المطففين، وكيف يغفلون عن يوم يبعثون فيه ويحاسبون؟ !!!.

إنهم تركوا مواهبهم العقلية، ولم يدركوا سعة الأرزاق التى ادخرها الله تعالى لهم في الأرض، فلذلك ضيقوا على أنفسهم دائرة التفكير، وتركوا كل جمال ونعمة وحكمة وبهجة وضاقت عليهم دائرة عقولهم وصغرت فلم تعقل من هذه المواهب إلا ما رأوه في يد غيرهم، فهم يختطفون تارة بطريق التطفيف وأخرى بطريق السلب والنهب والسرقة وهكذا.

وهذا كله يكتبه الملائكة في كتاب يسجل عليهم الضيق والحبس كما حبسوا أنفسهم في دائرة ضيقة، وأما الآخرون فلما وسعوا على عقولهم مجال التفكير ولم يحصروها في دائرة الحسد والسطو على ما بين غيرهم جعل الملائكة كتابهم فيه ما يعلي قدرهم وشأنهم لعلو نفوسهم وسمو عقولهم. قال تعالى: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون إن الأبرار لفي نعيم﴾.

٥ ـ السلطة الشرعية والاقتصادية في الموازين والمكاييل:

بين الله تعالى أن يوسف عليه السلام المسئول والوزير الأول والذي بيده السلطة الشرعية والتنفيذية للدولة استطاع التصرف في الوزن وتحديد الكميات من القمح وتكييلها وإعطاء الكيل أو منعه حسب ما يراه في سياسته للدولة والخاصة بتوزيع القمح في السنوات السبع القحط بما يحقق النفع ويدفع الضرر ويجمع الشمل.

قال سبحانه:

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

الآية (٦٣)

أ ـ السلطة الشرعية للدولة في الموازين والمكاييل:

أكد يوسف عليه السلام سلطته الشرعية كمسئول عندما رد قيمة القمح إلى إخوته فهو كمسئول أصدر أمراً بذلك لأهداف إدارية بعيدة علمها الله له قال الله تعالى:

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ﴿٦٥﴾﴾.

الآية (٦٥).

بعد سبق قوله تعالى: **﴿ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم...﴾** آية (٥٩). ومنه يتضح أن يوسف عليه السلام طلب من إخوته أن يأتوه بأخيه وهو كنبي ومسئول ووزير لمصر يرمي بفعله هذا إلى أهداف بعيدة لعلها رفع الضنك عن أهله وجمع شمل الأسرة وتحقق ما أراده الله فيما سبق أن قصه يوسف على أبيه من رؤياه.

ب ـ سلطة الدولة لتنظيم الموازين والمكاييل:

لقد حدد يوسف نظام تعامل الدولة وسلطتها في الأسواق بتنظيم الموازين والمكاييل ونظم التوزيع.

وأوجب على الدولة والإداريين أن يلتزموا الأمانة بتحديد نوع الموازين والمكاييل التي تستعمل في الأسواق للتعامل.

ولا جدال في أن نظام التكييل والوفاء به وإعطاء كل ذي حق حقه من الأمور الهامة في الموازين والمكاييل في عصرنا الحاضر.. اقتداء بيوسف عليه السلام:

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾

الآية (٥٩).

وامتثالاً لسيد البيان محمد عليه الصلاة والسلام إذ يقول: «من غشنا فليس منا» كما قال: «وما بخس قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة القحط وجور السلطان».

جـ ـ سلطة الدولة الشرعية لحماية الاقتصاد بالموازين والمكاييل:

١ ـ عرفنا أن يوسف عليه السلام كان المسئول أمام الله والملك والشعب وبالذات مسئوليته عن خطط المخزون من القمح والغلال لسني القحط السبع القادمة... وعرفنا ضوابطه في التوزيع والتخزين بالموازين والمكاييل. كما قال عنه القرآن الكريم ﴿... **ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين**﴾ الآية (٥٩).

فالوفاء بالكيل من العوامل الأساسية في الاقتصاد والتعامل التجاري.

٢ ـ كما عرفنا أن تبادل التجارة بين الشعوب، وإعطاء الموازين والمكاييل

حقها من العلوم الشرعية والدينية توجيهاً للاقتصاد وجهة سليمة ويوسف كمسئول يوفي الميزان ويحدد من يتصرف في إعطاء القمح أو الغلال موازياً الأسعار أو إعطاء الغلال بلا موازاة للسعر المتبادل في تعامله مع أخوته . . . قال الله تعالى:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾

الآية (٨٨).

لقد أدى يوسف عليه السلام الأمانة التي عهدت إليه بإنقاذ شعب مصر والشعوب والقبائل المجاورة لها والتعامل معها في التبادل التجاري . . . فكان كمسئول إداري رحيماً رؤوفاً يقيم الظروف ويتصدق عليهم وذلك حسب ظروفهم وأحوالهم.

٦ ـ التعاون الإنساني في التجارة بين الشعوب ونظام الموازين والمكاييل:

بين الله تعالى في قصة يوسف عليه السلام كيف يكون التعاون الإنساني في التبادل التجاري بين دولة مصر والشعوب والقبائل المجاورة لها، وبالذت في عصر يوسف عليه السلام في سنوات القحط السبع.

أ ـ ونتيجة لتبادل التجارة بين مصر ومسئولها يوسف عليه السلام وبين الشعوب المجاورة عرفنا نظام الموازين والمكاييل التي استعملت في ذلك العصر.

ب ـ استعمل يوسف كيلاً معيناً يكتال به: صواع الملك. ولربما أنه كان عنده أشكال أخرى من هذا الكيل...

قوله تعالى:

﴿قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ٧٢﴾.

الآية (٧٢).

جـ ـ فسر بعض المفسرين الصاع بما يفيد أنه وحدة كيل يكتال بها وهي لها وزن معين معروف بين المتعاقدين... ومن ذلك عرفت الشعوب والقبائل والمصريون الذين يتعاملون مع صوامع الغلال وحدة ووزن هذا الكيل أو الصاع آنذاك.

د ـ بين يوسف عليه السلام أن تبادل التجارة بين الشعوب بنظام الموازين والمكاييل يستلزم عقداً بين المتعاقدين، سواء كان كتابياً أو شفهياً بحيث إذا حدث إخلال بين طرفي العقد لسبب ما من الأسباب يرى الطرف الآخر أنه أضربه، فإن علاقتهما تنقطع.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي
ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾

الآيتان (٥٩، ٦٠).

هـ - التزم يوسف كمسئول من قبل الدولة بالعقد الشفهي لنظام الموازين مع إخوته وقد رد بضاعتهم إليهم، فهو المسئول وله حرية التصرف في الأمور التي بين يديه حسب ما يتراءى له تبعاً للظروف والأحوال. . .

ولهذا أصدر أوامره وتعليماته إلى فتيانه تحسباً لما يريده، قال سبحانه وتعالى في ذلك:

﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ
أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

الآية (٦٢).

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا
نَبْغِي ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ
بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾.

الآية (٦٥).

و - من هذا يتبين أن نظام الموازين والمكاييل، كان معروفاً لدى الشعوب في هذا العصر.

رابعاً: اقتصاديات النقل وطرق قوافل التجارة بين الشعوب

تفسير قوله تعالى:

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾.

الآية (١٠).

ثم تفسير قوله تعالى:

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾.

الآية (١٩).

وتفسير قوله تعالى:

﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾.

الآية (٨٢).

وسنكتفي بإيراد أقوال بعض المفسرين للآيتين (١٩، ٨٢) فقط حتى لا نثقل على القارىء.

أولاً: أقوال المفسرين في هاتين الآيتين

جاء في تفسير الإمام الطبري[1] للآية (١٩) من سورة يوسف ما يلي:

قوله: ﴿وجاءت سيارة﴾ الطريق من المسافرين فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه فتعلق به يوسف فخرج فقال المدلي يا بشرى هذا غلام. . . .

وقال الإمام ابن الجوزي[2]:

قوله تعالى: ﴿وجاءت سيارة﴾ أي: قوم يسيرون ﴿فأرسلوا واردهم﴾ قال الزجاج: الوارد: الذي يرد الماء ليستقي للقوم.

قوله تعالى: ﴿فأدلى دلوه﴾ أي: أرسلها.

قوله تعالى: ﴿بضاعة﴾ كأنه قال: وأسروه جاعليه بضاعة. وقال ابن قتيبة: أسروا في أنفسهم أنه بضاعة وتجارة.

قوله تعالى: ﴿والله عليم بما يعملون﴾ يعم الباعة والمشترين.

وقال الإمام القرطبي[3]:

قوله تعالى: ﴿وجاءت سيارة﴾ أي رفقة مارة يسيرون من الشام إلى مصر ﴿فأرسلوا واردهم﴾ والوارد الذي يرد الماء يستقي للقوم، ﴿فأدلى دلوه﴾

---

(١) الإمام الطبري، سورة يوسف، آية (١٩) ص ٩٩: ١٠١.
(٢) الإمام ابن الجوزي، سورة يوسف، آية (١٩) ص ١٩٣: ١٩٥، م ٤، ج ١٣.
(٣) الإمام القرطبي، سورة يوسف، آية (١٩) ص ٣٣٨١: ٣٣٨٣، م ٤.

أي أرسله يقال: أدلى دلوه إذا أرسلها ليملأها، ودلالة أي أخرجها، يـدلو دلـواً، أي جذب وأخرج، فتعلق يوسف بالحبل، ﴿وأسروه بضاعة﴾ الهاء كناية عن يوسف عليه السلام، فأما الواو فكناية عن إخوته. وقيل: عن التجار الـذين اشتروه، وقيل عن الوارد وأصحابه ﴿بضاعة﴾ نصب على الحال.

قال مجاهد: أسره مالك بن دعر وأصحابه من التجار الذين معهم في الرفقة وقالوا لهم: هو بضاعة استبضعناها بعض أهل الشام أو أهل هذا الماء إلى مصر، وإنما قالوا هذا خيفة الشركة.

وقال الإمام ابن كثير[1]:

قال محمد بن إسحاق لما ألقاه إخوته جلسوا حـول البئر يـومهم ذلك ينظرون ماذا يصنع وما يصنع به فساق الله له سيارة فنزلوا قريباً من تلك البئر.

وقال العوفي عن ابن عباس قوله: ﴿وأسروه بضاعة﴾ يعني إخوة يوسف أسروا شأنه وكتموا أن يكون أخاهم وكتم يوسف شأنه مخافة أن يقتله إخوته واختار البيع فذكره إخوته لوارد القوم فنادى أصحابه ﴿يا بشرى هذا غلام﴾ يباع فباعه إخوته وقوله: ﴿والله عليم بما يعملون﴾ أي عليم بما يفعله إخوة يوسف ومشتروه وهو قادر على تغيير ذلك ودفعه ولكن له حكمة وقدر سابق فترك ذلك ليمضي ما قدره وقضاه.

وقال الإمام أبو السعود[2]:

قوله عز وجل وجاءت ﴿سيارة﴾ أي رفقة تسير من جهة مدين إلى مصر ﴿وأسروه﴾ أي أخفاه الوارد وأصحابه عن بقية الرفقة وقيل أخفوا أمره وقالوا لهم دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه ولا يخفى ما فيه من البعد ﴿بضاعة﴾ أي أخفوه حال كونه بضاعة أي متاعاً للتجارة فإنها قطعة من المال بضعت عنه أي قطعت للتجارة، ﴿والله عليم بما

---

(١) الإمام ابن كثير، سورة يوسف، آية (١٩) ص ٤٧٢.
(٢) الإمام ابو السعود، سورة يوسف، آية (١٩) ص ٢٦١.

يعملون﴾ وعيد لهم على ما صنعوا من جعلهم مثل يوسف وهو عرضة للإبتذال بالبيع والشراء.

وجاء في تفسير الإمام الشوكاني[1]:

والمعنى: من نداء البشرى التبشير لمن حضر، وهو أوكد من قولك بشرته كما تقول يا عجباً: أي يا عجب هذا من أيامك فاحضر. قال: وهذا مذهب سيبويه ﴿أسروه﴾ أي: أسر الوارد وأصحابه الذين كانوا معه يوسف فلم يظهروه لهم، وقيل إنهم لم يخفوه، بل أخفوا وجدانه لهم في الجب. وزعمو أنه دفعه إليهم أهل الماء ليبيعوه لهم بمصر، وقيل ضمير الفاعل في أسرو لإخوة يوسف، وذلك أنه كان يأتيه أخوه يهوذا كل يوم بطعام، فأتاه يوم خروج من البئر فأخبر إخوته فأتوا الرفقة وقالوا: هذا غلام أبق منا فاشتروه منهم. وسكت يوسف مخافة أن يأخذوه فيقتلوه.

والأول أولى. أي أخفوه حال كونه بضاعة: أي متاعاً للتجارة والبضاعة: ما يبضع من المال: أي يقطع منه لأنها قطعة من المال الذي يتج به، قيل قاله لهم الوارد وأصحابه أنه بضاعة استبضعناها من الشام مخافة أ يشاركوهم فيه، وفي قوله: ﴿والله عليم بما يعملون﴾ وعيد شديد لمن كا سبباً لما وقع فيه يوسف من المحن وما صار فيه من الابتذال يجري البيع والشراء فيه.

وقال الشيخ المراغي[2]:

وفي هذا تذكير من الله لنبيه محمد ﷺ وتسلية له على ما كان يلقى من أقربائه وأنسبائه المشركين من الأذى فكأنه يقول له: اصبر على ما نالك في الله، فإني قادر على تغيير ذلك، كما قدرت على تغيير ما لقي يوسف من إخوته، وسيصير أمرك إلى العلو عليهم كما صار أمر يوسف مع إخوته إذ صار سيدهم.

---

(١) الإمام الشوكاني فتح القدير، سورة يوسف، آية (١٩) ص ١٣.

(٢) الشيخ/ المراغي، سورة يوسف، آية (١٩) ص ١٢٣ ج ٥.

وقال الأستاذ سيد قطب[1]:

﴿وجاءت سيارة﴾. . .

أي قافلة سميت سيارة من السير الطويل كالكشافة والجوالة والقناصة. . .

﴿قال يا بشرى هذا غلام﴾. . .

ومرة أخرى يحذف السياق كل ما حدث بعد هذا وما قيل، وحال يوسف، وكيف ابتهج للنجاة، ليتحدث عن مصيره مع القافلة.

﴿وأسروه بضاعة﴾. . .

أي اعتبروه بضاعة سرية وعزموا على بيعه رقيقاً. ولما لم يكن رقيقاً فقد أسروه ليخفوه عن الأنظار.

أما الآية (٨٢) فقد فسرها الإمام الطبري [2]، بقوله:

وإن كنت متهماً لنا لا تصدقنا على ما تقول من ان ابنك سرق فاسأل القرية التي كنا فيها وهي مصر، يقول سل من فيها من أهلها والعير التي أقبلنا فيها وهي القافلة التي كنا فيها التي أقبلنا منها معها عن خبر ابنك وحقيقة ما أخبرناك عنه من سرقة فإنك تخبر مصداق ذلك وإنا لصادقون فيما أخبرناك من خبره.

وقال الإمام ابن كثير[3]:

﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾ قيل المراد مصر قاله قتادة وقيل غيرها ﴿والعير التي أقبلنا فيها﴾ أي: التي رافقناها عن صدقنا وحفظنا وحراستنا ﴿وإنا لصادقون﴾ فيما أخبرناك به من أنه سرق وأخذوه بسرقته.

---

(١) الأستاذ/ سيد قطب، سورة يوسف، آية (١٩) ص ١٩٧٦.

(٢) الإمام الطبري، سورة يوسف، آية (٨٢) ص ٢٥ م ٤ ج ١٣.

(٣) الإمام ابن كثير، سورة يوسف، آية (٨٢) ص ٤٨٧.

كما قال الشيخ المراغي[1]:

﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾ أي: واسأل أهل القرية التي كنا نمتار فيها وهي مصر، فقد اشتهر فيهم أمر هذه السرقة حتى لو سئلوا لشهدوا. ﴿والعير التي أقبلنا فيها﴾ أي: واسأل أصحاب العير الذين كانوا يمتارون معنا. ثم أكدوا صدق مقالهم بقولهم.

﴿وإنا لصادقون﴾ فيما أخبرناك به، سواء أسألت غيرنا أم لم تسأل، إذ أن من عادتنا الصدق فلا نخبرك إلا به ولا نظنك في مرية من هذا.

وقال الشيخ محمد محمود حجازي[2]:

وإن كنت في شك من أمرنا فاسأل أهل القرية التي كنا فيها ساعة أن فتشنا العزيز وهي مصر فقد اشتهر فيهم أمر هذه السرقة، واسأل العير وأصحابه الذين كانوا يمتارون معنا، وإنا لصادقون في أقوالنا على أي حال.

وقال الأستاذ سيد قطب[3]:

قولهم فليسأل أهل القرية التي كانوا فيها ـ وهي عاصمة مصر ـ وليسأل القافلة التي كانوا فيها، فهم لم يكونوا وحدهم فالقوافل الكثيرة كانت ترد مصر لتمتار الغلة في السنين العجاف...

---

(١) الشيخ/ المراغي، سورة يوسف، آية (٨٢).
(٢) الشيخ/ محمد محمود حجازي، سورة يوسف، آية (٨٢) ص ١٦ م ٢.
(٣) الأستاذ/ سيد قطب، سورة يوسف، آية (٨٢) ص ٢٠٢٥ م ٤ ج ١٣.

ثانياً: اقتصاديات النقل لطرق قوافل التجارة بين الشعوب والجانب الاقتصادي والتخطيطي لها.

١ ـ المغزى الحق لاقتصاديات النقل لطرق قوافل التجارة بين الشعوب:

نوهت قصة يوسف إلى أن مصر ارتبطت بجيرانها من الشعوب بروابط وعلاقات تجارية وعلمية وثقافية على مر السنين بطرق وقوافل دورية معروفة في ذلك الزمان.

استخدمت هذه الطرق بانتظام في سني الشدة والرخاء، يشير إلى ذلك في زمن الرخاء قوله تعالى: ﴿وجاءت سيارة﴾، أما في زمن الشدة فيشهد له قوله تعالى: ﴿وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة﴾... وقوله تعالى: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي كنا فيها......﴾.

ومن المفهوم أنه في زمن الرخاء تقل اللصوص وقطاع الطرق ولكن في زمن القحط حيث الناس في ضنك وعسر فإن اللصوص وقطاع الطرق تكثر في هذه الآونة بالذات لأن الشيطان والفقر والحاجة المعيشية تلعب دوراً كبيراً في ضعاف النفوس وقطاع الطرق.

وهذه القوافل يلزمها:

أ ـ الأمن:

إن استتباب الأمن في طرق التجارة الدولية ضروري، قال تعالى:

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٖ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

الآيتان (٦٧، ٦٨).

هاتان الآيتان تشيران إلى أن أولاد يعقوب عليه السلام كانوا يأتون إلى مصر وفلسطين دون أن يعرض لهم في الطريق أي مكروه من اللصوص حيث لا إخلال بالأمن... ومن هذا المنطلق فإن يوسف عليه السلام الوزير والمسئول الأول عن أمن مصر الداخلي والخارجي وبالتالي عن القوافل التي تأتي للتجارة بين مصر والشعوب المجاورة لا بد أنه ارتبط مع هذه الشعوب بنظام أمني معين يحمي طرق التجارة الدولية من العابثين وغير ذلك من الأمور التي ترتبط بأمن هذه المنطقة وبالذات أيام القحط حيث يكثر اللصوص في هذا العصر. إضافة إلى أن الآية (٦٧) تشير إلى أن مصر كانت ذات أبواب، وهل تتخذ الأبواب إلا للحماية الأمنية كما سبق أن نوهنا إلى ذلك!!؟

وحول الاستقرار والأمن في الدولة المتعاونة... قال الإمام الطبري(١):

حدثنا ابن وكيع قال حدثنا عمرو عن أسباط عن السدي قال أصاب الناس الجوع حتى أصاب بلاد يعقوب التي هو بها فبعث بنيه إلى مصر وأمسك أخا يوسف بنيامين، فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون فلما نظر إليهم قال: أخبروني ما أمركم فإني أنكر شأنكم قالوا: نحن قوم من أرض الشام، قال: فما جاء بكم، قالوا: جئنا نمتار طعاماً، قال: كذبتم أنتم

(١) الإمام الطبري، سورة يوسف، آية (٥٨: ٦٥) ص ٥: ٩.

عيون كم أنتم، قالوا: عشرة، قال: عشرة آلاف كل رجل منكم أمير ألف فأخبروني خبركم، قالوا: إنا إخوة بنو رجل صديق وإنا كنا اثني عشر وكان أبونا يحب أخاً لنا وأنه ذهب معنا إلى البرية فهلك منا فيها وكان أحبنا إلى أبينا، قال فإلى من سكن أبوكم بعده، قالوا: إلى أخ لنا أصغر منه، قال: فكيف تخبروني أن أباكم صديق وهو يحب الصغير منكم دون الكبير ائتوني بأخيكم هذا حتى أنظر إليه فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا: سنراود أباه وإنا لفاعلون، قال فضعوا بعضكم رهينة حتى ترجعوا فوضعوا شمعون.

ب ـ الإستقرار بين الشعوب المتعاونة:

ونتيجة لاستتباب أمن الطرق، فإنه لا بد من استمرارية هذا التبادل لمصالح الشعوب المتعاقدة والمتعاونة مع مصر في زمن الرخاء وكذلك في زمن القحط ولم تنقطع العلاقة بينهما حسبما ورد في قصة يوسف عليه السلام من قوله تعالى:

﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ﴾ الآية (٨٢).

جـ ـ التتابع الزمني للقوافل التجارية:

إن تتابع القوافل وتقسيم أزمنتها حسب الأوقات التي تسير فيها خلال العام تتوقف على حجم ونوعية التجارة المتبادلة... فالقوافل تتابع حسب المواسم الزراعية وانتهاء جني المحاصيل، على مدار فصول السنة وحسب الحاجة إلى تبادل السلع الاستهلاكية بين الشعوب...

وجاء عند أهل الكتاب[1] بشأن القوافل التجارية المتتابعة بين مصر والشعوب المجاورة لها ما يلي:

﴿ ﴾.

---

(١) الأصحاح السابع والثلاثون، باب التكوين، رقم ٢٥، ص ٦٢

د ـ محـاط القـوافـل:

لا بد لاستمرارية القوافل الدولية من إنشاء محاط في القرى التي تربط بين مصر والشعوب المجاورة في مسار طرق القوافل التجارية، على أنه لهذه المحاط التزامات معينة كتموين القوافل من المشرب والمأكل، كما أنه لا بد من إنشاء مراكز الأمن لهذه القوافل وذلك ليستمر التعاون بين الشعوب من أجل البقاء والتعايش وتعمير الأرض... مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

الآية (١٠) سورة الأعراف.

وقد جاء في كتاب أحكام القرآن للإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصـاص[1] عن محاط قـوافل التجـارة بين مصر والشعـوب المجاورة في تفسيره للآية (١٩) من سورة يوسف ما يلي:

قوله تعالى:

﴿قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة﴾ قال قتادة والسدي: أرسل دلوه تعلق بها يوسف فقال المدلي يا بشراي هذا غلام قال قتادة بشر أصحابه بأنه وجد عبداً...

ويؤخذ من ذلك أن القوافل كـانت تعرف محـاط الماء ولهـذا أرسلوا واردهم فأدلى دلوه فكان ما كان من تعلق يوسف بالدلو.

---

(١) كتاب أحكام القرآن، للإمام أبي بكر أحمد بن على الرازي الجصاص، الجزء الثالث الآية (١٩) من سورة يوسف، دار الكتاب العربي، بيروت. ص ١٦٩.

٢ ـ الملامح الإسلامية للتجارة بين الشعوب:

في قصة يوسف عليه السلام تنويه بمفاهيم اقتصادية عن التبادل التجاري بين الشعوب وما يلزمها من ملامح خلقية عقائدية منها:

أ ـ الأمانة:

لاستمرارية العلاقة الإنسانية في التبادل التجاري الدولي لا بد من الأمانة سواء الأمانة في التعامل بين التجار والشعوب أو الأمانة في نوعية البضاعة وعدم السرقة والغش والغبن أو الأمانة في الكلمة والوعد والثقة... كل هذه الأمور تعد بمثابة الأساس المتين للتعامل التجاري بين الدول.

قال الله تعالى:

﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ ﴾.

الآية (٦٠).

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

الآية (٦٣).

﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ ﴾.

الآية (٧٣).

فطرق التجارة يلزمها الأمن والعاملون عليها يلزمهم الأمانة والوفاء، فإن لم يكن هناك أمن في المعاملة والتجارة، فالنتيجة ستكون سيئة.

على أن تمهيد طرق القوافل التجارية عامل هام في توطيد العلاقات التجارية وهو العامل الأساسي في أسلوب الاتصال بين الشعوب بعضها البعض في التبادل التجاري... فالتمهيد أمانة في عنق الدولة ورحم الله عمر بن الخطاب إذ جعل نفسه مسئولاً عما يصيب الدواب التي تعثر في الطرق ولو بعدت عن المدينة. بقوله رضي الله عنه: (لو أن دابة في العراق تعثر لسئل عمر عنها يوم القيامة لِمَ لَمْ يمهد لها الطريق).

فهرس المبحث السابع:

التخطيط العام لحماية الدولة

تفسير قوله تعالى: الآيات من (٦٧ حتى ٧٧).

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى
عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى
عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ
لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ
ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ
﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ
أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾
قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾
قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾
قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ

جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ
ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ
فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي
عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا
يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا
تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

الآيات من (٦٧ - ٧٧).

أولاً: أقوال المفسرين في هذه الآيات الكريمة.

ثانياً: التخطيط العام لحماية الدولة والجانب الاقتصادي والتخطيطي لها.

١ - التخطيط للحماية العامة للدولة:

٢ - السمات الإسلامية للحماية العامة:

الحماية - العلم - النفس - الحكم - الطاعة - الصبر- المقارنة (الموازنة).

٣ - التخطيط للحماية العامة للدولة:

أ - الحماية الأمنية في الداخل وعلى الحدود.
ب - الحماية الاقتصادية.
جـ- تحليل التخطيط الأمني لحماية الدولة.

٤ - المحظورات والمنهيات الإسلامية للحماية العامة للدولة:

السرقة - الشطان - الخطأ.

المبحث السابع:

التخطيط العام لحماية الدولة:

تفسير قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي
عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ
ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي
عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ
لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦٨ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ
ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ
٦٩ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ
أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ٧٠ قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ٧١
قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ٧٢
قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ٧٣
قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ٧٤ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ
جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٥ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ

ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ
فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى
عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُۚ فَأَسَرَّهَا
يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

الآيات من (٦٧ حتى ٧٧)

أقوال المفسرين في هذه الآيات الكريمة:

أولاً: تفسير قوله تعالى للآية (٦٧):

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾

ورد في تفسير الطبري للآية الكريمة[1]:

قال يعقوب لبنيه لما أرادوا الخروج من عنده إلى مصر ليمتاروا الطعام: يا بني لا تدخلوا مصر من طريق واحد وادخلوا من أبواب متفرقة، وذكر أنه قال ذلك لهم لأنهم كانوا رجالاً لهم جمال وهيبة فخاف عليهم العين فإذا دخلوا جماعة من طريق واحد وهم ولد رجل واحد فأمرهم أن يفترقوا في الدخول إليها.

وقوله: ﴿وما أغنى عنكم من الله من شيء﴾ أي: وما أقدر أن أدفع عنكم من قضاء الله الذي قد قضاه عليكم من شيء صغير ولا كبير لأن قضاء الله نافذ في خلقه ﴿إن الحكم إلا لله﴾ أي: ما القضاء والحكم إلا لله دون ما سواه من الأشياء فإنه يحكم في خلقه بما يشاء فينفذ فيهم حكمه ويقضي فيهم ولا يرد قضاؤه ﴿عليه توكلت﴾ أي: على الله توكلت فوثقت به فيكم وفي حفظكم علي حتى يردكم إلي وأنتم سالمون معافون لا على دخولكم مصر إذا

---

(١) الإمام الطبري، سورة يوسف، آية (٦٧: ٧٧) ص ٩: ٢٢ م ١٤.

دخلتموها من أبـواب متفرقـة ﴿وعليه فليتـوكل المتـوكلون﴾ أي: وإلى الله فليفوض أمورهم المفوضون... ولما دخل ولد يعقوب من حيث أمرهم أبوهم وذلك دخولهم مصر من أبواب متفرقة ما كان يغني دخولهم إياها كذلك عنهم من قضاء الله الذي قضاه فيهم من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها إلا أنهم قضوا وطرا ليعقوب بدخولهم لا من طريق واحد خوفاً من العين عليهم فاطمأنت نفسه أن يكونوا أوتوا من قبل ذلك أو نالهم من أجله مكروه.

وقال الإمام بن كثير[1] في تفسير الآية:

أمر بنيه ـ أي يعقوب ـ لما جهزهم مع أخيهم بنيامين إلى مصر أن لا يدخلوا من باب واحد وليدخلوا من أبواب متفرقة فإنـه كما قـال ابن عباس ومحمد بن كعب ومجاهد وقتادة والسدي وغير واحد أنه خشي عليهم العين وذلـك أنهم كانـوا ذوي جمال وهيبـة حسنة ومنـظر وبهاء فخشي عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم فإن العين حق تستنزل الفارس عن فرسه. وروى ابن أبي حـاتم عن ابراهيم النخعي في الآيـة في قولـه: ﴿وادخلوا من أبـواب متفرقة﴾ قال علم أنه سيلقى إخوته في بعض تلك الأبواب وقوله: ﴿وما أغنى عنكم من الله من شيء﴾أي: إن هذا الاحتراز لا يرد قدر الله وقضاءه فإن الله إذا أراد شيئـاً لا يخالـف ولا يمـانع ﴿إن الحكم إلا لله عليـه توكلت وعليـه فليتوكل المتوكلون﴾. ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها.

وقال الإمام القرطبي[2] في تفسير تلك الآية الكريمة:

فيه خمسة مسائل:

الأول: لما عزموا على الخروج خشي عليهم العين، فأمرهم ألا يدخلوا

---

(١) الإمام ابن كثير، سورة يوسف، آية (٦٧ ص ٤٨٤) وانظر الإمام الشوكاني فتح القدير ص ٤٠: ٧٤٦ الإمام القاسمي في تفسيره ص ٢٥٠: ٢٦٠ والشيخ محمد محمود حجازي في تفسير سورة يوسف وأحكام القرآن لابن العربي المجلد الثالث ص ١٠٩٢: ١٠٩٩.

(٢) الإمام القرطبي ـ الآية ٦٧ ـ سورة يوسف ـ ص ٣٤٥٥ م ٤.

مصر من باب واحد، وكانت مصر لها أربعة أبواب، وإنما خاف عليهم العين لكونهم أحد عشر رجلاً لرجلٍ واحد، وكانوا أهل جمال وكمال وبسطة، قاله ابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم.

الثانية: وإذا كان هذا معنى الآية فيكون فيها دليل على التحرز من العين، والعين حق، وقد قال رسول الله ﷺ: «لتدخل الرجل القبر والجمل القدر».

وفي تعوذه عليه السلام: «أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة» ما يدل على ذلك.

الثالثة: واجب على كل مسلم أعجبه شيء أن يبرك، فإنه إذا دعا بالبركة صرف المحذور لا محالة، ألا ترى قوله عليه السلام لعامر: «ألا تركت» فدل على أن العين لا تضر ولا تعدو إذا برك العائن، وأنها إنما تعدو إذا لم يبرك. والتبريك أن يقول: تبارك الله أحسن الخالقين، اللهم بارك فيه.

الرابعة: العائن إذا أصاب بعينه ولم يبرك فإنه يؤمر بالإغتسال، ويجبر على ذلك إن أباه، لأن الأمر على الوجوب، لا سيما هذا، فإنه قد يخاف على الهلاك، ولا ينبغي لأحد أن يمنع أخاه ما ينتفع به أخوه ولا يضره هو، ولا سيما إذا كان بسببه وكان الجاني عليه.

الخامسة: من عرف بالإصابة بالعين منع من مداخلة الناس دفعاً لضرره، وقد قال بعض العلماء: يأمره الإمام بلزوم بيته، وإن كان فقيراً رزقه ما يقوم به، ويكف أذاه عن الناس.

وقال أيضاً ابن الجوزي[1] في تفسيره:

قوله تعالى: ﴿لا تدخلوا من باب واحد﴾ قال المفسرون: لما تجهزوا للرحيل، قال لهم يعقوب: ﴿لا تدخلوا﴾ يعني مصر ﴿من باب واحد﴾. وفي المراد بهذا الباب قولان:

---

(١) الإمام ابن الجوزي، سورة يوسف، آية (٦٧) ص٢٥٣: ٢٦٢ م ٤.

أحدهما: أنه أراد باباً من أبواب مصر، وكان لمصر أربعة أبواب، قاله الجمهور.

والثاني: أنه أراد الطرق لا الأبواب، قاله السدي، وروى نحوه أبو صالح عن ابن عباس.

وفي المراد بذلك **ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنه خاف عليهم العين، وكانوا أولى جمال وقوة، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد وقتادة.

والثاني: أنه خاف أن يغتالوا لما ظهر لهم في أرض مصر من التهمة، قاله وهب بن منبه.

والثالث: أنه أحب أن يلقوا يوسف في خلوة، قاله إبراهيم النخعي

ثانياً: تفسير قوله تعالى للآية (٦٨)[1]:

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

ورد في تفسير الطبري للآية الكريمة أن يوسف عليه السلام: جهزهم بجهازهم وأكرمهم وأعطاهم وأوفاهم وحمل لهم بعيراً بعيراً وحمل لأخيه بعيراً باسمه كما حمل لهم ثم أمر بسقاية الملك وهو الصواع وزعموا أنها كانت من فضة فجعل في رحل أخيه بنيامين ثم أمهلهم حتى إذا انطلقوا أمر بهم فأدركوا فاحتبسوا ثم نادى منادٍ.

وقال ابن الجوزي[2] في تفسيره للآية الكريمة قوله تعالى: ﴿وإنه لذو

---

(١) الإمام الطبري ـ سورة يوسف ـ الآية ٦٨ ـ ص ١١ م ١٤.

(٢) الإمام ابن الجوزي ـ سورة يوسف ـ الآية ٦٨ ص ٢٥٤ م ٤.

علم لما علمناه﴾ فيه بعض الأقوال. . . أنه حافظ لما علمناه وأنه لذو علم بذلك أن دخولهم من أبواب متفرقة لا يغني عنهم من الله شيئاً وأنه لعامل بما علم وسمى العمل علماً لأن العلم أول أسباب العمل وإنه لمتيقن لوعدنا وأنه يحافظ لوصيتنا وأنه لعالم بما علمناه أنه لا يصيب بنيه إلا ما قضاه الله وأنه لذو علم لتعليمنا إياه.

وكذلك أورد الإمام الطبري[1] من ذلك أن يعقوب عليه السلام: خاطر خطر بقلبه وهو وصيته أن يتفرقوا قال مجاهد: خشية العين وقيل: لئلا يرى الملك عددهم وقوتهم فيبطش بهم حساً أو حذراً قاله بعض المتأخرين واختاره النحاس وقال: ولا معنى للعين ها هنا وذلك لأن الآية دلت على أن المسلم يجب عليه أن يحذر أخاه مما يخاف عليه ويرشده إلى ما فيه طريق السلامة والنجاة، فإن الدين النصيحة والمسلم أخو المسلم.

وقال الأستاذ سيد قطب في تفسير الآية الكريمة أن يعقوب عليه السلام: يرى في دخولهم من أبواب متفرقة اتقاء لهذا الشيء مع تسليمه بأنه لا يغني عنهم من الله من شيء. فالحكم كله إليه والإعتماد كله عليه. إنما هو خاطر شعر به، وحاجة في نفسه قضاها بالوصية. وهو على علم بأن إرادة الله نافذة فقد علمه الله هذا فتعلم.

ثم ليكن هذا الشيء الذي كان يخشاه هو العين الفاسدة أو هي غيره الملك من كثرتهم وفتوتهم أو هو تتبع قطاع الطريق لهم.

تحليـــل:

من المعروف أنه في زمن القحط تضيق النفوس ويكثر اللصوص وقطاع الطرق مما يستدعي حماية حدود ومداخل البلاد للحفاظ على الثروة القومية. . . وقد ألهم الله تعالى يعقوب عليه السلام في رسم خطته بعدم دخول أبنائه من باب واحد نظراً لما تتعرض له البلاد من ظروف صعبة.

---

(١) الإمام الطبري ـ سورة يوسف ـ الآية ٧٠ ـ ص ١٧ م ١٤.

ثالثاً ـ تفسير قوله تعالى للآية (٧٠) [1]:

﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ۝٧٠ ﴾.

ورد في تفسير الإمام الطبري للآية الكريمة والتي ذكرت عن السرقة خاصة في قوله تعالى:

﴿أيتها العير إنكم لسارقون﴾ قفوا وانتهى إليهم رسوله فقال لهم فيما يذكرون ألم نكرم ضيافتكم ونوفيكم كليلكم ونحسن منزلتكم ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم وأدخلناكم علينا في بيوتنا ومنازلنا؟ أو كما قال لهم قالوا بلى وما ذاك؟.. قال سقاية الملك فقدناها ولا نتهم عليها غيركم...

وقال الإمام ابن الجوزي عن عملية السرقة وحللها وقال:

كيف جاز ليوسف أن يسرق من لم يسرق؟ فعنه أربعة أجوبة:

أحدهما: إن المعنى ـ إنكم لسارقون يوسف حين قطعتموه عن أبيه وطرحتمون في الجب، قاله الزجاج.

والثاني: إن المنادي نادى وهو لا يعلم أن يوسف أمر السقاية في رحل أخيه فكان غير كاذب في قوله، قاله ابن جرير.

والثالث: إن المنادي نادى بالتسريق لهم بغير أمر يوسف.

والرابع: إن المعنى ـ إنكم لسارقون فيما يظهر لمن لم يعلم حقيقة أخباركم.

وقد فسر الأستاذ سيد قطب عملية السرقة وقال:

هو مشهد مثير، حافل بالحركات والإنفعالات والمفاجآت، كأشد ما

(٢) الإمام ابن الجوزي ـ سورة يوسف ـ الآية ٧٠ ص ٢٥٦ م ٤.

تكون المشاهد حيوية وحركة وانفعالاً، غير أن هذا صورة من الواقع يعرضها التعبير القرآني هذا العرض الحي الأخاذ.

فمن وراء الستار يدس يوسف كأس الملك - وهي عادة من الذهب وقيل: إنها كانت تستخدم للشراب ويستخدم قعرها الداخل المجوف من الناحية الأخرى من كيل القمح لندرته وعزته في تلك المجاعة يدسها في الرحل المخصص لأخيه تنفيذاً لتدبير ألهمه الله له وسنعلمه بعد قليل.

ثم ينادي منادٍ بصوت مرتفع. في صيغة إعلان عام، وهم منصرفون أيتها العير إنكم لسارقون.

ويرتاع أخوة يوسف لهذا النداء الذي يتهمهم بالسرقة - وهم أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - فيعودون أدراجهم يتبينون الأمر المريب:

رابعاً: تفسير قوله تعالى للآية (٧١)[1]:

﴿قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ۝٧١﴾.

وقد ورد في تفسير الطبري للآية الكريمة للإستفهام عن السرقة ﴿ماذا تفقدون﴾ ما الذي ضل عنكم؟ حيث فسرها الأستاذ سيد قطب[2] عندما قال الغلمان الذين يتولون تجهيز الرحال، أو الحراس ومنهم هذا الذي أذاع بالإعلان:

وقد فسرها الإمام القرطبي وقال:

أن ذلك كان حيلة لاجتماع شمله بأخيه، وفصله عنهم إليه، وهذا بناء على أن بنيامين لم يعلم بدس الصاع في رحله، ولا أخبره بنفسه وقد قيل أنّ معنى الكلام الاستفهام... أي أو أنكم لسارقون لي؟ والغرض ألا يعزى إلى يوسف الكذب.

---

(١) الإمام الطبري - سورة يوسف - الآية ٧١ - ص ٢٥٩ م ٤.
(٢) الأستاذ سيد قطب - سورة يوسف - الآية ٧١ ص ٢٠٢٠ ج ١٣.

تحليــل:

استطاع يوسف عليه السلام وضع خطة لاستقدام أسرته في المستقبل ومراقبة الحدود والموانىء ومداخل المدن ومخارجها للمحافظة على المحاصيل الزراعية وغيرها.

خامساً ـ تفسير قوله تعالى للآية (٧٢)(١):

﴿ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ ﴾.

ورد في تفسير بن كثير للآية الكريمة أن اخوة يوسف التفتوا إلى المنادي وقالوا: ﴿ماذا تفقدون. قالوا نفقد صوات الملك﴾ أي صاعه الذي يكيل به ﴿ولمن جاء به حمل بعير﴾ وهذا من باب الجعالة و ﴿أنا به زعيم﴾ وهذا من باب الضمان والكفالة لما اتهمهم أولئك الفتيان بالسرقة قال لهم إخوة يوسف، وعن الصواع الذي فقد قال الإمام بن كثير في الصواع وتحديد صفته قولان:

أحدهما: إنه كان مستطيلاً يشبه المكوك.

والثاني: إنه كان يشبه الطاس.

قوله تعالى: ﴿ولمن جاء به﴾ يعني الصواع ﴿حمل بعير﴾ من الطعام ﴿وأنا به زعيم﴾ أي: كفيل لمن رده بالحكل، ويقوله المؤذن.

وعن المكافأة لمن يحدد السرقة وجائزتها ذكر الأستاذ سيد قطب في ذلك، أعلن المؤذن أن هناك مكافأة لمن يحضره متطوعاً. وهي مكافأة ثمينة في هذه الظروف.

ولمن جاء به حمل بعير من القمح العزيز وأنا به زعيم... أي كفيل:

.ولكن القوم مستيقنون من براءتهم، فهم لم يسرقوا، وما جاءوا ليسرقوا

---

(١) الإمام ابن كثير ـ سورة يوسف ـ الآية ٧٢ ص ٤٨٤.

(٢) الإمام ابن الجوزي ـ سورة يوسف ـ الآية ٧٢ ـ ص ٢٥٩ م ٤.

(٣) الأستاذ سيد قطب ـ سورة يوسف ـ الآية ٧٢ ـ ص ٢٠٢٠ ج ١٣.

وليجترحوا هذا الفساد الذي يخلخل الثقة والعلاقات في المجتمات فهم يقسمون واثقين:

سادساً: تفسير قوله تعالى للآية (٧٣):

﴿ قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

ورد في تفسير الإمام الطبري[1] للآية الكريمة:

. . . قال بنو يعقوب لما نودوا أيتها العير إنكم لسارقون وأقبلوا على المنادي ومن بحضرتهم يقولون لهم ﴿ماذا تفقدون﴾ ما الذي تفقدون قالوا: ﴿نفقد صواع الملك) أي: فقال لهم القوم نفقد مشربة الملك. . والصواع هو الإناء الذي كان يوسف يكيل به الطعام.

وقوله: ﴿لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض﴾ أي: لقد علمتم ما جئنا لنعصي الله في أرضكم كذلك كان يقول جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك.

قال أصحاب يوسف لإخوته فما ثواب السرق إن كنتم كاذبين في قولكم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين.

وقال الإمام ابن الجوزي[2] تفسير. . . قوله تعالى: ﴿لقد علمتم﴾ يعنون يوسف ﴿ما جئنا لنفسد في الأرض﴾ أي: لنظلم أحداً أو نسرق.

قوله تعالى: ﴿فما جزاؤه﴾ المعنى: قال المنادي وأصحابه: فما جزاؤه. قال الأخفش: إن شئت رددت الكناية إلى السارق، وإن شئت رددتها إلى السرق.

---

(١) الإمام الطبري ـ سورة يوسف ـ الآية ٧٣ ـ ص ١٩ م ١٤.

(٢) الإمام ابن الجوزي ـ سورة يوسف ـ الآية ٧٣ ـ ص ٢٥٩ م ٤.

وقد قال الإمام القرطبي[1] تفسير الآية عن الفساد في الأرض والسرقة قال: يروى أنهم كانوا لا ينزلون على أحد ظلماً، ولا يرعون زرع أحد، وإنهم جمعوا على أفواه ابلهم الأكمة لئلا تعبث في زروع الناس. ثم قال: ﴿وما كنا سارقين﴾ يروى انهم ردوا البضاعة التي كانت في رحلهم، أي فمن رد ما وجد فكيف يكون سارقاً؟

وعن السرقة وصف إخوة يوسف في هـذه المناسبـة قال الأستـاذ سيد قطب[2] في ذلك، فقد علمتم من حالنا ومظهرنا ونسينا اننا لا نجترح هذا... وما كنا سارقين... أصلاً فلا يقع منا مثل هذا الفعل الشنيع قال الغلمان أو الحراس:

تحليـــل:

يتضح لنا من تفسير هذه الآية أن الجهاز الإداري الـذي كان يـوجهه يوسف عليه السلام كان على وعي تخطيطي... لأن المراقبة الإدارية هدفها الحماية الأمنية.

سابعاً: تفسير قوله تعالى للآية (٧٤):

﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ٧٤ ﴾.

ورد في تفسير الطبري[3] في هذه الآية الكريمة عن قوله تعالى: ﴿إن كنتم كاذبين﴾ أي: في قولكم.

وكذلك قال القرطبي[4] في ذلك المعنى: فما جـزاء الفاعـل إن ظهر كذبكم؟

---

(١) الإمام القرطبي ـ سورة يوسف ـ الآية ٧٣ ـ ص ٣٤٦٢ م ٤.
(٢) الأستاذ سيد قطب ـ سورة يوسف ـ الآية ٧٣ ـ ص ٢٠٢٠ ج ١٣.
(٣) الإمام ابن الجوزي ـ سورة يوسف الآية ٧٤ ص ٢٥٩ م ٤.
(٤) الإمام القرطبي ـ سورة يوسف ـ الآية ٧٤ ص ٣٤٦٢ م ٤.

وقد بين الأستاذ سيد قطب جزاء السرقة حيث قال من هنا ينكشف طرف التدبير الذي ألهمه الله يوسف. فقد كان المتبع في دين يعقوب: أن يؤخذ السارق رهينة أو أسيراً أو رقيقاً في مقابل ما يسرق. ولما كان إخوة يوسف موقنين بالبراءة. فقد ارتضوا تحكيم شريعتهم فيمن يظهر أنه السارق. ذلك ليتم تدبير الله ليوسف وأخيه:

ثامناً: تفسير قوله تعالى للآية (٧٥):

﴿ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

ورد في تفسير الإمام الطبري[1] للآية الكريمة في ذلك.

وقال إخوة يوسف ثواب السرق من وجد في متاعه السرق فهو جزاؤه فالذي وجد ذلك في رحله ثلوا به بأن يسلم سن سرق منه حتى يسترقه ﴿كذلك نجزي الظالمين﴾ أي: كذلك نفعل بمن ظلم ففعل ما ليس له فعله من أخذه مال غيره سرقاً.

حدثنا ابن وكيع قال حدثنا عمرو عن أسباط عن السدي: قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه. تأخذونه فهو لكم ومعنى الكلام قالوا ثواب السرق الموجود في رحله كأنه قيل ثوابه استرقاق الموجود في رحله ثم حذف استرقاق إذ كان معروفاً معناه ثم ابتدىء الكلام فقيل هو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين. فيكون معنى الكلام حينئذ قالوا جزاء السرق من وجد السرق في رحله فهو ثوابه يسترق ويستعبد.

ففتش يوسف أوعيتهم ورحالهم طالباً بذلك صواع الملك فبدأ في تفتيشه بأوعية اخوته من أبيه فجعل يفتشها وعاء وعاء قبل وعاء أخيه من أبيه وأمه فإنه أخر تفتيشه ثم فتش أخرها وعاء فاستخرج الصواع من وعاء أخيه.

---

(1) الإمام الطبري ـ سورة يوسف ـ آية ٧٥ ص ٢٠ م ١٤.

كذلك بين لنا الإمام بن كثير[1] جزاء من يسرق قال، كانت شريعة إبراهيم عليه السلام أن السارق يدفع إلى المسروق منه وهذا هو الذي أراد يوسف عليه السلام ولهذا بدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه أي فتشها قبله تورية.

وأيضاً قال في هذا المعنى الإمام القرطبي عن عقاب السارق وقال: يستعبد والتقدير ـ جزاؤه استعباد من وجد في رحله، فهو كناية عن الاستعباد وفي الجملة معنى التوكيد. كما نقول: جزاء من سرق القطع فهذا جزاؤه ﴿كذلك نجزي الظالمين﴾ أي: كذلك نفعل في الظالمين إذا سرقوا أن يسترقوا وكان هذا من دين يعقوب عليه السلام وحكمه. وقولهم هذا قول من لم يسترب بنفسه لأنهم التزموا استرقاق من وجد في رحله. وكان حكم السارق عند أهل مصر أن يغرم ضعفي ما أخذ. قاله الحسن والسدي وغيرهما.

وعندما ترى تحليل الأستاذ سيد قطب عن جهاز الأمن الذي أمرهم يوسف عليه السلام بالتفتيش قال: كان على منظر ومسمع من يوسف. فأمر بالتفتيش وأرشدته حصافته إلى أن يبدأ برحالهم قبل رحل أخيه كي لا يثير شبهة في نتيجة التفتيش.

تحليـــل:

يتضح لنا مما سبق أن يوسف عليه السلام استمر في تنفيذ خطته لحماية اقتصاد البلاد ومحاسبة من يضر الأمن وذلك من خلال إخوته كما نجح جهاز الأمن الذي يعمل معه في مراقبة المواطنين.

تاسعاً: تفسير قوله تعالى للآية (٧٦)[2]:

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ

(١) الإمام ابن كثير ـ سورة يوسف ـ الآية ٧٥ صفحة ٤٨٥.
(٢) الامام القرطبي ـ سورة يوسف ـ الآية ٧٦ ص ٣٤٦٧ م ٣.

نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴿٧٦﴾ ﴾.

ورد في تفسير القرطبي في تفسير الآية الكلايمة قوله تعـالى: ﴿**فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه**﴾ إنما بدأ يوسف برحالهم لنفي التهمة والـريبة من قلوبهم إن بدأ بوعاء أخيه ﴿**ثم استخرجها من وعاء أخيه**﴾ يعني بنيامين أي استخرج السقاية أو الصاع عند من يؤنث، وقال: ﴿**ولمن جاء به**﴾ فذكر، فلما رأى ذلك إخوته نكسوا رؤوسهم وظنوا الظنون كلها، وأقبلوا عليه وقالوا: ويلك يا بنيامين ما رأينا كاليوم قط ولدت وأمك «راجيل» أخوين لصين: قال لهم أخوهم: والله ما سرقته، ولا علم لي بمن وضعه في متاعي... ويروى أنهم قالوا له: يا بنيامين... أسرقت؟ قال: لا والله، قالوا: فمن جعل الصواع في رحله؟ قال: الذي جعل البضاعة في رحلكم.

قال الإمام ابن الجوزي[1] في تفسير قوله تعالى: ﴿**ما كان ليأخذ أخاه في دين الولك**﴾ في المراد بالدين ها هنا قولان:

أحدهما: إنه السلطان، فالمعنى في سلطان الملك، رواه العوفي عن ابن عباس.

والثاني: إنه القضاء فالمعنى في قضاء الملك لأن في قضاء الملك إن من سرق إنما يضرب ويغرم قاله أبو صالح عن ابن عباس. وبيانه إنه لما أجرى أخـاه على حكم الملك ما أمكنـه حبسه لأن حكم الملك الغـرم والضـرب فحسب فأجرى الله على ألسنة اخوته أن جزاء السارق الاسترقاق، فكان ذلك مما كان الله ليوسف لطفاً حتى أظفره بمراده بمشيئة الله فذلك معنى قوله: ﴿**إلا أن يشاء الله**﴾ وقيل: إلا أن يشاء الله إظهار علة يستحق بها أخاه.

قوله تعـالى: ﴿**نرفـع درجات من نشـاء**﴾ والمعنى: نرفـع الدرجـات بصنوف العطاء وأنواع الكرامات وأبواب العلوم وقهر الهوى والتوفيق للهدى كما رفعنا يوسف.

---

(١) الإمام الطبري ـ سورة يوسف ـ الآية ٧٦ ص ٢١ م ١٤.
الإمام ابن الجوزي ـ سورة يوسف ـ الآية ٧٦ ص ٢٦١ م ٤.

وقد فسر الإمام الطبري قول الله تعالى[1]:

وفوق كل ذي علم عليم ـ أي: وفوق كل علم من هو أعلم منه حتى ينتهي ذلك إلى الله تعالى وإنما عني بذلك أن يوسف أعلنم اخوته وان فوق يوسف حتى ينتهي ذلك الله تعالى...

حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيْدٌ عن قتادة قوله: ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ حتى ينتهي العلم إلى الله منه بدىء وتعلمت العلماء وإليه يعود وفي قراءة عبد الله ﴿وفوق كل عالم عليم﴾ قال أبو جعفر ان قال لنا قائل وكيف جاز ليوسف أن يجعل السقاية في رحل أخيه ثم يسرق قوماً أبرياء من السرق ويقول أيتها العير إنكم لسارقون؟ قيل: إن قوله أيتها العير إنكم لسارقون إنما هو خبر من الله عن مؤذن أذن به لا خبر عن يوسف وجائز أن يكون المؤذن أذن بذلك إن فقد الصواع ولا يعلم بصنيع يوسف. وجائز أن يكون أذن المؤذن بذلك عن أمر يوسف واستجاز الأمر بالنداء بذلك لعلمه بهم إنهم قد كانوا سرقوا سرقة في بعض الأحوال فأمر المؤذن أن يناديهم بوصفهم بالسرق ويوسف يعني ذلك السرق لا سرقهم الصواع وقد قال بعض أهل التأويل أن ذلك كان خطأ من فعل يوسف فعاقبة الله بإجابة القوم إياه.

عندما نتطلع إلى ما كتبه الأستاذ سيد قطب في هذا المشهد المثير حيث قال[2]:

ويدعنا السياق نتصور الدهشة بالمفاجأة العنيفة لأبناء يعقوب الموقنين ببراءتهم الحالفين، المتحدين... فلا يذكر شيئاً عن هذا بل يتركه يتملاه الخيال عن الصورة التي تكمل رسم المشهد بانفعالاته... بينما يأخذ في التعقيب ببعض مرامي القصة. ريثما يفيق النظارة وأبناء يعقوب مما هم فيه:

---

(١) سيد قطب ـ سورة يوسف ـ الآية.

عاشراً: تفسير قوله تعالى للآية ٧٧[1]:

﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧ ﴾.

ورد في تفسير الإمام الطبري للآية الكريمة قول الله تعالى:

﴿إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾ أرادوا بذلك عيب نبي الله يوسف وسرقته التي عابوه بها: صنم كان لجده أبي أمه فأخذه وإنما أراد الله بذلك الخير فعابوه...

حدثني محمد بن سعد قال حدثني أبي قال حدثني عمي قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله: **﴿فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم﴾** أي: أسر في نفسه قوله: **﴿أنتم سر مكاناً والله أعلم بما تصفون﴾** وقوله: **﴿والله أعلم بما تصفون﴾** أي: والله أعلم بما تكذبون فيما تصفون به أخاه بنيامين.

جاء في تفسير الإمام القرطبي[2] للآية الكريمة في هذا المعنى:

المعنى: أي اقتدى بأخيه ولو اقتدى بنا ما سرق وإنما قالوا ذلك ليبرؤا من فعله لأنه ليس من أمهم وأنه ان سرق فقد حذ به عرف أخيه السارق لأن الاشتراك في الأنساب يشاكل في الأخلاق.

وكذلك ذكر الإمام ابن كثير[3] في تفسير ذلك:

---

(١) الإمام الطبري ـ سورة يوسف ـ الآية ٧٧ ص ٢٢ م ١٤.

(٢) الإمام القرطبي ـ سورة يوسف ـ الآية ٧٧ ص ٣٤٦٩ م ٤.

(٣) الإمام ابن كثير، سورة يوسف، آية (٦٧: ٧٧) ص ٤٨٤: ٤٨٥، وانظر الإمام الشوكاني فتح القدير ص ٤٠: ٧٤٦ الإمام القاسمي في تفسيره ص ٢٥٠: ٢٦٠، والشيخ محمد محمود حجازي في تفسير سورة يوسف، وأحكام القرآن لإبن العربي المجلد الثالث ص ١٠٩٢: ١٠٩٩.

وقال أخوته لما رأوا الصواع قد خرج من متاع بنيامين ﴿إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾ يتنصلون إلى العزيز بالتشبيه به ويذكرون أن هذا فعل كما فعل أخ له من قبل يعنون به يوسف عليه السلام قال سعيد بن جبير عن قتادة: كان يوسف عليه السلام قد سرق صنماً لجده أبي أمه فكسره[1].

وقد فسر الأستاذ سيد قطب[2] في ذلك:

لقد قذفوا بها يوسف وأخاه.

﴿فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم﴾.

أسر هذه الفعلة وحفظها في نفسه ولم يبدِ تأثره منها وهو يعلم براءة أخيه. إنما قال لهم: ﴿أنتم شر مكاناً﴾.

يعني إنكم بهذا القذف شر مكاناً عند الله من المقذوف ـ وهي حقيقة لا شتمة ﴿والله أعلم بما تصفون﴾ وبحقيقة ما تقولون وأراد بذلك قطع الجدل في الاتهام الذي أطلقوه ولا دخل له بالموضوع.

تحليـــل:

يؤكد لنا تفسير الآيات السابقة أن يوسف عليه السلام نجح في تطبيق الخطة الأمنية لحماية الاقتصاد واستبقاء أخيه دون علم اخوته.

الحادي عشر: تفسير قوله تعالى للآية (٨١):

﴿ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ ﴾.

تحليـــل:

استطاع يوسف عليه السلام أن يضع خطة للبلاد لحماية مستودعات القمح من السرقة.

---

(١) سيد قطب ـ سورة يوسف.

واستكمالاً للقضية المعروضة قضية الاتهام بالسرقة يجمل بنا ـ باعتبار أن السرقة بصفة عامة مناف للأمن والحماية وأن القبض على السارق واستعادة المسروق استعادة للأمن والاستتباب ـ أن نعرض لبعض آراء المفسرين.

جاء في تفسير الإمام الطبري[1]:

حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحق ارجعوا إلى أبيكم فإني ما كنت راجعاً حتى يأتيني أمره فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا أي قد وجدت السرقة في رحله ونحن ننظر لا علم لنا بالغيب وما كنا للغيب حافظين. وقال آخرون بل معنى ذلك وما شهدنا عند يوسف بأن السارق يؤخذ بسرقته إلا بما علمنا...

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال لهم يعقوب عليه السلام ما يدري هذا الرجل أن السارق يؤخذ بسرقته إلا بقولكم فقالوا: ما شهدنا إلا بما علمنا لم نشهد أن السارق يؤخذ بسرقته إلا وذلك الذي علمنا قال وكان الحكم عند الأنبياء يعقوب وبنيه أن يؤخذ السارق بسرقته عبداً فيسترق.

وجاء في تفسير الإمام ابن الجوزي[2]:

قوله تعالى: ﴿وما شهدنا إلا بما علمنا﴾ فيه قولان:

أحدهما: وما شهدنا عليه بالسرقة إلا بما علمنا، لأنا رأينا المسروق في رحله، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: وما شهدنا عند يوسف بأن السارق يؤخذ بسرقته إلا بما علمنا من دينك، قاله ابن زيد.

وفي قوله: ﴿وما كنا للغيب حافظين﴾ ثمانية أقوال:

---

(١) الإمام الطبري، سورة يوسف، آية (٨١) ص ٢٤ م ١٤.

(٢) الإمام ابن الجوزي، سورة يوسف، آية (٨١) ص ٢٦٧ م ٤.

أحدها: أن الغيب هو الليل، والمعنى: لم نعلم ما صنع بالليل، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وهذا يدل على أن التهمة وقعت به ليلاً.

والثاني: ما كنا نعلم أن ابنك يسرق، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال عكرمة، وقتادة، ومكحول. قال ابن قتيبة: فالمعنى: لم نعلم الغيب حين أعطيناك الموثق لنأتيك به أنه يسرق فيؤخذ.

والثالث: لم نستطع أن نحفظه فلا يسرق، رواه عبد الوهاب عن مجاهد.

والرابع: لم نعلم أنه سرق للملك شيئاً، ولذلك حكمنا باسترقاق السارق، قاله ابن زيد.

والخامس: إن المعنى: قد رأينا السرقة قد أخذت من رحله، ولا علم لنا بالغيب فلعلهم سرقوه، قاله ابن إسحاق.

والسادس: ما كنا لغيب ابنك حافظين. إنما نقدر على حفظه في محضره، فإذا غاب عنا، خفيت عنا أموره.

والسابع: لو علمنا من الغيب أن هذه البلية تقع بإبنك ما سافرنا به، ذكرهما ابن الأنباري.

والثامن: لم نعلم أنك تصاب به كما أصبت بيوسف، ولو علمنا لم نذهب به، قاله ابن كيسان.

وجاء في تفسير الإمام القرطبي(1):

قوله تعالى: ﴿فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق﴾.

وقال الزجاج: «سرق» يحتمل معنيين:

أحدهما: علم منه السرق، والآخر: اتهم بالسرق.

---

(1) الإمام القرطبي، سورة يوسف، آية (٨١) ص ٣٤٧٣ م ٤.

قوله تعالى: ﴿وما شهدنا إلا بما علمنا﴾ يريدون ما شهدنا قط إلا بما علمنا، وأما الآن فقد شهدنا بالظاهر وما نعلم الغيب، كأنهم وقعت لهم تهمة من قول بنيامين: دس هذا في رحلي من دس بضاعتكم في رحالكم، قال معناه ابن إسحٰق. وقيل المعنى: ما شهدنا عند يوسف بأن السارق يسترق إلا بما علمنا من دينك، قاله ابن زيد. ﴿وما كنا للغيب حافظين﴾ أي لم نعلم وقت أخذنا منك أنه يسرق فلا نأخذه.

وقيل معناه: قد أخذت السرقة من رحله، ونحن أخرجناها وننظر إليها، ولا علم لنا بالغيب، فلعلهم سرقوه ولم يسرق.

كما قال الشيخ أحمد مصطفى المراغي[1]:

﴿إرجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق﴾ صواع الملك فاسترقه وزيره العزيز القائم بالأمر في مصر عملاً بشريعتنا، إذ نحن أنبأناه بها بعد أن استنبأنا إياها.

﴿وما شهدنا إلا بما علمنا﴾ أي: وما شهدنا عليه بالسرقة بسماع أو إشاعة أو تهمة بل ما شهدنا إلا بما علمنا، إذ رأينا الصواع قد استخرج من متاعه.

﴿وما كنا للغيب حافظين﴾ فنعلم أنه سيسرق حين أعطيناك المواثيق ولو كنا نعلم ذلك لما آتيناك العهد الموثق علينا.

(٢) الشيخ/ أحمد مصطفى المراغي، سورة يوسف، آية (٨١) ص ٢٦ م ٥.

ثانياً ـ التخطيط العام لحماية الدولة والجانب الاقتصادي والتخطيطي لها

١ ـ التخطيط للحماية العامة للدولة

بين الله تعالى في قصة يوسف عليه السلام مفهوماً اقتصادياً يتعلق بحماية الدولة لمرافقها وحدودها من العابثين واللصوص... وعندما نحلل الوضع الأمني في ذلك الوقت نجد أن مصر أصابها القحط وكذلك المناطق المجاورة لها وأن يوسف عليه السلام في الخطة السبعية الأولى بنى مستودعات القمح والغلال كما ألهمه الله في رؤيا الملك... وإنه لأمر طبيعي يستلزم عمل تخطيط من يوسف عليه السلام للحماية العامة للدولة.

فآية:

﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾.

الآية (٦٧).

فسرها كثير من أفاضل العلماء ولكن الذي يهمنا في تفسيرها هو الجانب الاقتصادي منها للحماية العامة للدولة.

أ ـ أن يعقوب عليه السلام أمرهم بأن لا يدخلوا من باب واحد مجتمعين كما ذكر تفسيره أفاضل العلماء لأنهم كانوا ذوي بهاء وجمال وهيئة حسنة فخشي عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم ويحسدهم الحاسدون أو يكيد

لهم الكائدون أو أن يتعرض لهم قطاع الطرق، أو يظن بهم السوء فخشي يعقوب أن يصيب أولاده جميعاً مكروه ففضل تقسيمهم مجموعات ليدخلوا من أبواب متفرقة، وذلك لحمايتهم من أي مكروه، ولهذا قال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة.

ب ـ في هذا الوقت أصيبت مصر والمنطقة كلها بقحط شديد فكان يوسف المنقذ والمخطط لحمايتها كما علمه الله.

جـ ـ بين يوسف عليه السلام من خلال الخطة السبعية الأولى وبنائه مستودعات القمح والغلال لتكون الوسيلة في تجنب ويلات السنوات السبع القحط.

د ـ في حياتنا الاقتصادية مثل من هذه الحماية، فالدول جميعها والمصارف المالية والتجارية، والشركات الصناعية، وغير ذلك من أنواع الأنشطة التي تساهم في تقدم الاقتصاد للدولة، تخطط لذلك، فتشدد الحراسة، وتضرب على أيدي العابثين والمفسدين، وتحول بين من يريد الإضرار باقتصاد الوطن وهدفه، حتى يستقر الأمن وينشط الاقتصاد، ولا تتعرض الأمة لهزات تضعف كيانها، وتزعزع الثقة في قدراتها. ولعل فيما أشرنا إليه من قبل من أن وجود الأبواب لمصر فيه إشارة إلى وجود الأسوار الأمنية.

ونرى هذا كله اليوم محققاً في الموانىء والمطارات وعلى الحدود وفي داخل البلاد طولاً وعرضاً.

هـ ـ كذلك لا ننسى بعض العابثين سواء من الإداريين أو من ذوي الجشع من التجار فإن يوسف عليه السلام لا بد أن يضع أسلوباً محكماً ومراقبة إدارية وأمنية باستمرار على هؤلاء العابثين وتوقيع الجزاء على المخالف.

و ـ كذلك لإنجاح خطة يوسف عليه السلام في الحماية الأمنية بالداخل نجد أنه حث الشعب على التعاون مع السلطة الحاكمة في البلاد كما يحدث الآن عندما تمر أي بلد ما بأزمة... فإن الوعي التخطيطي والأمني لدى الشعب والتعرف على مشكلاته وحثه على أن المسئولين يسهرون على

راحته أمر يؤدي إلى الوصول للغاية والهدف، ومن ثم فإن يوسف قد نجح في عمله إذ لم تعترضه أية مشاكل أو عرقلة تؤدي إلى عدم النظام... وهذا يدل دلالة واضحة على أنه قد وضع خطة أمنية محكمة.

ز - التزم يوسف بوضع التخطيط للحماية من السرقة وتشديد الحراسة سواء في الداخل أو على الحدود لأن صوامع الغلال هي عصب الحياة لمصر لاجتياز المجاعة.

ح - لعل يوسف عليه السلام المسئول الأول قد أصدر تعليمات إدارية معينة بتحديد دخول القوافل بعدد معين أو أيام معينة أو أي شيء من هذه الترتيبات الإدارية التي تحافظ على أمن مصر في هذه الفترة العصيبة وتبادل التجارة مع الشعوب والقبائل المجاورة لمصر، وبالتالي فإن هذا يستلزم إصدار أوامر إدارية لحراس الحدود والجيش بهذه التعليمات.

ط - علم الله يوسف عليه السلام تأويل الأحاديث وتفسير الرؤيا وأمر يعقوب عليه السلام أولاده بالدخول من أبواب متفرقة لأسباب أمنية اقتصادية تخطيطية ربما تكون - إلى جوار ما ذكره المفسرون فيما سبق - تنفيذاً للإطار الأمني الذي وضعه يوسف عليه اسلام لتتخطى مصر والبلاد المحيطة الأزمة التي حلت بهم...

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾

الآية (٦٨).

وإذا ما رجعنا إلى طريقة تفتيش أمتعة إخوة يوسف عرفنا أنه كان هناك نظام للتفتيش ومحاكمات للمخالفين وأن للمتهم حق الدفاع وكل هذه الإجراءات ما هي إلا جزء من مخطط لإجراءات أمنية إذ أن هذه الإجراءات لم تكن لتأتي عفواً وإنما كانت تتم في إطار تخطيط عام لحماية الدولة أمنياً واقتصادياً.

وفيما يتعلق بالحماية الأمنية للحدود. . . قال الإمام القرطبي[1]:

قال ابن عباس: قال ـ أي يوسف ـ للترجمان قل لهم: لغتكم مخالفة للغتنا، وزيكم مخالف لزينا، فلعلكم جواسيس، فقالوا: والله، ما نحن بجواسيس، بل نحن بنو أب واحد، فهو شيخ صديق.

وقال الإمام القاسمي[2]:

لما دخلوا عليه ـ أي على يوسف ـ سجدوا له بوجوههم إلى الأرض، تحية له فشرع يخاطبهم متنكراً لهم وقال: من أين قدمتم؟ قالوا: من أرض كنعان، لنبتاع طعاماً. قال لهم: أنتم جواسيس، إنما جئتم لتتجسسوا ثغور الأرض قالوا: معاذ الله.

وقال الإمام الرازي[3] ما يلي:

إنهم لما دخلوا عليه، عليه السلام، وأعطاهم الطعام قال لهم: من أنتم؟ قالوا نحن قوم رعاة من أهل الشام أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال: لعلكم جئتم عيوناً.

ومن هذا يتضح تمام الوضوح أن يوسف لم يكن يترك غريباً دون التأكد من شخصيته وسبب قدومه إلى البلاد، أليس هذا إجراء أمني؟ داخل في إطار الخطة العامة للحماية العامة للدولة؟!!!.

وقال الإمام ابن الجوزي[4]:

فانطلقوا فدخلوا عليه، فعرفهم وأنكروه، فقال: من أين أقبلتم؟ قالوا: من أرض كنعان، ولنا شيخ يقال له: يعقوب، وهو يقرئك السلام، فبكى وعصر عينيه وقال: لعلكم جواسيس جئتم تنظرون عورة بلدي، فقالوا: لا

(١) الإمام القرطبي، سورة يوسف، آية (٥٨: ٦٥) ص ٣٤٤٩: ٣٤٥٣.
(٢) الإمام القاسمي، سورة يوسف، آية (٥٨: ٦٥) ص ٢٤٥: ٢٤٩ م ١.
(٣) الإمام الرازي، سورة يوسف، آية (٥٨: ٦٥) ص ١٦٥: ١٧١ م ٢٢ ج ١٨.
(٤) الإمام الجوزي، سورة يوسف، آية (٥٨: ٦٥) ص ٢٤٦: ٢٥٣.

والله، ولكنا من كنعان، أصابنا الجهد، فأمرنا أبونا أن نأتيك، فقد بلغه عنك خير.

وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: لما دخلوا عليه كلموه بالعبرانية، فأمر الترجمان فكلمهم ليشبه عليهم، فقال للترجمان: قل لهم: أنتم عيون، بعثكم ملككم لتنظروا إلى أهل مصر فتخبرونه فيأتينا بالجنود، فقالوا: لا، ولكنا قوم لنا أب شيخ كبير، وكنا إثني عشر.

٢ ـ السمات الإسلامية للحماية العامة:

لقد علمنا ماذا تعني الحماية...

فالحماية سيطرة سلطة البلاد على مرافقها ومراقبتها ومتابعتها خارجياً وداخلياً حسب سياسة البلاد، وهي كمفهوم اقتصادي عامل مساعد لحماية الحركة الاقتصَادية ورواج التجارة والمال والنشاطات الاقتصادية الفردية الأخرى، ثم جاء الإسلام مؤكداً سلطة الدولة وواجباتها في قوله تعالى: **﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل، إن الله نِعِمَّا يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً. يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم...﴾**(١). لقد ألزم المولى سبحانه وتعالى بأداء الأمانة والعدل وفي ظلهما يكون الأمن وتكون الحماية، وفي مقابلهما أمر بالطاعة لله والرسول والولاء للدولة سلطات تقابلها واجبات وواجبات عادلت سلطات، فما أعدل الحق سبحانه وما أعظم المنهج، فلنأخذ بمنهج الله... منهج الله الذي رسم للإنسان طريق الأمن والأمان في الحياتين: الأمن النفسي والأمن المادي. بل وقرن بينهما فجعلهما لازمين متلازمين وامتن بهما على عباده **﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾**(٢).

وهذا خليل الرحمن لا يطلب سوى الأمنين فيما حكاه القرآن الكريم **﴿قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات...﴾**(٣) **﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً﴾**(٤) ولا أمن إلا بتوحيد الله، لذلك قال: **﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾**(٥) يطلب خليل الرحمن لأهله الأمن

(١) الآيتان ٥٨، ٥٩ من سورة النساء.
(٢) سورة قريش، الآيتان ٣، ٤.
(٣) الآية ١٢٦ من سورة البقرة.
(٤) الآية ٣٥ من سورة ابراهيم.
(٥) الآية ٣٥ من سورة ابراهيم.

والحماية ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾[1] ويطلب الأمن الاقتصادي والحماية الاقتصادية ﴿وارزقهم من الثمرات﴾[2] ثم يبين الغاية المنشودة من المطلبين ﴿لعلهم يشكرون﴾[3] ذلك لأن الحق يقول: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾[4].

إن الأمن نعمة كبرى ومصدرها الله وسببها في يد الإنسان ﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون﴾[5] ﴿أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبي إليه ثمرات كل شيء﴾[6].

الأمن طمأنينة القلب، وطمأنينة القلب بذكر الله وذكر الله مراقبته في كل حال قياماً وقعوداً وعلى الجنوب... في المصنع، والمعهد، والمدرسة، في الشارع، والمتجر في كل تعامل للإنسان مع الله، أو تعامل للإنسان مع أخيه الإنسان، ولعل مادة الاشتقاق وتقارب الألفاظ كما يقول علماء فقه اللغة دليل على تقارب المعاني، أليست مادة الأمن قريبة من مادة الإيمان، ولهذا يقول الحق سبحانه ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[7].

ولا مراء في أن الأمن حماية والحماية لا تكون إلا من عدوان واقع أو متوقع، فانظر إلى دقة البيان الرباني في الربط بين الإيمان وترك الظلم وما يترتب على ذلك من الأمن والأمان والهداية. ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾[8]، فمن لا يظلم لا يظلم ﴿ولكن

---

(١) الآية ٣٧ من سورة ابراهيم.
(٢) الآية ٣٧ من سورة ابراهيم.
(٣) الآية ٣٧ من سورة ابراهيم.
(٤) الآية ٧ من سورة ابراهيم.
(٥) الآية ٦٧ من سورة العنكبوت.
(٦) الآية ٥٧ من سورة القصص.
(٧) الآية ٢٨ من سورة الرعد.
(٨) الآية ٨٢ من سورة الإنعام.

الناس أنفسهم يظلمون﴾[1] ومن ظلم فإنما يظلم نفسه ومن ظلم نفسه أيكون جديراً بمظلة الأمن والأمان والحماية؟!!! كلا. . .

من كل ما تقدم تتضح السمات الإسلامية للأمن والحماية وتبرز الصورة التي أرادها الإسلام للحماية العامة. . . ومن أبرزها:

١ ـ أن الحماية أساساً من الله ولكن علينا أن نأخذ بأسباب توفيرها، فيعقوب عليه السلام أوصى أبناءه ألا يدخلوا من باب واحد حماية لهم وأمناً مع اعتقاده بأن الله هو الفاعل ﴿وما أغنى عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون﴾[2]. . . ولهذا قال رسول الله ﷺ لصاحب الناقة فيما رواه عبد الرحمن بن أبي ليلى ﴿أعقلها وتوكل على الله﴾[3].

٢ ـ إن الأمن الاقتصادي لا غنى له عن الأمن العام بدليل اقترانه في كثير من الآيات القرآنية على نحو ما سلف، ومن ثم حرم الإسلام أكل أموال الناس بالباطل ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾[4] ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم. . .﴾[5] ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله﴾[6] ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً. . .﴾[7] ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾[8]. لقد جعل القرآن أموال السفهاء كأنها ليست أموالهم حماية لهذه الأموال ـ حماية للاقتصاد ـ من سفههم أمنا وأماناً لهم

---

(١) الآية ٤٤ من سورة يونس.
(٢) الآية ٦٧ من سورة يوسف.
(٣) انظر «تنبيه الغافلين» ص ١٦٩ للسمرقندى.
(٤) الآية ٢٧٥ من سورة البقرة.
(٥) الآية ٢٩ من سورة النساء.
(٦) الآية ٣٨ من سورة المائدة.
(٧) الآية ١٠ من سورة النساء.
(٨) الآية ٥ من سورة النساء.

فأضافها إلى المولى وقال أموالكم. . . وفي قوله تعالى: **﴿فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم﴾**(1)، أضاف الأموال إلى أصحابها عند الرشد. . . أليس في هذا حماية وأي حماية؟!!! إنها حماية لعصب الاقتصاد وهو المال وحماية لصاحبه حتى يستثمره برشد فيما يعود عليه وعلى الأمة بالخير والنماء.

وفي المقابل لهذا التحريم دعا الإسلام إلى الكسب الحلال وأكل الطيب قال رسول الله ﷺ: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: **﴿يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم﴾** وقال: **﴿يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾** ثم ذكر - ﷺ الرجل أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له «رواه مسلم والترمذي».

٣ - الحماية العامة واجب الدولة والإلتزام واجب الأفراد.

٤ - لا ضرر ولا ضرار ولا ظلم ولا استغلال.

٥ - الخارج على القانون يجب أن يعاقب جزاء ما ارتكبه وردعاً لغيره **﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾**(2).

٦ - الإيمان والأمن والغذاء من أَجَلّ النعم فهما عمد الحياة، وشكر النعمة يزيدها، فالشكر واجب بينما الكفران للنعمة يزيلها فينهار الاقتصاد. فلننظر بإمعان إلى هذا البيان الإلٓهي المنزل للإنسانية جمعاء من أجل أمنها وأمانها واقتصادها ونجاتها في الدارين. **﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾**(3).

---

(١) الآية ٦ من سورة النساء.

(٢) الآية ١٦٤ من سورة الأنعام.

(٣) الآية ١١٢ من سورة النمل.

وعند أهل الكتاب[1] وفي باب التكوين ما يشير إلى شيء من اجراءات الحماية الأمنية داخل مصر آنذاك، ففي الأصحاح الرابع والأربعون:

فَكَيْفَ نَسْرِقُ مِنْ بَيْتِ سَيِّدِكَ فِضَّةً أَوْ ذَهَبًا.

إن فيه إشارة إلى عمليتي ضبط وتفتيش واستجواب ودفاع بالإنكار على سبيل التعجب، وكلها إجراءات أمنية.

كما جاء في كتب أهل الكتاب[2] وفي باب التكوين أيضاً ما يشير إلى مدى الحرص الشديد على استتباب الأمن في مصر داخلها وخارجها إذ جاء في الأصحاح الثاني والأربعون ما يلي:

٣٠ تَكَلَّمَ مَعَنَا ٱلرَّجُلُ سَيِّدُ ٱلْأَرْضِ بِجَفَاءٍ وَحَسِبَنَا جَوَاسِيسَ ٱلْأَرْضِ. ٣١ فَقُلْنَا لَهُ نَحْنُ أُمَنَاءُ. لَسْنَا جَوَاسِيسَ ٣٢ نَحْنُ ٱثْنَا عَشَرَ اخًا بَنُو أَبِينَا. الْوَاحِدُ مَفْقُودٌ وَٱلصَّغِيرُ ٱلْيَوْمَ عِنْدَ أَبِينَا فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. ٣٣ فَقَالَ لَنَا ٱلرَّجُلُ سَيِّدُ ٱلْأَرْضِ بِهٰذَا أَعْرِفُ أَنَّكُمْ أُمَنَاءُ.

(١) الأصحاح الرابع والأربعون، باب التكوين، رقم ٧، ص ٧٥.

(٢) الأصحاح الثاني والأربعون، باب التكوين، من رقم ٣٠: ٣٣، ص ٧٢.

٣ - الحماية الاقتصادية:

لقد تعلمنا من قصة يعقوب عليه السلام ماذا تعني الحماية. . . فالحماية إما أن تكون حماية أمنية في الداخل أو حماية الحدود أو المنافذ والأبواب والمخارج أو الحماية الاقتصادية على الأسواق والأسعار والحركة التجارية والمالية والاقتصادية بالبلاد أي سيطرة الحكومة على مرافقها ومراقبتها ومتابعتها حسب سياسة البلاد. . .

ومجال الحماية العامة. . . مجال واسع وشامل لجوانب كثيرة من الحياة. . . وقد كان موقف يعقوب عليه السلام من أبنائه وطلبه منهم ألا يدخلوا من باب واحد له أهمية وهدف تعلمه من ربه عز وجل. . . ولم يخبر به أحداً حتى أبناءه. . . لحاجة في نفسه ولم يصرح القرآن بهذه الحاجة ولكنها كما قال المفسرون تتمثل في الخوف عليهم، والخوف ضد الأمن وبالتالي أوصاهم عليه السلام بما أوصاهم به حماية لهم مع إقراره بأن الحذر لا ينجي من القدر.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦٨ ﴾.

الآيتان ٦٧، ٦٨ من سورة يوسف.

ولا جدال في أن كل حركة اقتصادية تحتاج إلى أمن وحماية. . . وحماية الحركة الاقتصادية تزيد من رواج التجارة والمال وانتعاش الأسواق والنشاطات الاقتصادية الفردية الأخرى.

ولقد رأينا فيما سبق كيف وضع يوسف عليه السلام التخطيط للحماية الاقتصادية من العابثين بالداخل واللصوص والسارقين أو الغشاشين خشية بيع محصول القمح سواء المسروق أو غير المخصص لهم في السوق السوداء.

والسوق السوداء هي عرض البضاعة النادرة أو الغير متوفرة في السوق لحاجة الطلب الكبير إليها بأسعار أكثر من سعرها الطبيعي وهذا السعر مغرٍ لضعاف النفوس غير النظاميين من الشعب الذين. تحاول الحكومة محاربتهم والضرب على أيدي العابثين منهم كما نرى الآن في أي أزمة اقتصادية تحل بأي بلد ما... فكيف لو فكرنا في عصر يوسف عليه السلام أن غالبيتهم غير مؤمنين بدين يوسف وبالتالي فإن ضعاف النفوس يكثرون... ولهذا فإن الدولة تشدد على العابثين لحفظ الأمن. وحماية الاقتصاد وحفظ توازن أسعار الغلال الحقيقية التي تضعها الدولة حماية للمستهلك من الاستغلال كي ينعم بحياة اقتصادية عادلة...

وقد قام يوسف عليه السلام من أجل الحماية الاقتصادية للشعب بتقسيم حصص الغلال لكل أسرة ووضع لها القوانين والأنظمة الإدارية لحماية الاقتصاد وحصة كل فرد...

وجاء في تفسير الإمام القرطبي(1) للآيات من (58 حتى 65) من سورة يوسف:

قال ابن عباس وغيره: لما أصاب الناس القحط والشدة، ونزل ذلك بأرض كنعان بعث يعقوب عليه السلام ولده للميرة، وذاع أمر يوسف عليه السلام في الآفاق، للينه وقربه ورحمته ورأفته وعدله وسيرته، وكان يوسف عليه السلام حين نزلت الشدة بالناس يجلس عند البيع بنفسه، فيعطيهم من الطعام على عدد رؤوسهم لكل رأس وسقا.

---

(1) الإمام القرطبي ـ سورة يوسف من الآيـة (58 حتى 65) ص 3449 حتى 3452.

ويعتبر ما قام به يوسف عليه السلام أساس لعلم التقنين والتقسيم للخطة كما سبق أن ذكرت ذلك في المبحث الرابع. (رابعاً ـ الخطة السبعية الثانية للدولة رقم (٦) حرف «ز»).

ويعرف علم التقنين الآن في النظام الاقتصادي بنظام «البطاقات الأسرية».

كذلك وضعت الدولة نظام تثبيت الأسعار لبيع الغلال إلى الشعب في الأسواق ومراقبة وضبط توزيعها وتثبيت هذا السعر لتجنب الغش والتلاعب فيه...

وقد حددت الدولة سعر ثمن الغلال حسب مقدور الفرد ورزقه مقابل دخل الفرد حسب بيانات دراسية اقتصادية حتى يتم التوازن بين دخل الفرد وثمن السلعة.

كما بين لنا يوسف عليه السلام المسئول الأول والإداري أنه في بعض الحالات كان يتساهل في إعطاء الغلال كصدقة... كما بين الله تعالى:

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ۝٨٨﴾. الآية (٨٨).

من هذا المنطلق الاقتصادي فإن يوسف عليه السلام تصدق على غرباء بعد أن أخذ أفراد الشعب كفايتهم... وهو النبي ذو الرحمة الذي أنقذ شعب مصر من الجوع بحمايته اقتصادياً.

وفي مجال الأنظمة لحماية الاقتصاد على الغلال وضع يوسف عليه السلام نظاماً إدارياً تخطيطياً للحماية الاقتصادية لدولة مصر وذلك عندما تعامل الشعوب المجاورة لمصر... وذلك على النحو التالي: ـ

ـ إعطاؤهم الغلال نظير أسعار معينة متفق عليها بين مصر وهذه الشعوب.

ب ـ تصدق يوسف على إخوته لأن ثمن النقود لا تساوي ثمن الغلال التي أعطيت لهم.

جـ ـ موافقة السلطات المصرية الممثلة في يوسف عليه السلام على التعامل مع هذه الشعوب.

كل هذا يعتبر حماية اقتصادية وأمنية للدولة من العابثين واللصوص خارج الحدود...

وعن الحماية الأمنية الهادفة للحماية الاقتصادية... قال الإمام الزمخشري في الكشاف(١):

فقال: لعلكم جئتم عيوناً تنظرون عورة بلادي، قالوا: معاذ الله نحن إخوة بنو أب واحد وهو شيخ صديق نبي من الأنبياء اسمه يعقوب. قال: فمن يشهد لكم أنكم لستم بعيون وأن الذي تقولون حق؟

قالوا: إننا ببلاد لا يعرفنا فيها أحد فيشهد لنا، قال: فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني بأخيكم من أبيكم وهو يحمل رسالة من أبيكم حتى أصدقكم.

وعند أهل الكتاب(٢) ومع تحفظنا على حلف يوسف بحياة فرعون وهو النبي المؤمن بالله الواحد نقول: جاء في باب التكوين بشأن تطبيق الخطة العامة لحماية دولة مصر من اللصوص والعابثين... ما يلي:

٩ فَتَذَكَّرَ يُوسُفُ ٱلْأَحْلَامَ ٱلَّتِي حَلُمَ عَنْهُمْ وَقَالَ لَهُمْ جَوَاسِيسُ أَنْتُمْ. لِتَرَوْا
عَوْرَةَ ٱلْأَرْضِ جِئْتُمْ. ١٠ فَقَالُوا لَهُ لَا يَا سَيِّدِي بَلْ عَبِيدُكَ جَاءُوا لِيَشْتَرُوا طَعَامًا. ١١ نَحْنُ
جَمِيعُنَا بَنُو رَجُلٍ وَاحِدٍ. نَحْنُ أُمَنَاءُ. لَيْسَ عَبِيدُكَ جَوَاسِيسَ. ١٢ فَقَالَ لَهُمْ كَلَّا بَلْ لِتَرَوْا

---

(١) الإمام الزمخشري في الكشاف، سورة يوسف (من الآية ٥٨ حتى الآية ٦٥) ص ٣٣٠ : ٣٣١.

(٢) الأصحاح الثاني والأربعون، باب التكوين، من رقم ٩ حتى ١٧ ص، ٧١.

عَوْرَةَ ٱلْأَرْضِ جِئْتُمْ. ١٣ فَقَالُوا عَبِيدُكَ ٱثْنَا عَشَرَ أَخًا. نَحْنُ بَنُو رَجُلٍ وَاحِدٍ فِي أَرْضِ
كَنْعَانَ. وَهُوَذَا ٱلصَّغِيرُ عِنْدَ أَبِينَا ٱلْيَوْمَ وَٱلْوَاحِدُ مَفْقُودٌ. ١٤ فَقَالَ لَهُمْ يُوسُفُ ذٰلِكَ
مَا كَلَّمْتُكُمْ بِهِ قَائِلًا جَوَاسِيسُ أَنْتُمْ. ١٥ بِهٰذَا تُمْتَحَنُونَ. وَحَيَاةِ فِرْعَوْنَ لَا تَخْرُجُونَ مِنْ
هُنَا إِلَّا بِمَجِيءِ أَخِيكُمُ ٱلصَّغِيرِ إِلَى هُنَا. ١٦ أَرْسِلُوا مِنْكُمْ وَاحِدًا لِيَجِيءَ بِأَخِيكُمْ وَأَنْتُمْ
تُحْبَسُونَ. فَيُمْتَحَنَ كَلَامُكُمْ هَلْ عِنْدَكُمْ صِدْقٌ. وَإِلَّا فَوَحَيَاةِ فِرْعَوْنَ إِنَّكُمْ لَجَوَاسِيسُ.
١٧ فَجَمَعَهُمْ إِلَى حَبْسٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ]

ونتيجة لذلك فإن أي غريب يدخل مصر وبالذات في تلك الفترة العصيبة التي تعيشها مصر يشك في أمره... فلا بد من الحيطة والحذر والمراقبة والوعي والتيقظ الدائم...

جـ ـ تحليل التخطيط الامني لحماية الدولة استئناساً بقصة يوسف عليه السلام

رقم	الآية الكريمة	الجانب التخطيطي	الجانب الاقتصادي	الجانب التجاري	العلاقات الإنسانية	السمات والأخلاقيات
يوسف ٦٣	فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنه له لحافظون.	رسم وتحديد الخطة التي اتبعها يوسف عليه السلام مع إخوته وتعهد إخوة يوسف بحفظ أخيهم وحمايته.	ولي الأمر له السلطة الإدارية لحماية حدوده ومواثه.	ولي الأمر هو المسئول عن الحماية الاقتصادية في وقت الأزمة.	الإشراف والمحافظة المستمرة على مستودعات مخزون القمح في إطار إنساني من أجل الهدف العام.	تحديد ومعرفة نفوذ ولي الأمر وحدودها الأخلاقية.
٦٧	وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون.	حكمة الله تعالى ليعقوب عليه السلام في رسم ومضمون خطته بعدم دخول أبنائه من باب واحد.	في زمن القحط تضعف النفوس ويكثر اللصوص وقطاع الطرق ويستوجب من ولي الأمر حماية حدود وأبواب بلاده حفاظاً على الأرصدة.	معرفة الحماية الاقتصادية لمخازن حبوب القمح في زمن القحط من خلال نظام التبادل.	التطبيق العملي للحماية الأمنية في داخل مصر لمخزون القمح في وقت أزمة القحط على أسس إنسانية من منطلق رباني.	الصبر والتوكل على الله في أمورنا الدنيوية.

تابع جـ- تحليل التخطيط الأمني لحماية الدولة استئناساً بقصة يوسف عليه السلام

٦٨	ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون.	حكمة الله تعالى في توجيه يعقوب عليه السلام بتحديد مضمون خطته لدخول أبنائه من أبواب متفرقة.	منح المسئولية الكاملة من ولي الأمر إلى يوسف عليه السلام في سن القوانين والأنظمة في ذلك الوقت العصيب لتحديد دخول الغرباء البلاد لحماية أمنها واقتصادها.	تطبيق النظم الأمنية والتعليمات عند دخول البلاد لحماية اقتصادها من النهب والسرقة لمخزون القمح.	المراقبة والمحافظة الشديدة في الداخل على مستودعات مخزون القمح من أجل حياة الإنسان.	الأمانة في العمل والمسئولية الإدارية للعاملين مع يوسف عليه السلام أو المتعاملين معه.
يوسف ٧٠	فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون.	تخطيط يوسف عليه السلام مع إخوته لاستقدام أسرته في المستقبل.	المحافظة والمراقبة المستمرة على حدود وموانىء البلاد لضبط ما قد يؤخذ خفية.	المراقبة الاقتصادية على مستودعات القمح ضبطاً للأرصدة وكشفاً لما قد يتسرب بالمخالفة للتعليمات.	وضع الخطة الأمنية للبلاد للحماية العامة في ذلك الوقت زمن القحط حماية للناس.	الغش والسرقة من المنهيات.

تابع جـ- تحليل التخطيط الأمني لحماية الدولة استئناساً بقصة يوسف عليه السلام

رقم	الآية الكريمة	الجانب التخطيطي	الجانب الاقتصادي	الجانب التجاري	العلاقات الإنسانية	السمات والأخلاقيات
٧١	قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون.	تتابع الخطة التي رسمها يوسف عليه السلام.	تشديد الحماية الأمنية على الحدود والموانىء ومداخل المدن ومخارجها.	الحماية الاقتصادية لمخزون القمح وقت الحاجة أكثر من أي وقت.	التوتر الداخلي في زمن القحط.	السرقة من المنهيات.
٧٢	قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم.	تحقيق خطة يوسف عليه السلام مع إخوته.	الأوامر الإدارية تحدد تنظيم المداخل والمخارج حماية لأمن البلاد واقتصادها ورصد الجوائز من أجل الحماية.	المحافظة الدائمة على مخزون القمح في زمن القحط لمراقبة المتعاملين مع المخازن.	الجهاز الإداري الأمني عامل فعال وبالذات في زمن القحط وله أن يتخذ الأصدقاء (أصدقاء الشرطة) من أجل سلامة المجتمع الإنساني.	الأمانة والمعاملة الحسنة، فالمتهم بريء حتى تثبت إدانته.
٧٣	قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين.	الوعي التخطيطي من الجهاز الإداري التخطيطي.	المراقبة الإدارية جزء من الحماية الأمنية لمداخل وموانىء البلاد.	استمرارية وعي الجهاز الأمني لحماية اقتصاد البلاد في زمن القحط.	الوعي الأمني للعاملين في الجهاز الأمني المستمر في تلك الفترة بروح الجماعة.	السرقة هي أساس الفساد في الأرض.

تابع جـ- تحليل التخطيط الأمني لحماية الدولة استئناساً بقصة يوسف عليه السلام

يوسف ٧٤	قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين.	استمرارية خطة يوسف عليه السلام مع إخوته.	الإشراف المستمر من ولي الأمر ومحاسبته لمن يضر بالاقتصاد القومي.	التصرف في مخزون القمح في زمن القحط من مسئولية ولي الأمر وله سلطة توقيع الجزاء على من يخرج على النظام المتبع.	مسئولية يوسف عليه السلام والجهاز الأمني معه في الحماية الأمنية في الداخل دون تسلط أو تعسف	الكذب من المحظورات المستحقة للعقاب.
٧٥	قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين.	التخطيط المرسوم بحكمة من المسائل الإدارية الهامة.	التطبيق العملي لجهاز الأمن لمراقبة حدود ومداخل البلاد.	تطبيق الجزاء الصارم على كل سارق وغشاش في تلك الفترة.	العقاب الشديد في زمن القحط من الأمور الواجبة للحماية الأمنية. فالأمن من متطلبات الإنسانية لتستمر المسيرة.	الظلم محظوروالعدل مطلوب والظالم منبوذ.

تابع جـ - تحليل التخطيط الأمني لحماية الدولة استئناساً بقصة يوسف عليه السلام

	الآية الكريمة	الجانب التخطيطي	الجانب الاقتصادي	الجانب التجاري	العلاقات الإنسانية	السمات والأخلاقيات
يوسف ٧٦	فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم.	نجاح خطة يوسف عليه السلام وحكمته فيها مع إخوته.	الأخذ بحكمة يوسف عليه السلام عن الحماية الأمنية لحدود ومداخل البلاد بالتطبيق العملي حماية للاقتصاد القومي.	الحماية الاقتصادية من المسائل الإدارية الهامة لكل بلد في جميع الأزمنة.	الاستمرارية في كل الأزمنة للحماية الأمنية في داخل البلاد وبالحماية تطمئن النفوس وتنشط العلاقات الإنسانية.	الأمانة والصدق في التعامل بين الناس.
٧٧	قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكاناً والله أعلم بما تصفون.	الحكمة الأمنية من قصة يوسف عليه السلام وإخوته من الدروس المستفادة في التخطيط وحكمته وأهدافه.	المراقبة المستمرة لحدود ومداخل المدن من أصول التكامل الإداري والاقتصادي للخطة الأمنية.	الحماية الاقتصادية أثناء التبادل التجاري من المسائل الإدارية الواجبة للبلاد خصوصاً زمن القحط.	تشديد الحماية الأمنية في الداخل للحماية من السرقة والنهب والسلب لتسود روح الأخوة بين الآمنين.	الأمانة والعدل والصفح من سمات المؤمن الصادق.

تابع جـ ـ تحليل التخطيط الأمني لحماية الدولة استئناساً بقصة يوسف عليه السلام

يوسف ٧٨	قالوا يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين	جانب من حكمة الله تعالى في إلهام يوسف عليه السلام بوضع خطته الخاصة بإخوته لتحقق منهج الله بجمع شمل الأسرة وإنقاذها مما تعانيه نتيجة القحط.	الحماية الأمنية للبلاد من الضروريات الإدارية في وقت الأزمات الاقتصادية.	الحماية الاقتصادية للبلاد من المقتضيات الإدارية وبالذات وقت الأزمات على أن الأمان جانب مهم في التبادل التجاري.	تطبيق التعليمات الإدارية الأمنية للمحافظة على أمن البلاد ومحاولات استدرار العطف بتحريك العواطف الإنسانية.	العفو والإحسان ومراعاة الظروف والدوافع في إطار منهج الله . . .
٧٨	قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذاً لظالمون.	الإلتزام بالتخطيط الهادف من المسائل الإدارية الهامة لتطوير البلاد على أن التخطيط إنما يكون في ظل القانون.	التفتيش والمراقبة والمتابعة الأمنية للبلاد ضرورية وقت الأزمات مع ضرورة تطبيق القوانين التي وضعت للحفاظ على اقتصاد البلاد.	رسم وتخطيط الحماية الاقتصادية في وقت الأزمات لتأمين التبادل التجاري في إطار القوانين الأمنية.	التخطيط الإداري الأمني المستمر هام للبلاد على ألا يؤخذ البريء بذنب غيره . . .	العدل والحكمة من السمات والأخلاقيات الواجبة في الإدارة.

تابع جـ - تحليل التخطيط الأمني لحماية الدولة استئناساً بقصة يوسف عليه السلام

رقم	الآية الكريمة	الجانب التخطيطي	الجانب الاقتصادي	الجانب التجاري	العلاقات الإنسانية	السمات والأخلاقيات
يوسف ٨٠	فلما استيئسوا منه خلصوا نجياً قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين	التوعية في رسم وتحديد التخطيط للفرد من المسائل الإدارية الهامة والإلتزام الفردي بالجانب الأمني في خطة يعقوب.	تدريب الفرد وتوعيته بالحماية الأمنية.	التوعية للحماية لأفراد القافلة التجارية ضرورية.	تعاون ولي الأمر والمسئولية الإدارية مع بقية أفراد الشعب للحماية الأمنية في الداخل.	الثقة والإلتزام للعهد والشرف.
٨١	ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين.	وضع خطة للبلاد لحماية مستودعاتها من السرقة.	الحماية الأمنية المشددة على البلاد ضرورية وقت الأزمات وخاصة الاقتصادية.	الحماية الاقتصادية واجبة في وقت الأزمات لحماية البلاد.	المحافظة الأمنية الدائمة بالداخل على مخزون القمح لأنه شريان الحياة في وقت القحط.	السرقة فعل ذمم يستحق فاعله العقاب، وجوب الصدق في الشهادة.

تابع جـ- تحليل التخطيط الأمني لحماية الدولة استئناساً بقصة يوسف عليه السلام

يوسف ٨٢	واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون.	تحقيق الهدف المنشود الذي خطط من أجله.	تشديد الحماية الأمنية على الحدود ومداخل المدن تأميناً للاقتصاد القومي ورعاية للتبادل التجاري باعتباره ركيزة من ركائز الاقتصاد.	التعاون والتبادل الاقتصادي بين الشعوب.	سلامة طرق القوافل التجارية سلامة للإنسانية.	الأمانة والصدق وشهادة العدول.
٩٩	فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين.	نهاية منهج الخطة وتحقيق منهج الله... بسيادة يوسف وجمع الشمل.	الخطة الأمنية على الحدود والموانىء ومداخل المدن من المسائل الإدارية الضرورية.	بتطبيق الحماية الاقتصادية على البلاد في زمن الرخاء والقحط يتحقق الهدف.	تطبيق الأنظمة لحماية الأمن الداخلي.	الأمن والسلامة بمشيئة الله وإن أخذنا بالأسباب.

منهاج تدريس علوم التخطيط في جامعات المسلمين

وفق خواطرنا وما استخلصناه من قصة يوسف عليه السلام

جاءت في كتاب الله العزيز قصص وأمثلة كثيرة لتنير لنا طريق الهداية في حياتنا العملية الاقتصادية منها وغير الاقتصادية ومن قصص القرآن الكريم قصة يوسف عليه السلام تلك التي نوهت بالأساس الاقتصادي والتخطيطي في حياتنا إلى جانب ما فيها من عظات وعبر، وقد عنينا في تناولنا لها في هذا البحث بما أشارت أو نوهت به من التخطيط بأقسامه كالتخطيط الفردي والتخطيط للدولة، فيوسف عليه السلام من خلال رؤيا الملك وضع الخطة المستقبلية البعيدة المدى لدولة مصر وقسمها إلى خطة سبعية أولى حيث وضع الهيكل ورسم الخطوط الرئيسية للخطة العامة للدولة، ثم وضع الخطة السبعية الثانية والتي كانت من أصعب المراحل التي أشار إليها الله تعالى في كتابه الكريم حيث مرت مصر بأزمة جفاف نيلها فأصابها القحط. . . ولكن بفضل الله تعالى وحكمته ثم تخطيط يوسف الحكيم عليه السلام مصر هذه المرحلة بكل الوسائل الممكنة وتوطدت علاقاتها مع الشعوب والقبائل المجاورة وكانت حماية الدولة لحدودها وأمنها بالداخل وحماية أسواقها واقتصادها ومستودعات الغلال فيها تلك التي تعتبر الشريان الرئيسي وتم كل ذلك بتخطيط الدولة وإشرافها على الأسعار في الأسواق ونظام الموازين والمكاييل وحماية اقتصابايات طرق نقل التجارة بين الشعوب.

وبعد. .أفلا يستحق ذلك كله أن يدرس ويعلم لطلابنا في جامعات الأمة الإسلامية؟ ليتفهم الطالب المسلم المؤمن الدروس الاقتصادية والتخطيطية وفروعها وفق المنهج الرباني فيبني حياته الاقتصادية العملية على أساس إسلامي علمي متين فيفيد دينه ووطنه وأمته الإسلامية.

أ ـ التطبيق العملي للتخطيط الإسلامي وإدارة منشآت الدولة الاقتصادية والإدارية:

أشارت قصة يوسف عليه السلام إلى أن علوم التخطيط للدولة من الأساسيات الرئيسية لإدارتها والتي تحتاج إليها في كل المرافق والمؤسسات التابعة لها، لذلك فإن تعليم علوم التخطيط بجامعاتنا في الأمة الإسلامية وفقاً لمنهج يوسف عليه السلام أمر مهم... حيث أن عملية إعداد المسلم كمخطط حسب منهج القرآن الكريم والشريعة الإسلامية وسنة محمد ﷺ... تحتاجها الأمة الإسلامية لنشر الإسلام في العالم والثقافة الإسلامية ومن أجل ذلك فإن التطبيق العملي للعلوم الإسلامية في التخطيط وإعداد المسلم لإدارة المنشآت الاقتصادية والمالية والإدارية للدولة هو الأساس لوصول أمتنا الإسلامية إلى الطريق التخطيطي السليم، وما ذلك إلا لأن:

١ ـ الدولة تحتوي على أجهزة حكومية متعددة الأطراف وكل يؤدي وظيفته في الدولة وهذه المنشآت الاقتصادية منها المالية والإدارية كالوزارات وما تؤديه من الخدمات العامة كالبريد والبرق والهاتف والطرق والمواصلات والأشغال العامة والإسكان أو التعليم بفروعه حتى التعليم العالي والصحة والمستشفيات والمستوصفات والتجارة والصناعة والبنوك التابعة للدولة أو البنوك المحلية والزراعة وبنوكها وشركات الزراعة والمقاولات وغير ذلك من المنشآت التابعة للدولة أو تساهم الدولة فيهما سواء بطريق مباشر أو غير مباشر ولها الشخصية الاعتبارية للدولة، وكذلك علاقة الدولة بالدول الأخرى عن طريق التجارة وسفاراتها وقنصلياتها عن طريق الخارجية، كل هذه المنشآت التابعة للدولة وتكون لكل إدارة منها الشخصية الاعتبارية المستقلة في الدولة تؤدي كل واحدة منها مهمتها الخاصة بها وإن إعداد المسلمين وتجهيزهم بجامعاتنا في الأمة الإسلامية وفقاً لما أشرنا إليه أمر مهم للدولة وللفرد.

٢ ـ كذلك لا ننسى الطبيب والمهندس والكيميائي والفيزيائي وشتى فروع الهندسة والعلوم فإنهم أصبحوا الآن مسئولين في الدولة حسب

اختصاصهم الهندسي والطبي علاوة على أنهم يديرون منشآت الدولة من مستشفيات إلى إدارات هندسية، فبتعليمهم علوم التخطيط بجامعاتنا الإسلامية والمسئولية الإدارية للفرد العامل بالدولة ومدى تحمله مسئولية التخطيط لأنه بعمله في دائرة حكومية أو منشأة حكومية أو غير حكومية يعتبر أساس الهيكل والكيان الإداري للدولة.

٣ - كذلك لا ننسى المعاهد الفنية، فهي الركيزة والشريان الذي تعتمد عليه الدولة والحياة الاقتصادية العملية لأن أعداد طلابها فنياً إلى جانب الإعداد التخطيطي الذي تعلمناه من يوسف عليه السلام بجميع فروعه وما أحله الله وما حرمه.

٤ - ضرورة تعاون الدول الإسلامية التعليمية في وضع برامج تعليمية ذات الطابع والتخطيط الإسلامي والاقتصاد الإسلامي بوضع خطة مستقبلية بعيدة المدى في برامج التعليم والتخطيط للأمة الإسلامية.

٥ - اعداد الإداري والمالي والتجاري والطبيب والمهندس المسلم الذي يتحمل المسئولية أياً كانت وأعباء الإدارة بالمسئولية الكاملة تجاه الله ثم ولي الأمر ووطنه على أسس علمية.

ب - التطبيق العملي للتخطيط الإسلامي في الإدارات والأقسام الحكومية:

١ - لقد كان يوسف عليه السلام قدوة لنا في تحمل المسئولية في إدارة وانقاذ مصر من الأزمة في الأربعة عشر عاماً، كما أكد أن الجهازين الإداري للتخطيط والفني لتنفيذ الخطة بل وكل العاملين في كلا الجهازين قد تحملوا المسئولية الكاملة.

٢ - أرشدنا يوسف عليه السلام إلى أن العلوم التطبيقية العملية للتخطيط تستلزم اتصالات دورية دائماً بين أعضاء جهاز التخطيط والعاملين فيه من الرئيس حتى رؤساء الإدارات والأقسام والمراقبة، وذلك لنجاح الخطة العامة للدولة وإعلامهم بنتائج الخطة التي وضعت ورسمت للدولة،

فاتصال الرئيس المباشر بالشعب يعطي الفرصة للتصرف الملائم حسب الخطة الموضوعة والبرنامج الزمني للخطة العامة للدولة، ان الاتصال بين الرئيس وجميع جهات التخطيط من الإدارات والأقسام والمراقبة أمر مهم في نجاح التطبيق العملي للخطة الخاصة بالدولة.

٣ - بين يوسف أن متابعة المسئول عن الخطة أمام الله ثم الملك والوطن هي الأساس التخطيطي لعلوم التخطيط، كما أنها تعتبر الأساس في إنجاح الخطة العامة للدولة.

جـ - تدريس التخطيط في الكليات العسكرية والأمنية للدولة:

من خلال قصة يوسف عليه السلام اتضح لنا كيف وضع يوسف الخطة المستقبلية لمصر في الأربع عشرة سنة، وبين لنا أنه عندما أصيبت المنطقة بالحقط وعم الجفاف مصر والشعوب والقبائل المجاورة لمصر تبادل وأعطى الغلال لأخوته وغيرهم ولم يغلق أبواب مصر في وجه تلك الشعوب...

ولهذا يمكن التوصل إلى ما يلي:

١ - عندما وضع يوسف عليه السلام الخطة المستقبلة البعيدة المدى لدولة مصر للأربع عشرة سنة وضع ضمن تخطيطه التخطيط العام لحماية الدولة وبالذات في فترة السبع سنين القحط حيث يكثر ضعاف النفوس من اللصوص وقطاع الطرق ووضع التخطيط للحماية الأمنية بالداخل وعلى الحدود لحماية مستودعات الغلال التي ستعتمد عليها معيشة الشعب المصري في السنين السبع القادمة تفادياً للمجاعة والقحط وتنفيذاً لأمر الله تعالى.

٢ - لإنجاح الأمن على مستودعات القمح استلزم عمل تخطيط أمني لكثرة الجنود على حدود وبوابات مصر وبداخلها وحماية منشآت الدولة الاقتصادية في هذه الفترة العصيبة، وذلك بتكثيف الحراسة عليها.

٣ - من أجل ذلك فإن منهج التخطيط الذي أرشدنا إليه يوسف عليه السلام ينبغي أن يدرس أيضاً في الكليات الأمنية والعسكرية حتى يتخرج رجل الأمن المسلم عالماً بواجباته وفق كتاب الله وسنة نبيه واعياً لعلوم التخطيط وفروعه الكثيرة. . .

فرجال الأمن والعسكريين هم الأساس والقوة الحقيقية للدولة لحمايتها من الداخل والدفاع عنها ضد المعتدين والغرباء.

٤ - إن هذه القصة توضح لنا معنى كبيراً وأساساً هاماً لحياتنا هو أن ندرس علوم التخطيط من جميع جوانبها لطلاب الجامعات بحيث يعرف كل طالب الكثير عن هذه العلوم، وبالتالي فإنه يفيد نفسه ووطنه وأمته الإسلامية حيث سيعرف أن التخطيط والإعداد هما عاملان هامان لبلوغ الأهداف وتحقيق المرام.

ومسك الختام قوله عليه السلام: «طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله» رواه الطبراني.

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير. وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد.

ألا فليدرس طلابنا منهج يوسف في التخطيط والاقتصاد فما ذكرت قصة يوسف في القرآن عبثاً. . . وحاشا الله أن يكون. . . إن المنهج الذي سلكه يوسف عليه السلام في التخطيط والاقتصاد كان القنطرة التي عبرت عليها مصر وما جاورها الأزمة الاقتصادية الطاحنة، ولهذا قال الحق جل في علاه:

﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾.

لذلك نوصي بما يلي:

١ - ضرورة تدريس منهج يوسف في التخطيط والاقتصاد لطلاب الأمة الإسلامية.

٢ - التركيز في خطة الدراسة على أن التخطيط السيء لا ينتج إلا سيئاً وأنه يعود على صاحبه بالخيبة والندم من خلال التخطيط الفردي لإخوة يوسف بهدف التخلص منه.

٣ - التركيز على أن التخطيط الهادف لمصلحة الجماعة المبني على المعلومات والبيانات الصادقة يعطي الثمرة المرجوة...

٤ - التركيز على صدق رسالة محمد ﷺ إذ أخبر بما لم يكن يعلم وقد سئل عنه من اليهود.. أخبر بذلك بعد أن أخبره الوحي **﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾**.

٥ - التركيز على ضرورة الإعداد والتدريب للمهام الشاقة... من خلال إعداد الله يوسف عليه السلام لمهمته.

٦ - التركيز على ضرورة الأخذ بالأسباب وعدم التواكل ووجوب تفويض الأمر لله مع بيان الفارق بين التواكل والتوكل.

٧ - التركيز على وجوب الإخلاص والصدق والأمانة وغيرها من الأخلاق الإسلامية عند التخطيط أو التطبيق.

٨ - التركيز على اجتناب المحرمات تخطيطاً وتطبيقاً سواء أكان التخطيط فردياً أم عاماً بسلاح الإيمان أمضى سلاح لخوض غمار الحياة.

٩ - انطلاقاً من هذه الخطة وهذا المنهج يكون التطبيق العملي للإدارة الإسلامية.

المراجع

مسلسل	اسم الكتاب	الناشر
١ -	جامع البيان في تفسير القرآن تأليف الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ.	دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.
٢ -	الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ٤٦٧ - ٥٣٨ هـ.	دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٣ -	زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي ولد ٥٠٨ - وتوفي سنة ٥٩٦ هـ.	المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.
٤ -	التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي.	دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٥ -	تفسير القرطبي - الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.	دار الشعب - القاهرة.
٦ -	تفسير النسفي - للإمام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي.	دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي - القاهرة.

٧ -	تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي - المتوفى ٧٧٤ هـ.	دار المعرفة - بيروت - لبنان.
٨ -	تفسير أبي السعود - المسمى - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لقاضي القضاة الإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي - المتوفى سنة ٩٥١ هـ.	دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
٩ -	فتح القدير - الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني - المتوفى بصنعاء سنة ١٢٥٠ هـ.	محفوظ العلي - بيروت.
١٠ -	روح المعاني في تفسيرالقرآن الكريم والسبع المثاني - تأليف العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي - المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ.	دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
١١ -	تفسير القاسمي المسمى - محاسن التأويل تأليف علامة الشام محمد جمال الدين القاسمي - ١٢٨٣ - ١٣٣٢ هـ.	دار الفكر - بيروت.
١٢ -	تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار تأليف السيد د. محمد رشيد رضا منشىء مجلة المنار.	الناشر - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.
١٣ -	تفسير المراغي - تأليف صاحب الفضيلة الأستاذ أحمد مصطفى المراغي - أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية بكلية دار العلوم سابقاً.	
١٤ -	التفسير الواضح - تأليف د. محمد محمود حجازي - جامعة الأزهر.	مطبعة الاستقلال الكبرى - القاهرة.
١٥ -	في ظلال القرآن - بقلم سيد قطب.	دار الشروق - القاهرة.

١٦ -	المنتخب في تفسير القرآن الكريم وضع لجنة القرآن والسنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بجمهورية مصر العربية.	المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة.
١٧ -	كتاب الأموال للإمام الحافظ الحجة أبي عبيد القاسم بن سلام - المتوفى سنة ٢٢٤ هـ. (تحقيق خليل محمد هراس من علماء الأزهر الشريف).	دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
١٨ -	كتاب الأموال «لحميد بن زنجويه» تحقيق د. شاكر ذيب فياض - الأستاذ المساعد بجامعة الملك سعود.	مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض.
١٩ -	كتاب أحكام القرآن - تأليف الإمام حجة الإسلام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي - المتوفى سنة ٣٧٠ هـ.	دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.
٢٠ -	أحكام القرآن - للإمام الفقيه عماد الدين بن محمد الطبري المتوفى سنة ٥٠٤ هـ.	دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
٢١ -	أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي - المتوفى سنة ٥٤٣ هـ. (تحقيق علي محمد البجاوي).	دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.
٢٢ -	تفسير القرآن الكريم للشيخ الأكبر العارف بالله العلامة محي الدين بن عربي - المتوفى سنة ٦٣٨ هـ - الأندلسي المولد والنشأة الدمشقي الإقامة والوفاة. (تحقيق وتقديم د. مصطفى غالب.	دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.
٢٣ -	البداية والنهاية - تأليف الحافظ بن كثير الدمشقي - المتوفى سنة ٧٧٤ هـ.	الناشر - مكتبة المعارف - بيروت - لبنان.

٢٤ ـ	تفسير القرآن ـ المسمى تبصير الرحمن وتيسير المنان ـ تصنيف الإمام العلامة علي بن أحمد بن إبراهيم المهايمي ـ المتوفي سنة ٨٣٥ هـ.	عالم الكتب.
٢٥ ـ	كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان نوري ـ المتوفى سنة ٩٧٥ هـ.	مؤسسة الرسالة.
٢٦ ـ	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ـ المتوفى في ١٣٩٣/١٢/١٧ هـ.	وقف لله تعالى . . . طبع على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير أحمدبن‌عبد العزيز ـ ويوزع مجانا. ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م
٢٧ ـ	الجواهر في تفسير القرآن الكريم تأليف الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري ـ المدرس بالجامعة المصرية.	المكتبة الإسلامية.
٢٨ ـ	بحوث في قصص القرآن بقلم السيد عبد الحافظ عبد ربه من علماء الأزهر.	دار الكتاب اللبناني ـ بيروت.
٢٩ ـ	لسان العرب المحيط للعلامة ابن منظور ـ معجم لغوي علمي. إعداد وتصنيف يوسف خياط.	دار لسان العرب ـ بيروت.
٣٠ ـ	الإمام ابن تيمية ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (الفقه) جمع وترتيب عبد الرحمٰن بن القاسم وابنه محمد.	مكتبة المعارف الرباط المغرب
٣١ ـ	فتاوى الإمام الدكتور عبد الحليم محمود الجزء الثاني.	دار الكتاب العربي
٣٢ ـ	فقه السنة ـ الشيخ السيد سابق.	بيروت

٣٣ -	النشاط الاقتصادي على ضوء الشريعة الإسلامية - الدكتور غريب الجمال الأستاذ بالمعهد العالي للدراسات الإسلامية بالقاهرة.	
٣٤ -	تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (الجزء السابع).	تحقيق وتعليق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد إبراهيم (طبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر).

التاريخ الاقتصادي
من خلال قصص القرآن الكريم
٢

المنهج الإقتصادي في المكاييل والموازين

لنبي الله

شُعَيْب

عليه السلام

دكتور/ نواف الحليسي

الفهرس

المنهج الاقتصادي في التخطيط
لنبي الله يوسف عليه السلام

الموضوع — الصفحة

المبحث الثالث:

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

المبحث السادس:

السمات التخطيطية في العلاقات الإنسانية

تفسير قوله تعالى: الآيات (من ٥٩ حتى ٦٥)

الموضوع — الصفحة

فهرس المبحث السابع :

التخطيط العام لحماية الدولة

عنوان المؤلف

الرياض المملكة العربية السعودية الرمز البريدي
١١٤٤٣ ص. ب ٥٤٩٨٤

فسح هذا الكتاب بإذن من
وزارة الإعلام في الرياض رقم ٣٦٥٣/٣/م ١٤٠٩/٦/١١
رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والإرشاد
رقم ٦٤٥/٥ ١٤٠٩/٦/٨ بالمملكة العربية السعودية
مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف بجمهورية
مصر العربية
تاريخ ١٤٠٩/٣/١٩

رقم الإيداع
بدار الكتب القومية بالقاهرة
١٩٩٠/٤٢٣٤
ISBN 977-00-8817-V

مطابع الأهرام بكورنيش النيل